الباب الخامس

قضايا أقطار إسلامية معاصرة في قارة آسيا

الفصل الأول : قضية فلسطين
الفصل الثاني : عذراء ماليزيا
الفصل الثالث : شبه القارة الهندية ومأساة كشمير
الفصل الرابع : أفغانستان
الفصل الخامس : أندونيسيا

الفصل الأول

قضية فلسطين

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا ، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة ، وفي جنوبها الغربي تقع مصر ، كما يحدها شرقا سوريا والأردن وغربا البحر المتوسط ، فهي تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي ، وهي صلة الوصل بين شقي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا ،وهي الطريق الطبيعي الذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام.

مساحتها حوالي **٢٧٠٠٠٠** كم٢ بما فيها الضفة الغربية(١) وقطاع غزة(٢).

وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية :

١ـ السهول الساحلية : ولفلسطين ساحل طويل يمتد من رأس الناقورة في الشمال إلى رفح في الجنوب ، ويلي الشاطيء سهل يسمى : السهل الساحلي الفلسطيني يتراوح عرضه بين **١٨و١٦** كم ، تزرع فيه الفواكه والحمضيات والخضر ، ومن مدن الساحل : عكا وحيفا ويافا وغزة وكلها موانيء مهمة ، وقد بنى اليهود مدينة تل أبيب التي جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالي مدينة يافا. وفي داخل السهل مدن : طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل.

٢ـ الجبال والهضاب : ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية :

أ ـ جبال الجليل : وفيها مدينة صفد أعلى مدن فلسطين. ومدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها.

ب ـ جبال نابلس : وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال.

ج ـ جبل الكرمل : ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطيء البحر عند حيفا.

---

(١) تبلغ مساحة الضفة ٥٥٠٠كم٢ مشتملة على جبال الخليل والقدس ونابلس. وتمتد من الخليل جنوبا إلى جنين شمالا.

(٢) وتبلغ مساحة القطاع ٣٧٠كم٢ فقط. يبلغ طوله ٤٥كم، ويتراوح عرضه بين ٥كم في الشمال و١٣كم في الجنوب. ويقع في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني. وعلى ذلك فمساحة الضفة والقطاع تبلغ ٥٨٧٠كم٢ فقط ـ (سياسة إسرائيل في المناطق الفلسطينية) ص٦٠.

د- جبال القدس : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس - القدس - أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م**.

هـ- جبال الخليل : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام.

و- هضبة النقب : وهي القسم الجنوبي من فلسطين ، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضي الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت ، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا ، ومن أهم مدنه بئر السبع.

٣- منطقة الأغوار : وهي المنطقة الشرقية من فلسطين ، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية ، وبحيرة لوط (البحر الميت) وهي جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى.

ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر في بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول **٢٢٥** كم.

وأشهر الأغوار : غور طبرية وبيسان في الشمال ، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض ، إذ يبلغ الانخفاض **٤٩٢** مترا عن سطح البحر. ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهي مشتى جميل.

أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادي عربه بطول **١٨٠** كم.

فلسطين في التاريخ(٣) :

كانت شبه الجزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشام ومصر بدماء جديدة ، فقد خرجت منها موجات بشرية : الأشورية والأكادية إلى العراق ، والأمورية والآرامية والكنعانية إلى الشام ، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد مابين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهي الأسرة البابلية ، كما

---

(٣) انظر مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين.

ول ديورانت - قصة الحضارة - طربين أحمد وزميله - تاريخ الحضارات القديمة. أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ص ١٠-١٣.

خرجت قبيلة آرامية من بلاد الشام إلى جنوب العراق والخليج العربي وهي قبيلة كلدى التي أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل.

وقد سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد ، وأطلق عليهم في الساحل الشمالي اسم : الفينيقيين. في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان.

واهتم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا.

وبنوا المدن ومنها : أريحا ، وأسدود ، وبير السبع ، وعسقلان ، وغزة ، ويافا ، ومجدو ، وسبسطية (السامرة) ،وبيسان ، ونابلس (شكيم) والخليل (أربع) والقدس (يبوس) وكان اليبوسيون أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أي مدينة سالم ، كما أطلقوا عليها اسم يبوس.

وكانت اللغة كنعانية ـ عربية قديمة ـ وهي لاريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم ـ لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة.

وأسماء المدن والقرى كانت وماتزال كنعانية ، وأما محاولة اليهود اليوم نسبة بعضها إليهم فهي من قبيل الإدعاء الزائف ، تهدف إلى إيهام الرأي العام اليهودي بأن اليهود جنس قام بتأسيس هذه المدن والقرى ،وهم أهلها الذين تشردوا عنها ، لتتمسك بها الأجيال اليهودية ، وإيهام الرأي العام العالمي بأن البلاد يهودية الأصل. وقد نجح اليهود في ذلك إلى حد كبير في غياب الوعي التاريخي لدى المسلمين.

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيون :

في بداية الألف الثاني ق.م انتقل إبراهيم عليه السلام من (أور) بالعراق فعبر نهر الفرات إلى حلب ، ومنها إلى أرض كنعان ، ثم هاجر إلى مصر ومعه زوجته (ساره) التي أهدى إليها فرعون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، لأن سارة كانت لاتنجب ، فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد ﷺ. وقد أنجبت سارة بعد ذلك اسحق الذي أنجب بدوره يعقوب المسمى بإسرائيل. وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعان لما أصابها القحط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر ، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منه ، وخرجوا مع موسى عليه السلام قاصدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضوا العهد وفسقوا

فضرب عليهم الله سبحانه التيه أربعين سنة في سيناء ، خرجوا بعدها إلى أرض كنعان فدخلوها من جهة الشرق حوالي عام **١١٨٩** ق.م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام ، واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين.

تولى القضاة أمور العبرانيين بعد وفاة يوشع وفي عهدهم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتعلموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم ، منحرفين عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام.

ثم اتحد العبرانيون وكونوا دولة حوالي عام **١٠٢٥** ق.م ، وكان أول ملوكهم شاوؤل أو طالوت. واشتهر من ملوكهم :

أ- داود عليه السلام (**١٠٠٠-٩٦٠ق.م**) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبوسيين وجعلها عاصمة له ، وانتصر على الفلسطينيين وقتل ملكهم جالوت وأنهى أمرهم.

ب- سليمان عليه السلام (**٩٦٠-٩٣٠ق.م**) الذي وردت قصته في سورة النمل وتعدت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن. وأوتي النبوة مع الملك. وقد شوه اليهود صورته في كتبهم كعادتهم مع الأنبياء والرسل الكرام(٤) ، عليهم السلام.

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين :

أ- مملكة الشمال - إسرائيل - وعاصمتها السامرة.

ب- مملكة الجنوب - يهوذا - وعاصمتها القدس.

وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة (سرجون الثاني) عام **٧٢٢** ق.م ، وقضى على المملكة الجنوبية (نبوخذ نصر) الكلداني عام **٥٨٦** ق.م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل ، وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية ، وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام. ويهود اليوم لاينتمون في أكثرهم إلى الأصول الساميه ، أو العبرانية ، فإن **٩٠** ٪ على الأقل ينتمي إلى أصول خزرية. فهم : **اشكنازيم** (سكناج) وهم يهود أوربا الشرقية ، **وسفارديم** وهم يهود آسيا وأفريقيا والأندلس.

(٤) أنظر :الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية- للمؤلف.

وكان الاشكنازيم قديما محتقرين ، أما اليوم فالأمر بأيديهم ومنهم غلاة الصهيونية ، ويكون السفارديم **٥٥** ٪ من يهود فلسطين المحتلة ، إلا أنهم محتقرون ، ومبعدون عن مراكز الدولة الحساسة. فالكنيست اليهودي مثلا يتكون من (١٢٠) نائبا لاينال للسفارديم منه سوى (١٨) نائبا. ولغة الاشكناز تسمى (اليديش) وهي لغة ألمانية الأصل مطعمة ببعض الكلمات العبرية وتكتب بالحروف العبرية ، وكانت العبرية قد بقيت إلى جانب اليديش لغة كتابة وليست لغة تخاطب بين يهود شرق أوربا(٥). إلى أن وضع الحاخام (بن يهوذا) عام **١٩١١م** لغة عبرية حديثة هي لغة اليهود اليوم ، وذلك بناء على قرار اتخذه مؤتمر (بازل) الصهيوني الأول بإحياء اللغة العبرية.

ثانيا : الفلسطينيون :

تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر إيجه لغارات البرابرة اليونان ، فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة. وسمي هذا الجزء باسمهم : فلسطين. وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين ، بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم ، وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ، ولكن بقي الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة.

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسي (**٥٥٨-٥٢٨ق.م**) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته - فارس - عام **٥٣٨**ق.م وكانت زوجته (استير) اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر ، فسمح لمن يريد العودة من بني إسرائيل إلى أرض كنعان ... وانتهى الإحتلال الفارسي عام **٣٣٢**ق.م.

رابعا : اليونان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالإستيلاء على بلاد الشام عام **٣٣٢**ق.م وطرد الفرس. ولما قام النزاع بين قادته بعد وفاته : أنتيغونس الكبير وسلوقس وبطليموس - أصبحت أرض كنعان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام. وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام فأنشأوا المدن والمدارس والمسارح والمعابد ، لكن التأثير اليوناني ظل سطحيا ومحصورا في المدن الكبيرة وخصوصا الساحلية منها ، أما غالبية السكان فقد

(٥) أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ -ص ٣٢٧.

احتفظوا بتراثهم وعاداتهم ولغتهم ، وبينما كانت اللغة اليونانية هي الرسمية ظلت السريانية هي لغة عامة الناس.

خامسا : الرومان :

استطاع القائد الروماني بومبي أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام **٦٣ق.م** وبقي الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام **٦٣٦ب.م** ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

١- ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور (أغسطس قيصر) - مهد المسيحية وقلبها - حيث تحولت فيما بعد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية واتخذها الدين الرسمي للرومان في مؤتمر نيقية عام **٣٢٥م** حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث. عندما وضع بولس (شاول) أفكاره المتأثرة بالفلسفة اليونانية(٦).

٢- وقوف اليهود ضد المسيحية مع الوثنية الرومانية. ثم حاولوا الثورة على الرومان عام **٧٠م** فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل ، وشرد اليهود في أجزاء الأرض.

وحاول اليهود الإنتفاضة مرة أخرى عام **١٣٥م** زمن الامبراطور هادريان فقاد حملة بنفسه وقضى على وجود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها (ايلياء كابيتولينا). وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودي في أرض كنعان ففيها انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامي أي خمسة قرون.

الفتح الإسلامي لفلسطين :

ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسري بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء جسدا وروحا ، فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوي في المدينة ، والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين ، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى ، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال ، كما تشد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين :

أن رسول الله ﷺ قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ».

(٦) أنظر : الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية - للمؤلف.

وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول ﷺ إلى أرض الشام ، فكانت غزوة دومة الجندل عام ٥هـ، وسرية مؤتة عام ٧هـ، وغزوة تبوك عام **٩هـ**، ثم أخيرا بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضي الله عنه.

وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام ،وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص ، وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك ، ثم تم فتح بيت المقدس ، وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام١٦هـ وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لايسكن إيلياء أحد من اليهود. فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية ، واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع **الصليبيون** أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها. ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في **٢٧** رجب عام٥٨٣هـ بعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في **٢٥** ربيع الثاني عام **٥٨٣هـ**، وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك ، فكانوا من الغزوات العابرة ، ولن يكون حظ الصهيونية اليهودية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبي والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين بإذن الله.

فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار(٧) :

تعود الجذور التاريخية للحركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقترن النشاط الاستعماري الواسع بضغط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعمارية ، مما دفع الطبقات اليهودية إلى البحث عن حل لأزمتها خارج حدود مجتمعاتها ، وسرعان ماوجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيها الحل مع المصالح الاستعمارية ،كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعا من الرأسماليين اليهود الكبار.

كانت الدول الأوربية قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ماعرف باسم : **الإمتيازات الأجنبية** التي كانت منحة أيام قوة الدولة ثم أصبحت غلا يطوقها في ضعفها، بحيث بات المقيمون الأجانب دولة داخل دولة ، لاتسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية. واستتبع ذلك إقدام هذه الدولة على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار **حماية الأقليات**

(٧) انظر د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

الدينية ، ففرضت فرنسا حمايتها على النصارى الكاثوليك ،وروسيا على النصارى الأرثوذكس ، وأعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين.

وكان من جراء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين. فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس(٨). والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في(٩) :

١ـ تأمين المواصلات البريطانية إلى الهند والشرق الأقصى.

٢ـ إبعاد أية قوة كبرى عن هذه المنطقة وجعلها مجالا بريطانيا بحتا.

٣ـ منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ماظهرت.

٤ـ الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام **١٨٦٩م** انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى.

٥ـ تأمين الامداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة.

وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك ، أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا ، وبوسائل غيرها أحيانا ، وذلك حسب الظروف التي تواجهها المنطقة.

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جدا لاتتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه(١٠). وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بينها بوضوح الفايكونت (بالمرستون) رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم **١١** أغسطس **١٨٤٠م** يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول :

---

(٨) البرت هامسيون ـ القنصلية البريطانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين (١٨٣٨-١٩١٤م) الجزء الأول ـ ص ٣٤ من المقدمة طبع ١٩٣٩م.

(٩) النشاط الصهيوني ـ د.عبد الرحيم أحمد حسين ـ ص ١٩.

(١٠) د. عبد الوهاب الكيالي ـ تاريخ فلسطين الحديث ص ٥.

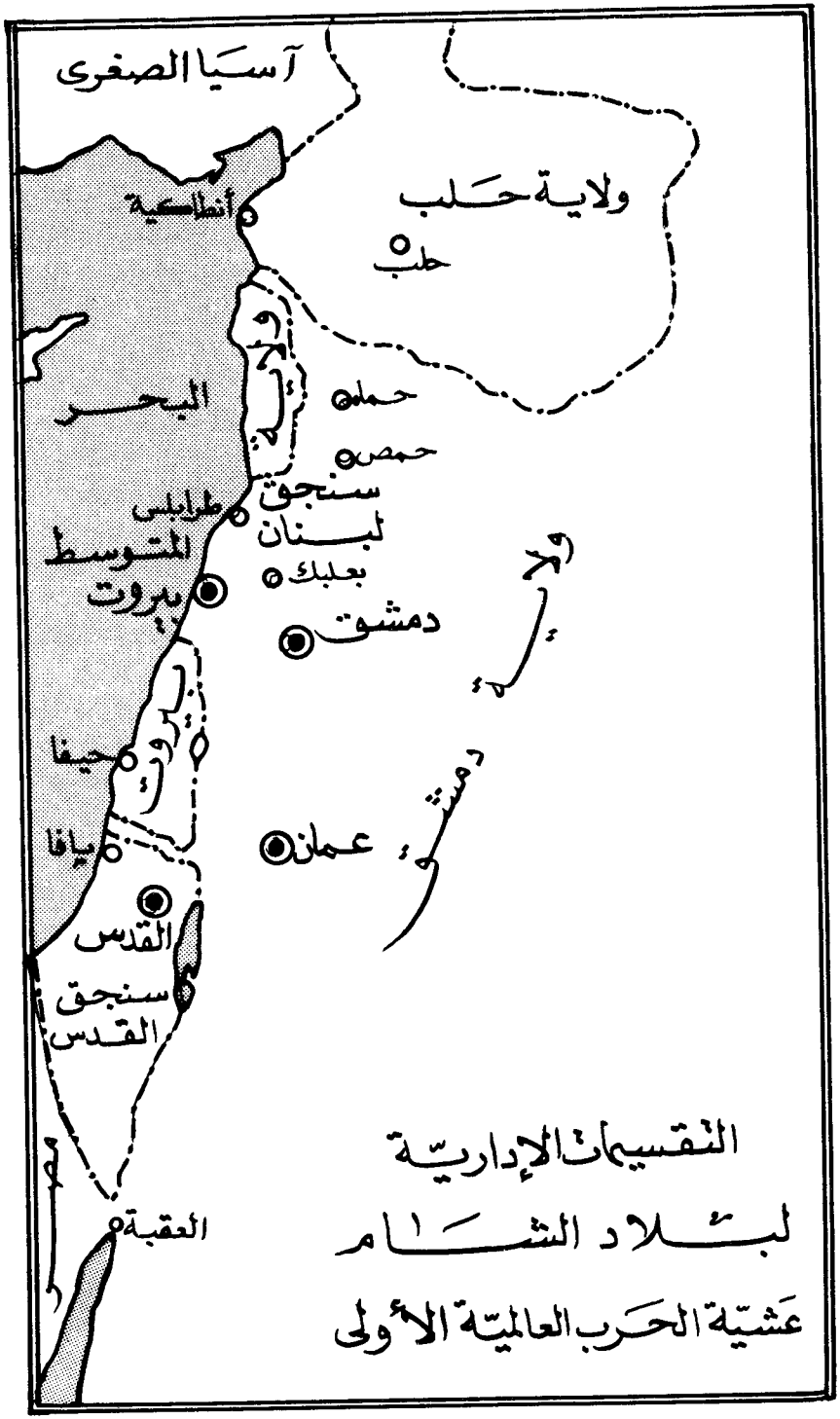

التقسيمات الإدارية
لبلاد الشام
عشية الحرب العالمية الأولى

« إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه »(١١). بل حاول بالمرستون إغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة(١٢).

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال (شافتر بري) و(ديزرائيلي) و(جوزيف تشمبر لن) و(تشرشل) و(بلفور) وغيرهم. ولاشك بأن شق قناة السويس واحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الإنجليز الإستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين.

ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي ظهور الحركة الصهيونية ، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ، ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا **١٢١٤هـ/١٧٩٩م** فقد وجه إليهم نداء حثهم فيه على الإنضمام تحت رايته لإعادة بناء مجد اسرائيل الضائع في القدس. ووصفهم بأنهم الورثة الشرعيون لفلسطين(١٣).

وقد مرت الهجمة الصهيونية في مراحل هي :

أولا : مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين : ١٢٨٧-١٣١٥هـ/ ١٨٧٠-١٨٩٧م :

ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة ، أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم ، تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصا من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم ، وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها. ومن أشهر هذه الدعوات دعوة (ليون بينسكر) (١٨٢١-١٨٩١م) في كتابه التحرير الذاتي : فقد قال : « إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب ، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها ،

---

(١١) نفسه ص ٢٧. دسوقي - الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص١٩٠

(١٢) ملف وثائق فلسطين / وزارة الإرشاد القومي / القاهرة / ١٩٦٩م ج١وثيقة رقم ١٣ ص ٤٧.

(١٣) خوري حماد - الصهيونية ص ١١.

وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به ».

ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزا لتجمع اليهود.

وقد روجت لآرائه أحباء صهيون ، التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م وشارك بينسكر في جهودها(١٤).

وكان للبارون (إدموند دي روتشيلد) جهود كبيرة في سبيل مساندة الصهيونية ، فأنشأت عام **١٣٠١هـ/١٨٨٣م** الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين أو ـ بيكا ـ(١٥) بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطانهم لها. وكانت (بيكا) تبيع الأراضي لليهود شريطة ألا تباع مرة ثانية للمسلمين. وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية.

وفي عام **١٨٩٥م/١٣١٣هـ** أصدر اليهودي النمساوي هيرتسل كتابا بعنوان : الدولة اليهودية ، قرر فيه :

« إن المسألة اليهودية ليست مسألة إجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لايمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة. ويعني هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض كافية لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم ».

ولكي يحقق اليهود هدفهم إقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم ، وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوربية في آسيا وأفريقيا ، تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها(١٦).

وكان صدور هذا الكتاب بمثابة نقطة تحول في الحركة الصهيونية فقد اعتبرت المشكلة اليهودية مشكلة قومية ، وحلها يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية. ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة.

وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من **استمالة الأوربيين** لأفكارها : فالمتدين النصراني الأوربي دخلت إلى نفسه فكرة شعب الله المختار وأرض الميعاد وهو يؤمن

---

(١٤) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(١٥) نفسه.

(١٦) الكيالي ص ٣٤.

كنصراني بالعهد القديم ، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يتجمعون فيها ، فتستريح أوربا منهم. أنظر إلى قول وزير خارجية قيصر روسيا ، وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة : « إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا »(١٧).

وأما الحكومات الاستعمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخيرة لتكون خادمة للاستعمار وعن طريق المساعدات والقروض المالية للحكومات الاستعمارية التي قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة.

فأقام اليهود المتسللون عددا من المستوطنات في فلسطين ، ومنها تل أبيب.

ثانيا : مرحلة وضوح الهدف الصهيوني **١٣١٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٩٧-١٩١٤م** :

بدأت هذه المرحلة بمؤتمر بازل (بال) بسويسرة عام **١٣١٥هـ/١٨٩٧م** ، وهو المؤتمر الصهيوني الأول الذي نجح هيرتسل في عقده ، وضم **٢٠٤** مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم. وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي :

« إن غاية الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام »(١٨) وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر.

ومن الممكن تلخيص قراراته في :

١- وضع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم(المزعوم).

٢- وضع المؤتمر أسس المنظمة الصهيونية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣- وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

أ- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة.

---

(١٧) جارودي - اسرائيل - ص ٧٢ عن كتاب أ.شوراقي - ثيودور هرتزل - باريس ١٩٦٠م ص ٣٠٢.

(١٨) الكيالي ص ٣٥.

ب- تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

ج- القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

د- تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المتبعة في كل بلد(١٩).

ووضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، والنشيد القومي اليهودي ، وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية ، وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي .. وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المباديء التي وضعت في هذا المؤتمر ، ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد - نصف دولار.

وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لايلحق به كلل أو إعياء للحركة الصهيونية ، وداعيتها ومندوبها السياسي(٢٠) ، مشيعا أن اليهود أمة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد(٢١) ، ومرددا الحقوق التاريخية(٢٢) والأسطورة التوارتية(٢٣). وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر : « لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة - وهذا مالن أفعله صراحة - لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية. ولو أعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم ، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الإحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس »(٢٤).

وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م أقر المؤتمرون :

تشكيل لجنة استعمار فلسطين ، وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ، ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة ، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة

---

(١٩) الكيالي ص ٣٥.

(٢٠) خيري حماد - الصهيونية ص ٣١.

(٢١) انظر هذه الأسطورة - جارودي - اسرائيل الصهيونية السياسية ص ١٠٥.

(٢٢) انظر نفسه ص ٣٣-٨١.

(٢٣) انظر نفسه ص ٨٢-١٠٢ ، وص ١٠٥.

(٢٤) مذكرات ثيودور هرتزل الكاملة ج٢ ص ٢٤/ نيويورك ١٩٦٠م.

الصهيونية(٢٥).

وأخيرا فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لابد من إيرادها:

١ـ اختار المؤتمر تعبير (وطن قومي) وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى ، وذلك عن عمد ، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها.

وقد أثر عن هرتزل أنه قال :

« يجب ألا يعار كبير التفات إلى الألفاظ فإن الشعب اليهودي سيقرأها [الدولة اليهودية] »(٢٦).

٢ـ أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم ، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية ، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي ، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم ، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى. وليس بينهما فرق أبدا.

٣ـ وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية ، والسيطرة على العالم اقتصاديا وفكريا ، تمهيدا للسيطرة اليهودية على العالم. وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ، ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحد من أحلامها ، وسيطرت على محترفي السياسة في أوربا وأمريكا ، حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده ، وكانت الدولة العثمانية هي زعيمة المسلمين ، وفلسطين من أملاكها ، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية :

أـ أسلوب الاغراء : فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملا أسلوب الرشاوي مع الوسطاء والمسئولين الأتراك(٢٧) ، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة المانيا ، وقدم له التماسا لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية. فرفض السلطان طلبه ، وكان قد عرف

---

(٢٥) الكيالي ص ٣٧.

(٢٦) مذكرات هرتزل.

(٢٧) خيري حماد ـ الصهيونية ـ ص ٤٠.

ألاعيب الصهيونية(٢٨) ، واتبع خطوات إيجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق ، واتبعه للباب العالي رأسا ، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس. وبذلك حد من تسللهم.

ب- أسلوب التهديد : فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية - وخاصة النمسا ثم بريطانيا والمانيا ، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عُرض عليهم أوغندة وليبيا والعراق وموزمبيق والكونغو ومدغشقر(٢٩). وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة **٩٩** سنة ، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

ج- أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية - وذلك :

١- بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتا حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الاعلام.

٢- بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والأتراك في باريس وبقية أوربا. فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد ، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام **١٣٢٧هـ/١٩٠٩م** كما سبق(٣٠). وقطف اليهود الثمار بعد سقوط عبد الحميد ، فقد سمحت جميعة الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ونقلت كثيرا من الموظفين المعارضين للهجرة اليهودية إلى أماكن أخرى.

---

(٢٨) راجع ص ١١٦-١١٩ من هذا الكتاب.

وفي احدى المرات قال السلطان : « أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات أخرى في هذه الطريق ، فإني لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض (أرض فلسطين) لأنها ليست أرضي وإنما أرض شعبي ، شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض وسواها بدمه ، دع اليهود يحتفظون بملايينهم ، فإذا انفكت دولتي فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل ، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على أشلاء أجسادنا بعد تمزيق أوصالها ، إنني لاأستطيع أن أوافق على إجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي الأحياء ». (النص عن يوميات هرتزل - خيري حماد - الصهيونية ص ٤١، أنور الجندي - الإسلام والعالم المعاصر ص ٤٢١).

(٢٩) انظر خيري حماد ص ٤٤-٤٥.

(٣٠) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب.

إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان ، وبعض الصحف في فلسطين ، فأغلقوا الصحف ، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية ، فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية. فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفا عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إلى ٨٥ ألفا عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م(٣١) من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم ٦٨٩ ألفا حسب تقديرات السلطات العثمانية. فيمكن القول ودون مبالغة أن تاريخ إنشاء دولة اليهود في فلسطين كان عام ١٩٠٩م ، يوم سقوط السلطان عبد الحميد(٣٢).

وأخيرا فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات مادام عرض عليها أوغندة ، أو مدغشقر ، أو موزمبيق ، أو الكونغو وغيرها؟

يجيبنا على هذا (ناحوم غولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة (مونتريال) في كندا عقد عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م :

« كان في إمكان اليهود أن يحصلوا على أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما، ليقيموا في أي منها وطنا يهوديا ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين ، لا لإعتبارات دينية ، أو لأن التوراة قد أشارت إليها ، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ماقيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات من المعادن والأملاح ، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الامريكتين - بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقيا ، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية ، ولأنها المركز العسكري الإستراتيجي للسيطرة على العالم »(٣٣).

وهكذا تطابقت المصالح الإستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الإختيار الإستراتيجي الهام. ولأن القائمين على أمر الحركة الصهيونية يدركون أن اقتران إسم فلسطين بالدين اليهودي يساعد في جذب اليهود للحركة الصهيونية وللهجرة إلى فلسطين في آن واحد.

ثالثا : مرحلة المناورات الخفية الماكرة - العمل المراوغ ١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م :

(٣١) برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط ص ٢٥. وهو /في محاضرته لايشير إلى أي دور للإنجليز في تهويد فلسطين ، بل يبذل جهده لإظهار بطولة اليهود ، فلا عجب في ذلك ، فهو يهودي.

(٣٢) مصطفى محمد ص ٧٢.

(٣٣) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧١.

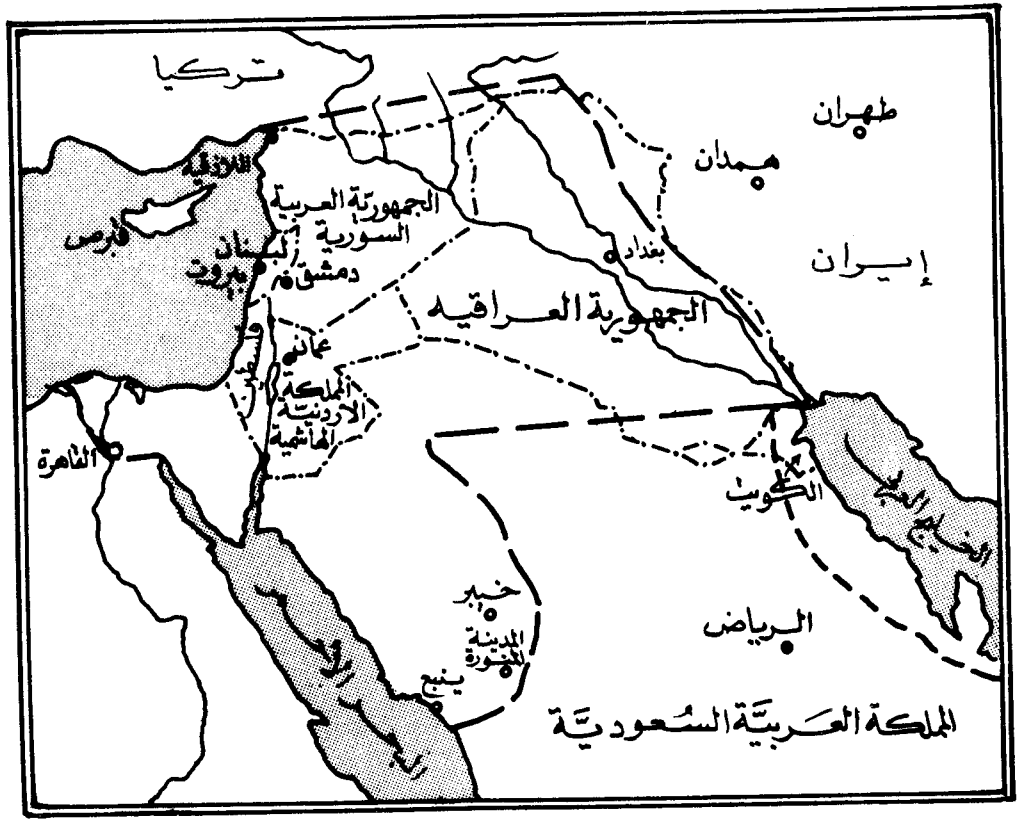

البلاد الإسلامية التي يطمع اليهود في الاستيلاء عليها «إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات»

وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدول المتحاربة :

أ- الحلفاء : بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وانضمت إليهم إيطاليا ثم الولايات المتحدة ، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة اكتوبر الشيوعية عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** :

ب- دول الوسط : وهي المانيا والنمسا وانضمت إليهما جمعية الإتحاد والترقي التركية.

وقد استطاعت الصهيونية أن تمد نفسها كالأخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة ، عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية ، فأخذت من كل منها وعودا ،في حين كانت تتظاهر بالحياد ، ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة(٣٤). ونجحت في روسيا نجاحا كبيرا جدا إذ أزالت الحكم القيصري وقام الحكم الشيوعي عام **١٩١٧م** ، وكان معظم من تزعم الحركة الشيوعية من اليهود الصهاينة(٣٥) ، كما نجحت في إسقاط الخلافة العثمانية كما سبق(٣٦) وشجع القوميون الأتراك الهجرة اليهودية إلى فلسطين في هذه الفترة فقد ذكر الحاج أمين الحسيني في مذكراته أن : « جمال باشا حضر حفلة أقامتها (فرلاندو) الصهيونية اليهودية التي كانت تدير (دار المعلمات) اليهودية في القدس. واغتنمت (فرلاندو) الفرصة فحشدت لاستقباله صفوة مختارة من الفتيات ـ الطالبات وغير الطالبات ـ فقمن أمامه باستعراض رياضي ، وبعد انتهاء الزيارة قدمت له (ألبوم) يشتمل على صور الفتيات وعناوينهن. فمنح اليهود بعد الزيارة أرضا واسعة من أراضي الأوقاف الإسلامية ، وأصدر أمره إلى مجلس إدارة القدس باتخاذ الإجراءات القانونية لتسجيلها باسم اليهود(٣٧) ». فكانت الصهيونية لاتتردد في التحدث إلى أي فرد باللغة التي تناسبه حتى ولو كان من أشد المناهضين للسامية ، أسوة بسياسة هرتزل مؤسسها الذي كتب في يومياته قائلا : « سأقول للقيصر الألماني ـ دعونا نرحل ـ فنحن مختلفون عنكم. ولايسمح لنا بأن نندمج في أهل بلادكم، ثم إننا غير قادرين على ذلك(٣٨)». وكان نجاحها كبيرا في نيل

---

(٣٤) المالكي ص ٩٣.

(٣٥) انظر الشيوعية وليدة الصهيونية ـ ص ٩٥.

(٣٦) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب.

(٣٧) مجلة فلسطين العدد ١١٣، السنة (١٠) جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ/ص ٢٢

(٣٨) جارودي ـ اسرائيل ـ ص ٧٠ـ٧١ عن يوميات هرتزل ـ الجزء الثاني ص ٢٧/الترجمة الفرنسية.

عطف بريطانيا ، ثم تسخيرها ، لنيل أغراضها ، فعند بداية الحرب قدم هربرت صموئيل أحد أقطاب الصهيونية الإنجليز مذكرة إلى الحكومة البريطانية عرض فيها مشروعا لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت اشراف بريطانيا يأوي إليها ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود المشردين في أوربا قائلا : « وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا »(٣٩). فتمكنت من الحصول على **وعد بلفور** من بريطانيا ، وهو بمثابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين. وهذا نصه :

« عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جدا أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولابحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد »(٤٠).

ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ، مع أن اليهودية دين منحرف عن عقيدة موسى عليه السلام ، وليست شعبا ، واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين ، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لاتملكها إلى جماعة لاتستحقها على حساب من يملكها ويستحقها ، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين. ويكفي أن نذكر أن المستر (بيفن) وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عبر عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذا التصريح بقوله :

« إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين : تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين. إنها مغالطة تاريخية وفكرة استعمارية

(٣٩) البرت هامسيون ج٢.

(٤٠) انظر د. محمود منسي. وعد بلفور.

ماكرة »(٤١).

وأحضر وايزمن لحظة إصدار تصريح بلفور لوزارة الحرب البريطانية مذكرة جاء فيها : « عندما نقدم اقتراحنا فإننا نعهد بمصيرنا القومي والصهيوني لوزارة الخارجية البريطانية ، ولحكومة الحرب الامبراطورية ، آملين أن ينظر إلى المشكلة على ضوء المصالح الإمبراطورية ، والمباديء التي يدافع عنها تحالف الوفاق »(٤٢).

بل وأعلن وايزمن حقيقة تصريح بلفور بقوله : « إننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب »(٤٣).

ودخل الجنرال اللنبي القائد الإنجليزي القدس في الحادي عشر من كانون الأول عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** بعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور وصرح قائلا : « اليوم انتهت الحروب الصليبية »(٤٤) معبرا عن حقده الصليبي ، ومؤكدا الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية ، أو الإرتباط بين الصهيونية والإستعمار. قالت (بربارة توخمان) الكاتبة اليهودية في كتابها التوراة والسيف : « وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام **١٩١٨م** فنجح حيث كان ريتشارد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة. إن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم إلى حدٍّ ما بفعل الدين الذي أعطوه للأميين »(٤٥).

وهكذا تتكشف أوجه الصراع بين النصرانية واليهودية في محاولة السيطرة على الإسلام ، وتبدو براعة الصهيونية في نقل الكرة من قدم إلى قدم حتى تصبح في حوزتها.

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

١ـ مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية في البلاد الإسلامية :

فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق

---

(٤١) نفسه.

(٤٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ من كتاب حايم وايزمن المحاكمة والخطأ لندن ١٩٥٠م ص ٢٥٢.

(٤٣) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٥١.

(٤٤) أنور الجندي. العالم الإسلامي ص ٣٩٩.

(٤٥) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٤١٩.

الإسلامي ، بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند - ذرة التاج البريطاني - والسيطرة على قناة السويس ، ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وأفريقيا ، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي ، ففي عام **١٣٢٥هـ/١٩٠٧م** ، أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي انهيار الإمبراطورية فكان مشروع (كامبل باترمان) رئيس وزراء حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر ، فلابد من العمل على تجزئة المنطقة وتخلفها ومحاربة اتحاد سكانها ، وضرورة فصل الجزء الإفريقي من الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري كقوة حليفة للاستعمار(٤٦).

كما كتب (ل.سي أري) من وزارة الحربية والذي أصبح فيما بعد وزيرا للمستعمرات مذكرة أكد فيها : « ان فلسطين ومصر تشيران من الوجهة الإستراتيجية معا. ففلسطين ليست حاجزا ضروريا أمام قناة السويس وحسب ، بل ان أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسية من الناحية الأخرى في القنطرة ... وفلسطين جغرافيا وعمليا تقع في قلب الأمبراطورية البريطانية »(٤٧).

وكانت الصهيونية تدرك ذلك فركزت عليه ، فوصفت الموسوعة البريطانية نفسها وعد بلفور بأنه محاولة من جانب بريطانيا لإسكان اليهود الذين تشدهم إلى بريطانيا أقوى الروابط والمصالح في فلسطين ، ليتولوا حماية مداخل قناة السويس والطريق إلى الهند(٤٨) ، ويقول آخر بناة الاستعمار البريطاني - تشرشل - في مذكراته(٤٩) والتي كتبها منذ عشرات السنين :

« إذا أتيح لنا في حياتنا وهو ماسيقع حتما أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني ، وتضم نحوا من ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود ، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الإتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية »(٥٠).

(٤٦) انظر شفيق الرشيدات - فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٤٥.

(٤٧) المالكي ص ١١٨.

(٤٨) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٥.

(٤٩) عربها خيري حماد.

(٥٠) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٨.

ويقول (سايد بوتام) الخبير العسكري لصحيفة المانشستر جارديان في كتابه إنجلترا وفلسطين موضحا العلاقة بين الفكرة اليهودية في سلب فلسطين من المسلمين ومصالح بريطانيا في الشرق الأوسط :

« اليهود هم الفئة الوحيدة المهيأة لاستعمار فلسطين - فهم دون غيرهم - باستطاعتهم أن يقيموا شرقي البحر الأبيض المتوسط نفوذا جديدا مرتبطا بهذا البلد (بريطانيا) وسيشكلون درعا لحماية مصالحنا في الشرق ووسيطا بيننا وبينه وسيكونون حضارة متميزة عن حضارتنا ولكنها ستكون مشبعة بأفكارنا ومبادئنا السياسية(٥١).

وتجد الصهيونية تحاول جاهدة أن تؤكد هذا الوهم لدى بريطانيا - فوايزمن يقول في حديث (للورد روبرت سيسيل) : « إذا كانت فلسطين يهودية فسيكون في هذا ضمان لإنجلترا من ناحية قناة السويس »(٥٢).

وقد لقيت سياسة وايزمن - الذي طالب بامتيازات للصهاينة ، وبمنح اليهود أراضي الدولة لكي يوطن فيها مابين أربعين ألفا وخمسين ألفا من المهاجرين سنويا ، تأييدا من (أورغسبي غور) على الفور. وكان هذا الاستعماري البريطاني يميل إلى تشجيع العناصر غير الإسلامية من أوربية ويهودية على استعمار المنطقة ، في ضوء الافتراض بأن **الإسلام هوالخطر الرئيسي**. كما كان يميل إلى تشجيع فكرة إنشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة المسلمين وبعثرة قواهم أمام أوربا النصرانية والصهيونية.

ولما كانت المنظمة الصهيونية قد أمنت العنصر البشري المطلوب للمراكز الأمامية في فلسطين وذلك في حرب أوربا ضد الإسلام - (فإن من مصلحة بريطانيا أن تساعد المنظمة الصهيونية وأية منظمة أخرى قد تتعاون معها في التطوير العملي للاستعمار اليهودي في فلسطين). ولهذا نرى لماذا كانت الصهيونية وسياسة تصريح بلفور القائمة على أساس إعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين أمرا مفروغا منه في نظر (اورجسبي غور) وغيره من الشخصيات السياسية البريطانية الرئيسية(٥٣).

---

(٥١) الشرق الأوسط / رسالة اليوم من ابراهيم مهدي اسماعيل قراءة ثالثة في وعد بلفور /ص ١٨ الأربعاء ١٣/١١/١٩٨٥م.

(٥٢) جارودي - اسرائيل ص ٧٣ عن كتاب وايزمن - ميلاد اسرائيل - ط٣ باريس ١٩٥٧م.

(٥٣) المالكي ص ١٣٣.

٢- تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى(٥٤) ، فبدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل الرأي العام الأمريكي ، لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء ، وللصهيونية تأثير كبير على هذا الرأي العام في الولايات المتحدة ، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال ، لا في نيويورك فقط ، بل في نواحي كثيرة من أنحاء العالم ، وحملها على مناصرة قضية الحلفاء(٥٥) ، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام **١٩١٧م**.

٣- مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخانا ، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الإستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية ، بعد أن نجحت الغواصات الألمانية في فرض حصار بحري محكم على الجزر البريطانية ، ولم يترك وايزمن عملية الإشراف على إنتاج الأسيتون لغيره ، فقد أرسل أحد تلاميذه الصهاينة وهو (هربرت سبيكمان) للإشراف على العمل في كندا ، وبذلك ضمن أن يظل هو صاحب الفضل الأول والأخير في إنتاج هذه المادة الإستراتيجية ، وقد رفض وسام الشرف الذي قدم له ، وطلب أن تفعل الحكومة البريطانية شيئا لشعبه. وطالب بمنح اليهود أراضي الدولة في فلسطين بعد ذلك ، وتشجيع الهجرة اليهودية بمعدل أربعين ألفا إلى خمسين ألفا ، فأيده (اورجسبي) السياسي الاستعماري البريطاني على الفور.

رابعا : مرحلة العمل الصهيوني الإنجليزي لتهويد فلسطين ١٣٣٧-١٣٥٨هـ /١٩١٨-١٩٣٩م :

في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها. ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الإستعمار الإنجليزي والفرنسي ، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور ، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط ، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية.

وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة ، ومعاناته ،

---

(٥٤) انظر الوضع الحربي للدول المتحاربة / بيير رونوفن- تاريخ القرن العشرين ص ٥١-٦٠.

(٥٥) فشر - تاريخ أوربا ص ٥٣٢.

فانفردت الصهيونية والإنجليز في فلسطين ، فقد تم التوقيع عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم.

وفي المادة (٢٢) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الإنتداب(٥٦). وفي معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ، انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها ، والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى ، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي ، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي(٥٧). وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية(٥٨) وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا ، وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علنا. وأصبحت فلسطين تحت الإنتداب البريطاني مع الإلتزام بتنفيذ وعد بلفور. وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الإنتداب عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بموجب صك الانتداب الذي نص في ديباجته إقرار وعد بلفور ، كما نصت بنوده على تشجيع الهجرة اليهودية. فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد. ومن أهم ماعملته في هذا السبيل :

١ـ تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

فوصل عدد اليهود من **٥٥** ألفا عام ١٣٣٩هـ/١٩١٩م إلى **١٠٨** آلاف عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م و**٣٠٠** ألفا عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و**٦٥٠** ألفا عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م(٥٩) ، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول(٦٠). وكان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين. في حين كانت توضع مختلف العراقيل أمام المسلمين في التجنس !!

---

(٥٦) انظر شفيق الرشيدات ص ٧٧-٧٨.

(٥٧) رونوفن ج١ ص ١٠٨.

(٥٨) نفسه ص ١٤٢.

(٥٩) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٧٦/بينما كان عددهم عند إعلان تصريح بلفور سنة ١٩١٧م خمسين ألفا أي حوالي ٥٪ من السكان (انظر جارودي ـ اسرائيل ص ١٣٨)

(٦٠) انظر المالكي ص ٦٧،٧٩. وانظر تفاصيل عن الهجرة اليهودية : وليم فهمي ـ الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢- تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية(٦١) ، بطلب من وايزمن وتأييد من السياسي البريطاني أورجسبي غور(٦٢). كما وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة ، وتضمنه الحكومة البريطانية ، وذلك لشراء المزيد من أراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية(٦٣). ووضعت بريطانيا الفلاحين المسلمين في فلسطين في ظروف غاية في القسوة ، تجبرهم على ترك أراضيهم أوبيعها ، كما ساعدت الحدود المصنطعة والاغراءات المالية الصهيونية على أن يبيع الملاكون خارج فلسطين أراضيهم داخل فلسطين ، كسهل مرج ابن عامر (الذي كان يملكه أغنياء بيروت وتجارها أمثال : عائلات بترس وسرسق وتويني ومتى فرح وسليم الخوري)(٦٤) ووادي الحوارث والحولة وغيرها ، وقد استخدمت بريطانيا القوة في طرد المزارعين المسلمين من هذه المناطق وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم. فحصل الصهاينة في الفترة (١٣٤٠-١٣٤٤هـ/١٩٢١-١٩٢٥م) على **٢٦٠** ألف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين(٦٥). وأما من أهالي فلسطين فحصلوا على نسبة ضئيلة معظمها من العائلات النصرانية : كسار ، وروك ، وخوري ، وحنا وغيرهم. وأما الأراضي التي باعها الفلاحون المسلمون فكانت نسبة ضئيلة جدا من الأراضي التي بيعت(٦٦) ، ورغم ذلك فإن اليهود استطاعوا أن يملكوا حتى عام **١٩٤٨م** ٦٪ فقط من مساحة فلسطين ولكن هذه النسبة تساوي **٢٠**٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية.

٣- اعترفت بريطانيا **بالوكالة اليهودية** شريكة في تنفيذ المخططات ، فأصبحت دولة داخل دولة ، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية. وقد تطورت الوكالة

(٦١) المالكي ص ١٩٩.

(٦٢) نفسه ص ١٣٣.

(٦٣) نفسه ص ٢٣٠.

(٦٤) نفسه ص ٤٥. وكان قد ملكها هؤلاء في ظل جمعية الإتحاد والترقي وبدون علم السكان المزارعين.

(٦٥) نفسه ص ٢٥٤.

(٦٦) الكيالي ص ٥٨.

اليهودية بفعل الدعم البريطاني المستمر ، واكتسبت خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب العالمية الثانية. إذ تحكمت في القطاع الإقتصادي اليهودي ، وكان لها مستشفياتها ، وخدماتها الاجتماعية ، وإدارات لمدارسها ، وجهاز استخبارات - حيث كان جميع موظفي الحكومة اليهود - عمليا - مخبرين لديها. كما ضبطت منظمتها العسكرية الخاصة بها وهي الهاجاناه(٦٧).

٤- عينت بريطانيا **هربرت صموئيل** السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة ، وكان يشغل عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م منصب وزير الداخلية ، واتخذ معاونيه من اليهود وعلى رأسهم اليهودي (بنتوليش) الذي تولى وضع القوانين والإشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني(٦٨) ، وفتح مع زملائه اليهود باب الهجرة على مصراعيه حتى يمكن اليهود من السيطرة عليها ، فكان تعيينه ضربة قوية لمسلمي فلسطين ، ففي أعقاب القيام برحلة شاملة كتب الجنرال (بولز) يقول : « إنهم مقتنعون بأنه سيكون متحيزا للصهيونية وأنه يمثل حكومة يهودية لا بريطانية »(٦٩).

٥- اعترفت بريطانيا **باللغة العبرية** لغة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية ، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود ، بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود ، وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م في القدس .

٦- منحت بريطانيا الصهاينة **امتيازات المشاريع** الهامة في فلسطين :

كمشروع روتنبرغ للكهرباء ، وتجفيف بحيرة الحولة ، ومشروع البوتاس على البحر الميت.

موقف المسلمين :

لم يوافق العرب والمسلمون على وعد بلفور ، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل ، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشرسة ،ولغموض وعد بلفور وعدم إدراكهم أبعاده ، أما أهل فلسطين فقد كانوا أكثر المسلمين ادراكا لأبعاد التصريح واكتووا بنار التهويد ، فقاموا بعدة انتفاضات

---

(٦٧) طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار - ص ٢١١.

(٦٨) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٩.

(٦٩) المالكي ص ١٥٨.

تعبر عن شعورهم بالخطر الصهيوني وكانت مطالبهم تنصب على(٧٠) :

١- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

٢- إيقاف الهجرة اليهودية إيقافا تاما.

٣- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

٤- منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى الشروط نفسها.

وكان التيار الإسلامي قويا في حركات أهل فلسطين ، وكثيرا ماناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الأخطار اليهودية على فلسطين(٧١). ومن أهم هذه **الحركات الجهادية** :

١- حركة عام **١٣٤٠هـ/١٩٢١م** : على إثر تصريحات تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الموالية للصهيونية ، وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينة يافا ، ثم امتدت إلى سائر المدن الفلسطينية ، فلجأت بريطانيا إلى سياسة التهدئة ، واتباع أسلوب تشكيل اللجان للتحقيق ، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين ، ثم لاتلبث أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد.

٢- حركة البراق عام **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** : إثر اعتداء اليهود على حائط البراق ، بأن تظاهر اليهود قربه ، ورفعوا العلم الصهيوني ، وأنشدوا النشيد الصهيوني - الهاتكفا - وشتموا المسلمين(٧٢) ، فهب المسلمون يدافعون عن مقدساتهم ، وسقط **١٣٣** قتيلا و**٣٤٠** جريحا من اليهود ، و**١١٦** شهيدا و**٢٣٢** جريحا من المسلمين. وكانت إصابات المسلمين بأيدي القوات العسكرية البريطانية ، كما قدمت بريطانيا ألف شخص إلى المحكمة ، ٩٠٪ منهم مسلمون ، وحكمت بإعدام **٢٦** شخصا بينهم يهودي واحد(٧٣). وتم إعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء **١٧** حزيران **١٣٥١هـ/١٩٣٠م** في سجن عكا ، حيث خلدهم الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته الرائعة - الثلاثاء الحمراء(٧٤).

---

(٧٠) انظر نفسه ص ١٦٥.

(٧١) انظر مذكرات هربرت صموئيل - لندن سنة ١٩٤٥م ص ١٦٨.

(٧٢) المالكي ص ٢٣٦، تقرير لجنة شو ص ٥٣.

(٧٣) المالكي ص ٢٤٠، تقرير لجنة شو ص ٦٥.

(٧٤) المالكي ص ٢٤١، ديوان إبراهيم طوقان.

وفي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣١م إستغلت الصهيونية الإضطهادات النازية لليهود في المانيا ، فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين ، وتدفقت الهجرات ، فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهما المؤتمر الإسلامي بمناسبة الاسراء والمعراج في القدس ، إشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه ٢٢ بلدا ، وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي ، لولب هذا المؤتمر ،وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيرا والمفتي الأكبر ، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد ، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي(٧٥) :

١- وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة ، تجتمع دوريا ، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويحدد لها أهدافا سامية ، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه.

٢- إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى : جامعة المسجد الأقصى. وتأليف دائرة معارف إسلامية.

٣- الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي ، وشجب السياسة البريطانية.

٤- تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين.

٥- تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية ، لأنها ملك للمسلمين.

٦- استنكار السياسة الإستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر ، والطليانية في ليبيا ، والإفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي ، والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب.

كما أظهر مسلمو الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع جهاد أهل فلسطين وأعلنوا يوم ١٦ أيار من كل عام يوما للتضامن مع شعب فلسطين(٧٦). وتلقت السلطات البريطانية معلومات سرية عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م تتعلق بمخطط إسلامي يرمي إلى إنقاذ الأقطار العربية ولاسيما فلسطين وسوريا من الحكم الأجنبي ، ودلت التقارير الدولية أن الأمير شكيب أرسلان كان قائد هذه الحركة ، وكان على اتصال بجميع كبار الزعماء العرب والأقطار الإسلامية.

---

(٧٥) ناجي علوش - المقاومة العربية في فلسطين ص ٧٢-٧٣.

(٧٦) المالكي ص ٢٦٣- انظر وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١٧١.

ودلت هذه المعلومات أيضا على أن الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي مشتركان في هذا المخطط ، الذي يقوم على تنظيم عصابات مسلحة في كل من شرقي الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء ، للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد(٧٧). وهكذا كانت قضية فلسطين تكتسب الطابع الإسلامي.

٣- حركة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م

الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين ، وكان قائدا بارزا ، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات ، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. تجول في قرى شمال فلسطين واستثار روح الجهاد ضد الانجليز واليهود على السواء ، وفي عام **١٩٣٥م** أرسل إلى المفتي أمين الحسيني طالبا إعلان الثورة في الجنوب في الوقت الذي يعلنها هو في الشمال ، وقيل إن الحاج أمين أجابه بأنه يؤثر التوصل إلى حل سياسي على اللجوء إلى ثورة مسلحة(٧٨). فقاد الشيخ القسام الحركة بنفسه عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م واستشهد في أحراج يعبد قرب مدينة جنين. وكان معظم مجاهدي فلسطين من تلامذته وأعضاء في تنظيماته(٧٩). ومن الجدير بالذكر أن حركته متزامنة مع ظهور حركة العلماء المسلمين في الجزائر.

٤- الثورة الفلسطينية الكبرى : ١٣٥٥-١٣٥٨هـ/١٩٣٦-١٩٣٩م :

تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية ، وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني ، الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة ، بالنظر إلى مايعانيه يهود المانيا من اضطهاد النازية ،فزاد ذلك الطين بلة ، وصب الزيت على النار المشتعلة ، فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام **١٣٥٢هـ/١٩٣٣م** وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة(٨٠). ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها ، فبدأ الناس بإضراب استمر ستة شهور

---

(٧٧) المالكي ص ٢٦١،٢٦٧ ، عن تقرير البوليس الفلسطيني - الحركة الإسلامية العربية الثورية ١٩٣١/٥/٢١م.

(٧٨) صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢١.

(٧٩) المالكي ص ٢٩٣.

(٨٠) المالكي ص ٢٨١-٢٨٣.

وهو أطول إضراب عرفه التاريخ ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين ، واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية .

ومن أبرز قادة هذه الحركة المسلحة **فوزي القاوقجي** ، الذي كان قد بدأ حياته كضابط في الجيش العثماني أثناء الحرب ، ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب ، فحصل على وسام من أعلى الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات ، ولكنه انضم إلى الثورة السورية عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م ، وحكم عليه بالإعدام ، إلا أنه هرب إلى الحجاز حيث عمل مستشارا للملك عبد العزيز آل سعود ، ثم مالبث أن التحق بالجيش العراقي ، واستقال عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ليتسلم قيادة الثورة الفلسطينية (٨١). **وسعيد العاص** والشيخ **محمد الأشمر** وكانا قد وصلا خلال الأسبوع الأول من أيلول عام **١٩٣٦م** نتيجة مساعي المفتي ، واستشهد العاص في تشرين الأول سنة ١٩٣٦م(٨٢).

وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال (ديل) من القضاء على هذه الحركة ، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل ، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب وأوقف أهل فلسطين الثورة ، وأنهوا الإضراب ، بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك.(والإعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة)(٨٣) وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والإنجليز من هذه المناشدة :

أـ وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها.

ب ـ بدأت القضية تتحول من الإتجاه الإسلامي إلى إتجاه عربي.

جـ أتاحت الفرصة لإعادة التخطيط ، والتقاط الأنفاس ، للتوثب إلى مرحلة قادمة. فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل ، إنتهت في تقريرها سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م إلى : أن أفضل حل هو تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية : وتنضم إلى شرقي الأردن ، وأخرى يهودية. إلى جانب منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم مع ممر إلى البحر عند يافا ، يتضمن اللد والرملة تظل تحت الإنتداب البريطاني.

رفض أهل فلسطين التقسيم وناشدت اللجنة العربية العليا الحكام العرب

---

(٨١) نفسه ص ٣١٧.

(٨٢) نفسه ص ٣١٨.

(٨٣) الكيالي ص ٣٢١ عن تقرير لجنة بيل ص ١٠١.

والعالمين العربي والإسلامي بالتضامن مع أهل فلسطين وأبلغت الرفض لعصبة الأمم.

واحتج الصهاينة على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضية ، ولكن وايزمن وافق عليها ، وفي مقابلة مع اورجسبي غور وعد : « بأن يبذل كل مافي وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم ، ومساعدة البريطانيين على إجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم إلى شرقي الأردن » وقال وايزمن : « إن الفرنسيين أيضا يعطفون على فكرة التقسيم وإقامة دولة يهودية باعتبارها قلعة للديمقراطية الغربية تبنى في الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط »(٨٤).

عقدت بريطانيا مؤتمرا شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والعراق ، وشرق الأردن ـ وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية:

أـ وقف الهجرة اليهودية.

بـ منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود.

جـ قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود.

دـ أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط.

لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عدلت فيه عن مشروع التقسيم ، ووضحت سياسة الحكومة ـ ومن بنوده(٨٥) :

أـ تحديد الهجرة اليهودية ب **٧٥** ألفا من اليهود كل عام تنتهي عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م.

بـ تحديد إنتقال الأراضي إلى اليهود ، وترك ذلك للمندوب السامي.

جـ تمنح البلاد الاستقلال بعد ١٠ سنوات.

كانت معظم البنود الواردة في الكتاب الأبيض يكتنفها الغموض والإبهام ،

---

(٨٤) الكيالي ص ٣٣٢.

(٨٥) انظر د. صلاح العقاد ـ المشرق العربي المعاصر ص ٢٢٨، ود. عبد الرحيم أحمد حسين ـ النشاط الصهيوني ص ٣٢.

شأن التصاريح البريطانية والصهيونية عادة ، وقد أعلنت بريطانيا عزمها على تنفيذ هذه النصوص رضي العرب واليهود أوسخطوا.

وكان من نتائج هذا التصريح على أهل فلسطين أن أوجد خلافات في الرأي بين القيادات الفلسطينية بالنسبة لسياسة بريطانيا ، كما أوجد اختلافا في الرأي بين القيادات العربية الأخرى ، وهو أمر يتفق مع رغبات بريطانيا ورغبات الصهيونية(٨٦) لتتمكنا من التخطيط لخطوة أخرى.

خامسا : مرحلة العمل لإقامة الدولة الصهيونية الفعلية ١٣٥٨-١٣٦٨هـ/١٩٣٩-١٩٤٨م :

نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض(٨٧) ، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقاومته داخل فلسطين ، فقاموا بثورة أخذت فيها العصابات اليهودية الإرهابية مثل (شتيرن) و(الأرغون) تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطارات البريطانية ، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العامة ، وقتلت عددا من الضباط والجنود البريطانيين ، واغتالت اللورد (موين) وزير الدولة البريطانية في القاهرة(٨٨). وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل ، دون أن تلجأ إلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين !

وقامت الصهيونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والدوائر الإستعمارية ، واستغلت في ذلك الدعاية (اللاسامية) ، واضطهاد اليهود علي يد الحزب النازي بزعامة هتلر في المانيا ، والحزب الفاشي في ايطاليا ، وطالبت بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين أمام النازحين اليهود المشردين ! ولم تتورع الصهيونية عن إتخاذ أي أسلوب مهما كان نوعه من أجل تحقيق أغراضها ، كإغراق السفينة (باتريا) عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م وادعاء الانتحار الجماعي ، والسفينة (ستروما)(٨٩) ١٣٦١هـ/١٩٤٢م ، وتصوير حكومة بريطانيا بأنها تقف في وجه اليهود المنكودين ، وضد العودة إلى وطنهم الموعود !! لاكتساب الرأي العام الانجليزي والأمريكي!

(٨٦) النشاط الصهيوني ص ٥٠.

(٨٧) النشاط الصهيوني -(ردود الفعل الصهيوني)- ص ٣٢-٤٣.

(٨٨) انظر - أحمد طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(٨٩) نفسه ص ٣٥،٤١.

واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري ، فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم (الهاجاناه) ، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحارب إلى جانب الحلفاء ، فزودتهم بريطانيا بالأسلحة الحديثة والدبابات والعتاد الحربي ، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب ، على أيدي الجنود البولنديين اليهود الذين فروا بأسلحتهم(٩٠) حتى قدرت القوات الصهيونية المحاربة في فلسطين عام **١٩٤٧م** بسبعين ألفا مسلحين بأحدث الأسلحة. هذا بالإضافة إلى قوة البوليس اليهودي المركزية التي كانت تخضع للإدارة البريطانية ، وقد بلغ عدد هذه القوة ألفين ، كما أنشأت منظمات إرهابية سرية ، الأرجون زفاي ليومي (المنظمة العسكرية الوطنية) ، وعصابة شتيرن (باسم رئيسها ابراهام شتيرن). وفي أوربا كانت حركة (بيتار) أي منظمة الشباب اليهودي في أوربا ، وتهدف إلى تربية جيل يهودي مستعد للعمل من أجل أهداف الصهيونية ، وإقامة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، وقد أصبح مناحيم بيغن رئيسا لها قبل أن يتزعم حركة الأرجون ، وقد اتحدت الهاجاناه مع عصابات شتيرن والأرجون منذ عام ١٩٤٧م مكونة مايسمى باسم : جيش الدفاع الاسرائيلي(٩١).

وفي مقابل هذه الصورة لم يكن في فلسطين في ذلك الوقت أية منظمات عسكرية مسلحة أو جماعات مسلحة مسلمة ، كما أثبتت ذلك صراحة لجنة التحقيق الانجلو أمريكية في تقريرها عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، في معرض المقارنة بين قوة العرب وقوة اليهود في فلسطين.

واتجهت الصهيونية في جهودها إلى الولايات المتحدة ، فركزت عليها سياسيا وإعلاميا ، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبريطانية سابقا ، التقت أهداف الصهيونية مع أهداف الولايات المتحدة زعيمة الإستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين ، وأخذت تحاول أن تحل محل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في استعمار البلاد الإسلامية ، فعقدت الصهيونية **مؤتمر بلتيمور** الصهيوني في فندق بلتيمور بنيويورك عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بازل في أهميتها ومنها(٩٢) :

١- ضرورة قيام سريع للدولة اليهودية في فلسطين كجزء من العالم الديمقراطي

---

(٩٠) طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ٣٤.

(٩١) محمد عبد العزيز منصور- يامسلمون اليهود قادمون - عن بيغن في كتابه :اليهودي المحارب.

(٩٢) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص٤٤.

الجديد.

٢- رفض الكتاب الأبيض لعام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م والضغط على بريطانيا لإلغائه.

٣- إطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت إشراف الوكالة اليهودية.

٤- إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء.

ولأهمية قرارات هذا المؤتمر صرح ابن غوريون في خطاب ألقاه في تل أبيب سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م بقوله :

« إن الصهيونية انتهت من وضع خططها النهائية لإعلان فلسطين دولة يهودية ، وإن اليهود لا يستغنون عن أي قسم منها، حتى ولو كان قمم الجبال وأعماق البحار »(٩٣).

فقد أتمت الصهيونية وبنجاح كبير ربط اليهودية الأمريكية أيضا بالقضية الصهيونية ، واستطاعت الوصول إلى أهدافها في أمريكا بفضل حملات التجهيل والتحايل والتزييف ، نفذتها الصهيونية على أعلى المستويات الأمريكية وأدناها ، ويعود سكوت المسئولين الأمريكيين عن الدعاية الصهيونية إلى أسباب سياسية بالدرجة الأولى والتي تكمن في طبيعة الإنتخابات الأمريكية ودور الصهيونية الخطير فيها ، وتأثير الصهيونية في الإنتخابات كان ولايزال يعزى إلى :

١- المال الصهيوني وهو عصب الإنتخابات وعمودها الفقري.

٢- وسائل الدعاية والإعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أوتشرف عليه.

٣- تنافس الحزبين الأمريكيين على اكتساب أصوات الأقليات.

فكسبت الصهيونية (كما هي عادتها) معظم معاركها بواسطة الإعلام التضليلي وأساليبه المدروسة. فتمكنت من كسب الرأي العام الأمريكي الشعبي والكونغرس والحكومة(٩٤).

ويجب أن نلفت الإنتباه في هذا المجال أنه ليس بصحيح وصف الجماعات الصهيونية بالمتطرف والمعتدل والوسط ، لأنهم جميعا :

أ- يتفقون في نهاية الأمر على إنشاء الدولة اليهودية وطرد المسلمين.

ب- يبدلون مواقفهم حسب مقتضى الحال ، فخلافهم ليس من حيث المبدأ وإنما تباين وجهات نظرهم على الوسائل الأكثر جدوى ، وهذا يتيح لهم التوزع

---

(٩٣) شفيق الرشيدات - فلسطين - ص ١٥٣.

(٩٤) انظر - أحمد طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار. ص ٨٠-٨١ ، ص ١٠٤.

والانتشار في مختلف الفئات والجهات والتأثير فيها وتوجيهها لمصالحها الخاصة.

لذلك ألقت الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب الصهيونية ، فألغيت بنود الكتاب الأبيض عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بعد أن تجمدت طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ، وخاصة فيما يختص بالهجرة وتحديدها. ويمكن أن توضح **السياسة الصهيونية نحو الهجرة على النحو التالي**(٩٥):

١- إنتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح وإقناعهم بالهدف الصهيوني.

٢- التركيز على هجرة الأطفال بدعوى الإنسانية ، والهدف هو تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبوا صالحين عسكريا ومعنويا ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني.

٣- إتجهت إلى يهود البلاد العربية وحققت نجاحا عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

٤- إستخدمت الضغوط وتزييف الحقائق من أجل إجبار الشباب اليهودي الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين.

وحاولت أمريكا بزعامة **روزفلت** أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم ١٩٤٥/٢/١٤م بعد مؤتمر يالطا ، وحاول إقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضا قاطعا وقال له : « أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم »(٩٦). وكذلك حاول **تشرشل** معه نفس المحاولة فأجابه الملك عبد العزيز : « إن ماطلبه تشرشل لا يتعلق بمساعداتنا لبريطانيا ، إنه خيانة للرسول وللمسلمين ولا أستطيع الإذعان أو أخذ أي خطوة في هذا الإتجاه ».

وطالب عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت. فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لايقبل بتأسيس الكيان الصهيوني(٩٧) اليهودي على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز.

---

(٩٥) النشاط الصهيوني ص ١٠٦-١٠٧.

(٩٦) النشاط الصهيوني ص ٣٠٨-٣٠٩. وانظر (من المحاولات البريطانية أيضا بالاشتراك مع فيلبي) خطط الصهيونية والاستعمار ص ١١١-١١٢. « فقد عرض الانجليز على الملك عبد العزيز زعامة البلدان العربية ، على أن تعلن فلسطين برمتها وطنا قوميا لليهود بعد ترحيل أهلها عنها. ووضع عشرين مليون جنيه استرليني تحت تصرف ابن سعود لإعادة توطينهم. فاستشاط ابن سعود غضبا ، وصب ازدراءه على وايزمن واتهمه برشوته ، وعلى فيلبي صاحب الاقتراح ».

(٩٧) نفسه ص ٣١٢.

واندفع **ترومان** الرئيس الأمريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيونية وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة **١٩٤٥م** وتتضمن :

١ـ إعلان الدولة اليهودية.

٢ـ الترخيص للوكالة اليهودية بالإشراف التام على الهجرة ليتحقق الإنقلاب العنصري الذي يعتبر الأساس في تحقيق الخلاص القومي اليهودي (على حد تعبيرهم) وذلك :

أـ بتهجير جميع يهود العالم إلى أرض التجمع اليهودي ـ فلسطين.

ب ـ نزوح غير اليهود عن فلسطين(٩٨).

وكان أول مظهر لتدخل أمريكا الفعلي تأليف لجنة تحقيق بريطانية ـ أمريكية عام ١٩٤٦م أوصت في تقريرها بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين في الحال ، وإصدار بيان صريح بأنه لن تتكون في فلسطين دولة عربية أو يهودية ، وتبقى حكومة الإنتداب إلى أن يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة(٩٩).

ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام **١٩٤٦م** ، فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في العام نفسه لتجمع بين العرب واليهود باشرافها ، فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائدة واحدة ، أو الإعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين ، أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم ، ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا **مشروع موريسون** للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي(١٠٠) :

١ـ المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك اليوم.

٢ـ القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منها.

٣ـ النقب.

٤ـ المنطقة العربية.

بحيث تكون حدود هذه المناطق إدارية بحتة ، لكل منطقة مجلس نيابي محلي ،

---

(٩٨) انظر طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ٢٣٩ ، ص ٣٩٢.

(٩٩) النشاط الصهيوني ص ١٠٨. وانظر ـ طربين ص ٢٨٥-٣٣٣.

(١٠٠) طربين ص ٣٥٨.

يخول له سن القوانين في أمور معينة ، وهيئة تنفيذية تقوم بتنفيذ هذه القوانين ، ويتضمن المشروع إدخال (١٠٠ألف) يهودي إلى فلسطين في الحال ، واستمرار حركة الهجرة بعد ذلك.

ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود ، فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة ، وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الإنتداب على فلسطين ، وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم **٢٥** مايو ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ.

وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :

١- الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية.

٢- الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر سبع التي تضم النقب.

٣- توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية.

٤- تنال الدولتان استقلالهما بعد مرحلة انتقال مدتها عامين تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.

٥- قبول **١٥٠** ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة بمعدل خمسة آلاف مهاجر في كل شهر.

في سبيل تحقيق المطامع الصهيونية قضى مشروع التقسيم هذا بأن تكون مساحة القسم المخصص لأهل فلسطين **١٢** ألف كم٢ يقطنها **٦٦١** الفا منهم **١١** ألفا من اليهود فقط ، ويملك فيها اليهود **١٠٠** كم٢ فقط ، أما مساحة القسم المخصص لليهود فقد قدرها المشروع بنحو **١٤** الف كم٢ يقطنها **٩٩٠** ألفا ، منهم **٤٩٠** ألفا من اليهود و**٤٨٩** ألفا من العرب ، والباقي من جنسيات مختلفة ، ولا يملك اليهود منها إلا ثلث أراضيها فقط.

كان لقرار التقسيم وقع سيء على البلاد العربية والإسلامية وعلى مسلمي فلسطين بصفة خاصة ، أقبل بعدها الشباب المسلم على التطوع ، وتدفقوا على فلسطين ، واعتمدت الأموال اللازمة للانفاق ، وقامت مصادمات عنيفة بين العرب واليهود في شتى أنحاء فلسطين أسفرت عن مئات القتلى والجرحى ، فسارعت الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن تعرض شكواها ضد الحكومات

العربية ، متهمة إياها بالتآمر ضد التقسيم ، وذلك بتدعيمها القتال الجاري في فلسطين ، طالبة أن ينفذ التقسيم بالقوة.

وفجأت أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الإنتداب على فلسطين في **١٤** مايو **١٩٤٨م** ، وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمر فيها ، بالإستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية والمنشآت الهامة ، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن لتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية إمدادات إليها ، فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين وقبية ، وناصر الدين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية ، التي لم تحرك ساكنا لإنقاذ أهلها العزل من السلاح ، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان ، مخلفة وراءها كل ماتملك من مال وعقار. يقول بيغن : « لقد خلقنا جوا من الرعب المجنون ، جعل أكثر من (٧٥٠) ألف عربي يفرون ، تاركين وراءهم كل شيء .. الأمر الذي كان له أهمية سياسية واقتصادية لاحدود لها »(١٠١).

وفي منتصف ليلة ١٩٤٨/٥/١٥م/١٣٦٧هـ غادر المندوب السامي فلسطين ، وأعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل ، واعترفت بها الولايات المتحدة بعد لحظات من قيامها ، كما اعترف بها الإتحاد السوفييتي(١٠٢) وأعقب ذلك اعتراف جميع دول أوربا الغربية وأرسلت الجمعية الوطنية بفرنسا تحية الإخاء إلى إسرائيل. كما اعترفت بها تركيا وإيران من بلاد المسلمين.

وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى ، وقامت دولة اليهود المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام. وتحولت الوكالة اليهودية إلى حكومة مؤقتة لدولة اليهود عام **١٩٤٨م**.

سادسا : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية ١٣٦٨-١٣٨٧هـ/١٩٤٨-١٩٦٧م :

رفضت البلاد العربية الإعتداء الصهيوني ، فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية ، وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل

---

(١٠١) اليهود قادمون ص ٣٢ عن بيغن في كتابه الثورة.

(١٠٢) وقد صرح غروميكو وهو ينقل اعتراف بلاده بالدولة اليهودية : « لقد أيدنا خلق الدولة اليهودية ، فنحن نصر على الإعتراف الكامل بها ، وحمل الأمم المتحدة على تنفيذ ذلك ، وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة » (اليهود في المعسكر الشرقي ص ٥١-سنقرط) فتدبروا أيها المسلمون!!

الجهادي قد أجبرت ١١٥ ألف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس ، نتيجة حصارهم ، باحتلال مضيق باب الواد وإقفاله ، وقام أفرادها بعدة معارك ، ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والإنجليزية ، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية ، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الإنقاذ الذي كلف بإنشائه الفريق طه الهاشمي واللواء إسماعيل صفوت والقائد فوزي القاوقجي من الضباط والجنود المتطوعين من البلدان الإسلامية المختلفة.

ولما دخلت القوات العربية إلى فلسطين لم يتجاوز عددها العشرين ألفا ، تقدمت في مناطق عربية في الغالب ، ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة ، عندما تحركت إلى المناطق اليهودية ، وعلى الرغم من سوء التخطيط والفساد ، والضغط الأجنبي على الحكومات العربية ، التي كانت مصائرها في يد الإستعمار فقد حققت هذه الجيوش بعض النجاح ، فتعرضت الدول العربية للضغط الهائل من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا ولحملها على قبول الهدنة في ١٩٤٨/٦/١١م ، فتمكن اليهود من تحسين موقفهم العسكري بالحصول على الأسلحة الثقيلة والطائرات والمتطوعين ، في حين طبق الحظر الكامل على الدول العربية(١٠٣). فلما استؤنف القتال في ١٩٤٨/٧/٩م أصيبت الجيوش العربية التي التزمت جانب الدفاع بالإنتكاسات المتوالية ، رغم البطولة التي أبداها أهل فلسطين والمتطوعون المسلمون ، فقبلت الدول العربية الهدنة الثانية في ١٩٤٨/٧/١٨م التي استفاد منها اليهود فائدة كبيرة ، فقد دخل اليهود بعدها مصر ولبنان فكانت عدة تطورات في المواقف منها :

١- إتفاقيات هدنة رودس مع كل من مصر ولبنان والأردن وسوريا عام ١٩٤٩م ، وقد سيطرت إسرائيل بموجبها على ٧٧٪ من أراضي فلسطين ، عوضا عن ٥٦٪ من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب مشروع التقسيم ، كما أعطت إسرائيل فرصة البناء والتنظيم بأن نصت على وجود مناطق مجردة من السلاح بين سوريا وإسرائيل ، والأردن وإسرائيل ، ومصر وإسرائيل ،ولقد اتصف العرب بتقيدهم الكامل بتلك الإتفاقيات والإحترام لها ، أما إسرائيل فقد خرقتها في مناسبات عديدة.

٢- أصدرت الدول الإستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في ١٩٥٠/٣/٢٥م التصريح الثلاثي ، بضمان حدود إسرائيل ، والمحافظة

(١٠٣) (الشرق الأوسط ص ٨ الخميس ١٩٨٤/٣/٨م).

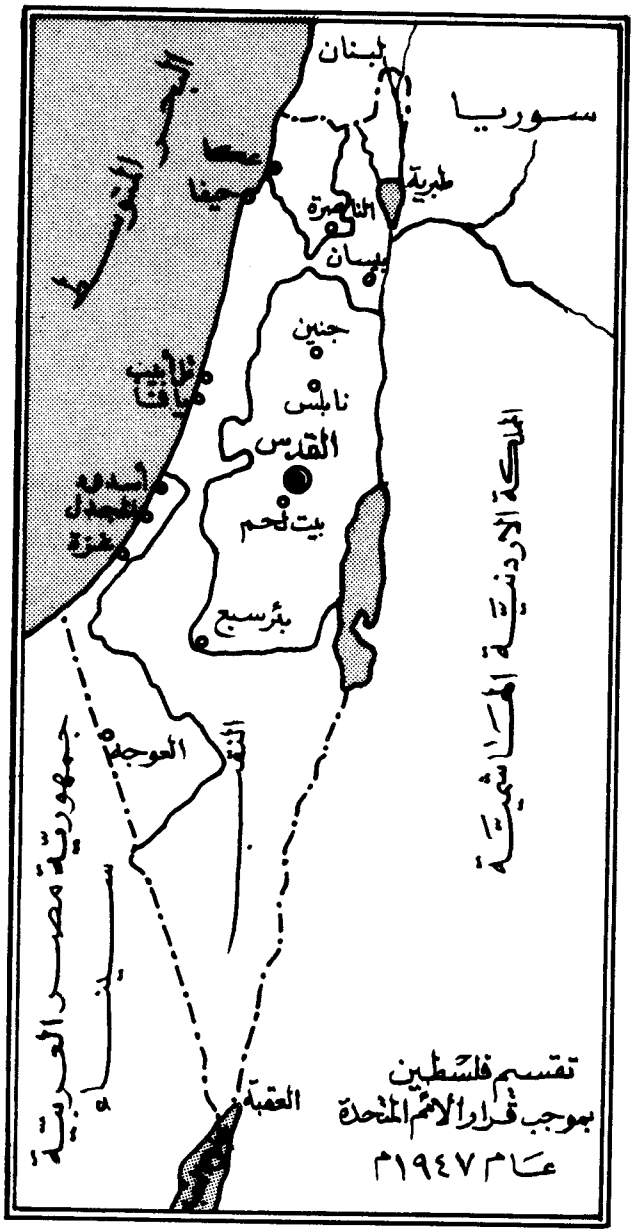
لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
حيفا
طبرية
الناصرة
بيسان
جنين
نابلس
القدس
بيت لحم
بئرسبع
المملكة الأردنية الهاشمية
العوجة
جمهورية مصر العربية
العقبة
تقسيم فلسطين
بموجب قرار الأمم المتحدة
عام ١٩٤٧م

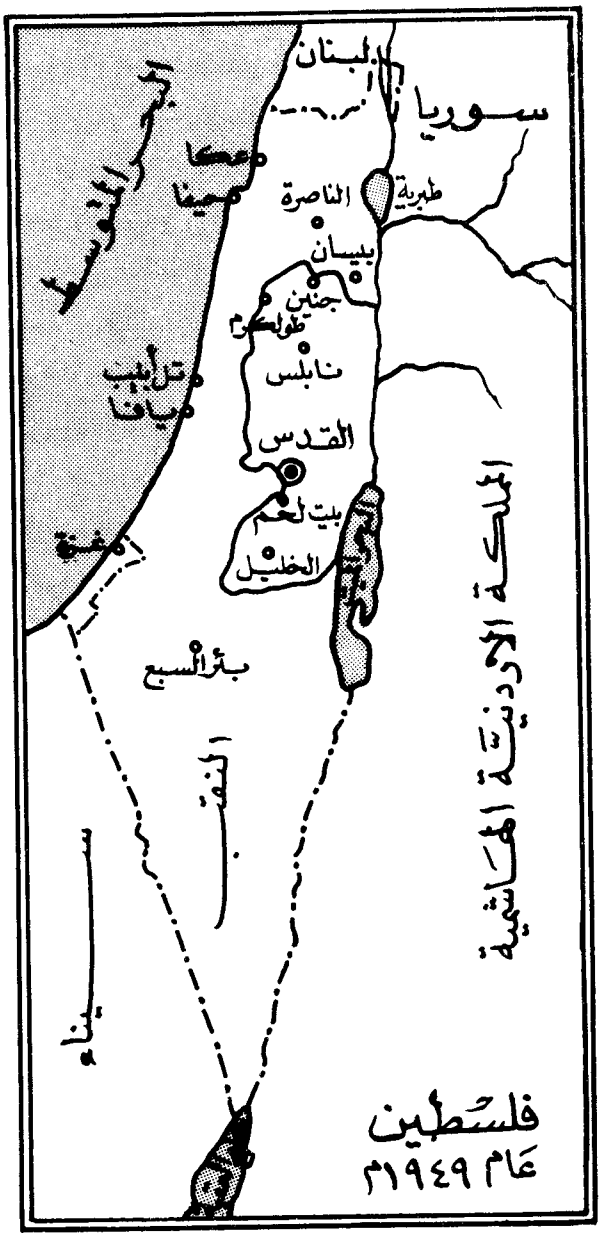
لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
النقب
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين
عام ١٩٤٩م

على كيانها الصهيوني ، ضد أي خطر محتمل يتهددها ، كما قامت تلك الدول بدعم إسرائيل إقتصاديا وعسكريا من أجل خدمة المصالح الإستعمارية في المنطقة العربية ، وتعهدت بجعل قدرة إسرائيل العسكرية أعلى من قدرات كل الدول العربية مجتمعة. وأما روسيا فقد أمدت إسرائيل بأهم من ذلك - بالعنصر البشري - المدرب على القتال ، ليتم الغزو اليهودي الاستيطاني.

٣- اعترف المستشار الألماني الغربي (**أديناور**) باستحقاق إسرائيل للتعويضات طبقا لاتفاقية لوكسمبورغ عام **١٩٥٢م**. وتهدف أموال هذه التعويضات بصراحة إلى : تمويل إجراءات توطين اليهود المهاجرين إلى فلسطين. وقد اعتبرت المانيا ذلك التزاما خلقيا ، وقانونيا لليهود الذين تعرضوا للاضطهاد الألماني النازي(١٠٤).

واستمرت ألمانيا الغربية تدعم الوجود اليهودي على أرض فلسطين المسلمة مع القوى الأوروبية الأخرى. ففي عام **١٩٦٠م** عقد المستشار (اديناور) إتفاقية سرية مع إسرائيل في نيويورك لتوريد الأسلحة إليها ، وذلك بناء على طلب من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية(١٠٥).

٤- **مشروع جونستون عام ١٩٥٤م :**

قدم جونستون - مندوب الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) الخاص المكلف ببحث القضية الفلسطينية - تقريرا مفصلا عام **١٩٥٤م** بني على ثلاث نقاط رئيسية هي :

أ- تقسيم مياه نهر الأردن بين العرب واليهود ، ١٠٪ لكل من سوريا ولبنان ، ٤٠٪ لكل من الأردن وإسرائيل. بحيث تأخذ اسرائيل هذا القدر لاستصلاح صحراء النقب لإيواء ثلاثة ملايين من المهاجرين اليهود. وتأخذ الأردن حصتها لاستصلاح ثلاثة ملايين دونم (في الضفة الغربية) لتوطين اللاجئين العرب.

ب- تحديد حدود ولو مؤقتة بين الكيان الصهيوني والبلاد العربية المجاورة ، تحدد نهائيا فيما بعد ، على أن تترك شقة حزام عرضها (٢٠٠متر) بين البلاد العربية وإسرائيل على طول الحدود.

ج- جلوس العرب واليهود على مائدة مستديرة لحل الخلافات المتبقية إذا كانت هناك خلافات.

وقد رفض مشروع جونستون من قبل العرب. وسارت دولة اليهود في تنفيذه.

---

(١٠٤) ألمانيا والعالم العربي ص ١٤،ص ٢٠.

(١٠٥) نفسه ص ٢٣.

٥- **العدوان الثلاثي على مصر** عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م : ففي هذا العام أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس ، فقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو الأراضي المصرية ، ويهمنا في هذا العدوان نتائجه :

أ- حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البريطاني والفرنسي ، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الإنسحاب.

ب- وضعت قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصري من الحدود بين إسرائيل ومصر لتحول دون وقوع الحرب بين الطرفين ، وقد أدى هذا إلى توقف النشاط الفدائي في قطاع غزة وحصلت إسرائيل على ضمانات بتوقفه ، وإلى فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية والإتصال بإفريقيا ، وكلها مكاسب ثمينة لإسرائيل ، فقد صرح موشى ديان قائد العدوان اليهودي على سيناء بعد انسحاب قواته قائلا : « إن فتح خليج العقبة يعدل في أهميته قيام اسرائيل عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م »(١٠٦).

ج- أتاحت الفرصة للشعارات الثورية والتقدمية والقومية أن تملأ أسماع المنطقة بوسائل الإعلام المختلفة ، فتقلصت الإتجاهات الإسلامية واتهمت بالرجعية وهوجمت بعنف.

٤- **معركة المياه** : رغبت الدولة اليهودية بتحويل مياه نهر الأردن وتوصيلها إلى النقب لتوفير مصدر للمياه يساعد على استيعاب مهاجرين جدد ، حسب مشروع جونستون ، ليصبح النقب قاعدة انطلاق لليهود صوب شبه الجزيرة العربية(١٠٧) ووادي النيل.

فعقد مؤتمر قمة عربي في كانون الثاني عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وقرر المؤتمر إنشاء القيادة العربية الموحدة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وهيئة فنية تعد دراسات تهدف إلى تحويل روافد نهر الأردن منعا لليهود من إتمام مشروعهم.

وبدأ اليهود بمشروعهم ، فعقد مؤتمر قمة ثان في الإسكندرية في أيلول من العام نفسه، وكانت قراراته بالإضافة إلى الترحيب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني ، إقرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني.

وكانت النتيجة أن نجحت الدولة اليهودية في تحويل مياه نهر الأردن ، وبدأت

---

(١٠٦) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٠.

(١٠٧) نجيب صالح ص ١٣٥.

تتجه القضية إلى الإقليمية الضيقة.

وفي هذه المرحلة نجحت القوى اليهودية عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م في الحصول على وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من مسئولية دم المسيح عليه السلام (على زعم النصارى) فاكتسبوا التأييد الديني النصراني الكاثوليكي للإحتلال ، وانضمت الكنيسة الكاثوليكية إلى البروتستنت في تأييد حق اليهود المزعوم. كما تمكن اليهود من الإستحصال على وثيقة ثانية من الفاتيكان عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م تتضمن الإرشادات لتنفيذ النصوص التي وردت في الوثيقة الأولى ، وهي الإرشادات التي تدعو النصارى للتعمق في استيعاب وتفهم الطقوس اليهودية ، واعتبار اليهود أخوة ، والتأكيد على المباديء المشتركة بين الديانتين وليس على المتناقضات بينهما. وتمثل ذلك الإعتراف الواقعي للفاتيكان بالكيان اليهودي ، وتمثل في صور متعددة من أخصها إستقبال البابا للرؤساء والوزراء اليهود. وتعهد البابا بالتوقف عن النشاط التبشيري بين اليهود في فلسطين المحتلة. ومن أثر الإرشادات أن الكنيسة تؤيد اعتبار اليهود : شعب الله المختار.

وفي عام ١٩٨٥م كانت وثيقة ثالثة تؤكد على أن يتفهم الكاثوليك ويتعلموا الأوامر الفريدة التي تجمع بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود الذين اختارهم الله للتمهيد لعودة السيد المسيح (على زعمهم) ولم يتبق إلا الاعتراف الدبلوماسي(١٠٨).

سابعا : مرحلة التوسع اليهودي : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م - ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

تعمد اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والإشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، وتعرضت مصر للإنتقادات لوجود قوات الطوارىء الدولية ، فطلبت من الأمم المتحدة سحبها ، ثم أغلقت خليج العقبة في وجه الملاحة اليهودية في ٢٢ آيار ١٩٦٧م ، ففاجأ اليهود الطيران العربي في مصر وسوريا والأردن بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧م ، واحتلوا سيناء وقطاع غزة من مصر ، والجولان من سوريا ، والضفة الغربية من الأردن ، وسميت هذه الحرب المذلة بحرب الأيام الستة.

---

(١٠٨) الدعوة - العدد ١٧ - دلهي الهند - ١٥محرم ١٤٠٦هـ/١٠/١/١٩٨٥م ص ٣-٤.

ومن أهم نتائجها :

أ- أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجا من قومية واشتراكية وثورية وغيرها. وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ، وإلى دينها. فهي تمثل في الحقيقة منعطفا نحو إدراك الأمة لذاتها.

ب- زادت من غرور العسكرية اليهودية ومن ثقة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي.

وفي **٢٢** تشرين الثاني عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم **(٢٤٢)** والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب عام **١٩٦٧م**(١٠٩) ، وعلى إنهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية ، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ورغم أن القرار كله في صالح اليهود فقد رفضوه واعتبروا أن ماوصلوا إليه من حدود هو الحدود الآمنة الطبيعية ، وأقاموا على الضفة الشرقية لقناة السويس ماعرف بخط بارليف ، كما أقاموا على الجبهة السورية تحصينات وخنادق مماثلة.

وحاولت إسرائيل إزالة **المسجد الأقصى** أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه ، فقد هرع الحاخام (شلومو غورين) حاخام الجيش الصهيوني إلى ساحة المسجد الأقصى سنة **١٩٦٧م** مصطحبا مجموعة من مساحي سلاح الهندسة في الجيش ، وأخذ المقاييس ليحدد وفق توراته المزعومة مكان قدس الأقداس الذي سيبنى عليه الهيكل اليهودي ، فحدد المكان الذي يقع تحت قبة الصخرة المشرفة ، ودعا اليهود منذ ذلك الوقت إلى التحول إلى الصخرة عن حائط البراق للصلاة فيها لا للبكاء على الحائط ، كما دعا إلى إقامة كنيس يهودي في ساحة المسجد الأقصى. ووجه الماسونيان غرايدي تيري وزميله أودي

---

(١٠٩) نص النص الفرنسي على : « انسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق التي جرى إحتلالها خلال الصراع الأخير » في حين ذكر النص الانجليزي : « انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية عن مناطق جرى احتلالها أثناء الصراع الأخير ». وكانت الميوعة المتعمدة في نص القرار مادة للدعاية الصهيونية (المانيا والعالم العربي ص ٢٨) ، وجرت الصهيونية والدول الكبرى على ذلك واعتادت تفسير القرارات لصالحها دائما!!.

«١»
مشروع تقسيم
لجنة
بيل الملكية

«٢»
مشروع
التقسيم ١٩٤٧م

«٣»
مشروع
الكونت برنادوت

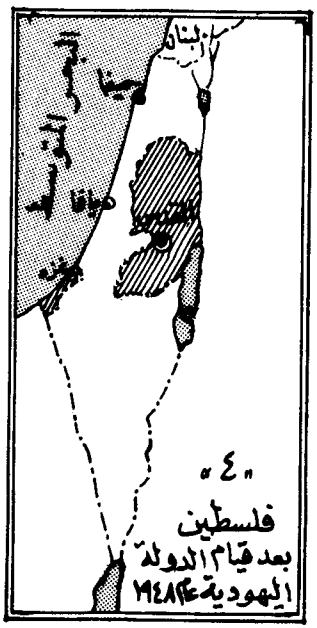

«٤»
فلسطين
بعد قيام الدولة
اليهودية ١٩٤٨م

مورفي ـ العضوان في محفل قدماء الماسونية ـ رسالة إلى أمين القدس ـ السيد روحي الخطيب ـ عرضا فيها شراء المسجد الأقصى بمائتي مليون دولار وبناء الهيكل بإشراف مؤسسة الإشراف على المسجد الأقصى(١١٠).

وحرق المنبر يوم **٢١** أغسطس (آب) **١٩٦٩م**(١١١). كما حاول (بوئيل ليرنر) عضو حركة (جوش أمونيم) المنبثقة من حركة (كاخ) التي يتزعمها (مائير كاهانا) تدمير مسجد الصخرة المشرفة بوضع قنابل موقوتة بجانب حوائطه. وبعدها قام ثمانية من الشبان اليهود الذين ينتسبون إلى الليكود الأرهابي باقتحام الحرم الشريف والإعتداء على المصلين بمساعدة قوات الإحتلال المعسكرة على باب الحرم . كما قام الأرهابي (ألن جولدمان) بإطلاق مدفعه الرشاش صوب المصلين الساجدين في الحرم الشريف. وقامت مجموعة إرهابية أخرى تطلق على نفسها اسم مجموعة أبناء يهوذا بمحاولة نسف الصخرة بالديناميت. وتم تخطيط أعضاء التنظيم الارهابي اليهودي بمشاركة ضباط مسئولين في الجيش والحكومة بمحاولة قصف الحرم القدسي بطائرات سلاح الجو الصهيوني(١١٢). هذا عدا عن الحفريات المستمرة تحت الحرم. وتقوم حملة مكثفة يهودية تقوم بها المنظمات اليهودية في أمريكا لجمع التبرعات ، بدعوى إعادة بناء المعبد اليهودي مكان قبة الصخرة ، ووصلت التبرعات إلى أكثر من عشرة ملايين دولار ، وانضم إليهم بعض النصارى المتعصبين لتأييد المشروع(١١٣). ووضع تصميم المشروع(١١٤).

وكانت **حرب رمضان** عام **١٣٩٣هـ/٦** تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٧٣م فقامت القوات المصرية باقتحام خط بارليف وعبور القناة ، وقامت القوات السورية باجتياز خط وقف إطلاق النار.

ولقد دارت على الجبهتين معارك ضارية استخدمت فيها كل أسلحة الحرب

---

(١١٠) جريدة الرأي الأردنية العدد ٣٤٦٠/ الأحد ١٤/١٠/١٩٧٩م ص ١٢.

(١١١) فقد أقدم الشاب الاسترالي (مايكل دينيس روهان) الذي كان يعيش في إحدى المستعمرات الإستيطانية اليهودية على جريمة حرق المسجد الأقصى. وفي محاكمة صورية قدم إليها أعلنت المحكمة أنه يعاني من خلل عقلي ، لذلك فقد تم وضعه عند المحاكمة في قفص زجاجي لايخترقه الرصاص ، وأحيل تضليلا إلى إحدى المصحات العقلية ، ومن ثم إلى حيث تشاء المخابرات الإسرائيلية (انظر مجلة المصور المصرية العدد ٢٣٤٩/٧/١١/١٩٦٩م ص ٢٦).

(١١٢) الشرق الأوسط / ص ٢(الأربعاء ٥ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م).

(١١٣) المسلمون العدد ٣٧ ص٤ ٥صفر ١٤٠٦هـ/١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

(١١٤) نشرت مجلة التايم الأمريكية التصميم بعد نكسة عام ١٩٦٧م.

الحديثة ، وأمدت الولايات المتحدة إسرائيل على عجل بجسر جوي متصل من الأسلحة الحديثة المتطورة ، وحدث تسلل من ثغرة الدفرسوار على الجبهة المصرية ، وتسلل آخر وصل إلى قرية سعسع السورية.

وأعلن وقف إطلاق النار في **٢٢** تشرين الأول عام **١٩٧٣م** فاستفادت إسرائيل كعادتها من توسيع الثغرة ، ففصلت الأمم المتحدة بين القوات يوم **٢٨** تشرين الأول عام **١٩٧٣م**.

ولنا عدة ملاحظات على هذه الحرب :

١ـ كانت حرب رمضان أول حرب مارس فيها العرب الهجوم وانتزعوا فيها المبادأة من اليهود واستخدموا عنصر المفاجأة والمباغتة ضد العدو.

٢ـ أعادت هذه الحرب إلى القوات العربية ثقتها بنفسها بعد أن اهتزت أثناء وبعد حزيران وقضت على أسطورة جيش إسرائيل الذي لايقهر.

٣ـ دخلت هذه الحرب فكرة الإسلام والتجمع ـ فقد حارب على الجبهة السورية قوات من المغرب والعراق والأردن والسعودية ، وعلى الجبهة المصرية قوات من السودان والجزائر وفلسطين. كما حظيت بتأييد كثير من البلاد الإسلامية كباكستان ، وتركيا.

٤ـ استخدم ولأول مرة البترول كسلاح فعال في المعركة ، فقد قطعت الدول العربية البترول عن الولايات المتحدة ودول أخرى أيدت المجهود الحربي اليهودي ، وكان المحرك الفعال للنقطتين الثالثة والرابعة هو الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.

وكانت هذه النتائج إيجابية لولا ما تبع ذلك من تطورات عجيبة في القضية نوجزها فيما يلي :

أـ في كانون الثاني عام ١٩٧٤م تم توقيع اسرائيلي مصري لفصل القوات ، وقد أنشئت منطقة عازلة تمتد عشرة كيلو مترات عرضا شرقي قناة السويس وتفصل بين الجيشين ، وكذلك وقع اتفاق مماثل على الجبهة السورية ووضعت قوات الطوارىء الدولية في المناطق العازلة بين الجبهتين.

بـ في أيلول عام ١٩٧٥ وقع اتفاق مصري إسرائيلي جديد ، إنسحبت بموجبه إسرائيل من أجزاء أخرى من سيناء واستردت مصر آبار أبو رديس ، كما تعهدت إسرائيل ومصر بعدم الإلتجاء إلى التهديد ، وعدم استخدام القوة لمدة ثلاث سنوات ، كما سمح للبواخر غير الحربية المتجهة إلى إسرائيل والقادمة منها بالمرور

في قناة السويس.

ج- أعلن الرئيس المصري محمد أنور السادات أنه يزمع القيام بزيارة إسرائيل لتحقيق السلام العادل الشامل ، وتمت الزيارة للقدس في **١٩** تشرين الثاني **١٩٧٧م** ، **٩** ذي الحجة **١٣٩٧هـ** وكانت من أكثر أحداث التاريخ إثارة لاستغراب الرأي العام الإسلامي والعالمي.

د- التقى مناحيم بيغين رئيس وزراء إسرائيل بالرئيس المصري في الإسماعيلية في **١٩٧٧/١٢/٢٥م** وتم الإتفاق بينهما على تشكيل لجنتين إحداهما عسكرية والأخرى سياسية لحل المشكلات بينهما وتوالت الإجتماعات بين الطرفين. وتتالت التنازلات المصرية. وقد قال أنور السادات لبيغن على مسمع من موشى ديان في هذا الاجتماع : « لو علم المصريون والعرب ماقدمت لكم من تنازلات لرجموني بالحجارة »(١١٥).

وفي غمرة هذه اللقاءات كانت إسرائيل تقوم :

١- بمهاجمة الأراضي العربية في لبنان واجتاحت مناطق واسعة منه مستخدمة **٣٠** ألف جندي تدعمهم أحدث الآليات وسلاح الجو المتطور لتصفية المسلمين والفلسطينيين في لبنان.

٢- ببناء المستعمرات في المناطق المحتلة.

٣- بممارسة الضغط والإرهاب لأهل الضفة الغربية والقطاع وعمليات الإبعاد.

هـ اتفاقيات كامب ديفيد :

ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية ، والقبول بالأمر الواقع ، وتجرع الهزيمة ، وتفسخ المجتمعات الإسلامية ، والانحراف العقيدي الخطير ، والفراغ الذي يعيشه أفراد الأمة ، وانقسام الدول الإسلامية ، تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ، ألا وهو توقيع إتفاقيات كامب ديفيد ، وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني ، والقضاء على عقدة العداء له ، وماتبع ذلك من تطبيع العلاقات ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود لجميع المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية بين اليهود ومصر.

بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة والسادات وبيغين من **٥** إلى **١٧** أيلول **١٩٧٨م** ، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية

---

(١١٥) نجيب صالح ص ١١٥ عن (واشنطن بوست).

المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد(١١٦) :

الوثيقة الأولى : إطار السلام في الشرق الأوسط :

أـ الضفة الغربية وغزة :

ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على مراحل ثلاث :

١ـ تتفق مصر وإسرائيل على إقامة حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية وغزة.

٢ـ تتفق مصر وإسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة وغزة ، وقد يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية والقطاع أو فلسطينيين آخرين ، وسيتم انسحاب قوات إسرائيلية ، وستكون هناك إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية التي ستبقى في مواقع أمن معينة.

٣ـ ستبدأ الفترة الإنتقالية ذات الخمس سنوات عندما تقوم سلطة حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة ، كما ستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة وغزة ، ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن في نهاية الفترة الإنتقالية.

ب ـ مصر وإسرائيل :

١ـ تتعهد مصر وإسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية النزاعات ، وان أي نزاعات تتم تسويتها بالطرق السلمية لما نصت عليه المادة **٣٣** من ميثاق الأمم المتحدة.

٢ـ توافق الأطراف من أجل تحقيق السلام فيما بينهم على التفاوض بإخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام بينهم خلال ثلاثة شهور من توقيع هذا الإطار ، بينما تتم دعوة الأطراف الأخرى في النزاع للتقدم في نفس الوقت للتفاوض ، وإبرام معاهدة سلام مماثلة ، وان إطار إبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل سيحكم مفاوضات السلام بينهما ، وستتفق الأطراف على التشكيلات والجدول الزمني أو تنفيذ التزاماتهم في ظل المعاهدة.

٣ـ على الموقعين أن يقميوا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول

---

(١١٦) الحركات القومية في ميزان الإسلام ـ منير محمد نجيب ص ٢٧٦-٢٩٣.
اتفاق كامب ديفيد وأخطاره ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
العالم الإسلامي والمكائد الدولية ص ١٢٩-١٣٩.

التي هي في حالة سلام ، ويجب أن تشتمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

أ- اعتراف كامل.

ب- إلغاء المقاطعات الإقتصادية.

٤- تنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء على مراحل خلال ثلاث سنوات على أن تبقى مجردة من السلاح.

٥- وضع قوات دولية بين الطرفين على الجانب المصري.

الوثيقة الثانية :

في ١٩٧٩/٣/٢٦م وقع الرئيس المصري ومناحيم بيغين وجيمي كارتر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في البيت الأبيض ، وقد ألقى كل منهم كلمة بهذه المناسبة وأسقط السادات الفقرات التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني من خطابه المعد مسبقا بهذه المناسبة وأهم ماشملته المعاهدة :

١- تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.

٢- تسحب إسرائيل قواتها المسلحة إلى ما وراء حدود مصر الدولية - على مراحل -.

٣- تتمركز قوات دولية في المناطق المحددة ولا تنسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو موافقة الطرفين.

٤- إقامة العلاقات الطبيعية بينهما ويتضمن ذلك : الإعتراف الكامل ، والعلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الإقتصادية والحواجز المفروضة على الأفراد والسلع.

٥- تتمتع السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة منها وإليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها.

٦- يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكل الدول.

٧- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه الإتفاقية.

٨- يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزامها فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة.

ومهما اختلفت وجهات النظر في هذه الإتفاقيات فإنها تجمع على أمور منها:

١ـ لم تتحقق السيادة الكاملة لمصر على سيناء ، فتمركز القوات العسكرية كما يلي :

أـ ألا تتمركز أكثر من فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كم شرق خليج السويس وقناة السويس.

بـ تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٤٠ كم.

جـ أن تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كم شرق الحدود الدولية قوات إسرائيلية عسكرية محدودة لاتتعدى أربع كتائب مشاة ، ومراقبون من الأمم المتحدة ، تلحق وحدات دوريات حدود لاتتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدني للمحافظة على النظام في المنطقة التي لم تذكر آنفا.

ويجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان بنود الاتفاق(١١٧). وتتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :

أـ في جزء من المنطقة التي تقع في سيناء إلى الداخل لمسافة ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية.

بـ في منطقة شرم الشيخ لضمان حركة المرور بمضائق تيران ، ولا يتم إبعاد هذه القوات مالم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين(١١٨). معنى ذلك أن سيناء بقيت تحت رحمة اليهود. يقول شارون : « إنه يمكن إعادة احتلال سيناء في ٢٤ ساعة إذا خالفت مصر نصوص اتفاقيتي كامب ديفيد »(١١٩).

٢ـ لم يحصل الشعب الفلسطيني المسلم على أي من حقوقه ، وتحول موضوع الضفة الغربية وغزة من فكرة الدولة إلى فكرة الحكم الذاتي ضمن وحدة التراب الإسرائيلي ، وهذا ما أعلنه بيغن في اليوم الثاني لتوقيع المعاهدة أن الحكم الذاتي يشمل الأشخاص لا الأرض ، خاصة وأن نصوص المعاهدة كان أقصى ما قالته

---

(١١٧) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٨٤.

(١١٨) نفسه. وانظر الكتاب : تقييم سياسي لقرارات كامب ديفيد الصادر عن المركز الإسلامي في آخره وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية.

(١١٩) نجيب صالح ص ١٠٣،ص ٩٧.

في هذا الصدد هوالبحث في مصيرها بعد مرور خمس سنوات بين الأردن وفلسطين ومصر (وستجري المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية).

وأما القدس بلد المعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فلم يرد لها ذكر إطلاقا في المعاهدة. في الوقت الذي أعلن فيه بيغن أن القدس عاصمة اسرائيل إلى الأبد ، بل واتخذ اليهود بذلك قرارهم الرسمي من الكنيست الاسرائيلي باعتبار القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل(١٢٠).

٣- حققت المعاهدة كثيرا من أهداف إسرائيل التوسعية : بضمها القدس ، والجولان ، واستمرار احتلالها الضفة الغربية وغزة ، وأطلقت يدها في لبنان وقامت بغزوه وظهرت الأزمة اللبنانية المستفحلة حيث تتقاتل فيه أطراف عديدة عجيبة أكثر ضحاياها من أهل السنة اللبنانيين والفلسطينيين(١٢١).

ومن المكاسب الإسرائيلية الأخرى :

إنهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل. وقيام علاقات طبيعية وودية بين الدولتين. والاعتراف الكامل وإقامة العلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعات الإقتصادية وتأمين حرية الملاحة الكاملة للسفن الاسرائيلية في القناة. وتعهد الطرفين بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع نصوص هذه المعاهدة وتموين اسرائيل الكامل بحاجتها من البترول ، بعد أن فقدت البترول الإيراني(١٢٢). كما توصلت إلى نزع سلاح سيناء بحجة تحقيق الحدود الآمنة(١٢٣).

وقد أدى ذلك إلى انعزال حكومة مصر عن العالم العربي والعالم الإسلامي. والغريب أن يذاع باسم علماء الأزهر بيان بتأكيد معاهدة الصلح جاء فيه تشبيه هذا الصلح بصلح الحديبية. مخالفا بذلك فتوى لعلماء الأزهر قبل ٢٤ سنة في ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ ، هذه الفتوى كانت حاسمة في أن الصلح مع إسرائيل لايجوز شرعا قالوا فيها : « إن الصلح مع إسرائيل لايجوز شرعا لما فيه

---

(١٢٠) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٣.

(١٢١) انظر : الشرق الأوسط ص ١و٢ الأربعاء ٥ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢١م. وص ١، ص ٢ الأحد٢ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٨/٨/١٩٨٥م.

(١٢٢) الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٢.

(١٢٣) نجيب صالح ص ٤٠،وص ١٠١-١٠٢.

من إقرار الغاصب على الإستمرار في غصبه ، والإعتراف بحقية يده على مااغتصبه ، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض المسلمين ... بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل مايستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، ومن قصر في هذا أو فرط فيه أو خذل المسلمين أو دعا إلى ما من شأنه تفريق كلمة الأمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية ، فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين ، وقد أشار القرآن أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرضى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء قال تعالى : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين ﴾(١٢٤).

وكان من نتائج مايسمى بعملية التطبيع بين مصر وإسرائيل : أن أطلقت يد اسرائيل كعنصر يهدد المنطقة طويل الذراع ، فقد ضربت المفاعل النووي العراقي سنة **١٩٨١م** لخطره على الدولة اليهودية على حد تعبير بيغن. وضربت مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس وقتلت عددا من الفلسطينيين والتونسيين ودمرت عددا من المساكن ، بتأييد من أمريكا الضالعة معها في **٢٥** محرم سنة **١٤٠٦هـ** ، ومحاولة تصفية الإسلام في لبنان وخاصة بين الفلسطينيين(١٢٥).

كما نشطت الصهيونية في بناء المستوطنات بالضفة الغربية فكشفت خطة لإقامة **٤٤٠** مستعمرة حتى عام **١٩٩٠م** وان غالبية هذه المستوطنات عسكرية وقواعد للمجندين ، في حين بلغت هذه المستوطنات حتى أول عام **١٩٨٥** (٢٥٣ مستوطنة) فوق أراضي تسمح بتوسيع البناء فيها في المستقبل. وبلغت نسبة الأراضي المصادرة حتى عام **١٩٨٥م** ٤٤٪ من أراضي الضفة الغربية(١٢٦).

وحصلت إسرائيل على مساعدات كبيرة من أمريكا بحجة السلام هذا فقد

---

(١٢٤) راجع نص الفتوى في مجلة الأزهر ج٦ مجلد٢٧/ عدد جمادي الآخرة سنة ١٣٧٥هـ من ص ٦٨٢-٦٨٦.

(١٢٥) الشرق الأوسط ١٨محرم ١٤٠٦هـ/ ،٢٠محرم ١٤٠٦هـ.

(١٢٦) الشرق الأوسط ص ٣ الاثنين ٢٣ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/١٤/١/١٩٨٥م العدد ٢٢٣٩.

قدمت امريكا ١٥٠٠ مليون دولار في مساعدات إقتصادية إضافية عاجلة وملحة لاسرائيل ، في حين قدمت لمصر ٥٠٠ مليون دولار ، و٢٥٠ مليون دولار للأردن. وصرح ريغن أنه يتعين على إسرائيل ومصر والأردن أن تقوم بدور حيوي من أجل السلام في الشرق الأوسط مقابل حصولها على مساعدات مالية من الولايات المتحدة(١٢٧). وحصل اليهود أيضا على ٢٤٨٥ مليون دولار مقابل الانسحاب من سيناء من الولايات المتحدة. وهذه أكبر مساعدة تقدمها امريكا لإحدى الدول في تاريخها(١٢٨).

كذلك ازداد غرور اليهود فازدادت في الأعوام الأخيرة ظاهرة الكاهانية (أي حزب كاخ) التي يتزعمها الحاخام الإرهابي (مائير كاهانا) والذي ينادي بطرد جميع العرب من الأراضي المحتلة. وقد دأب منذ أن هاجر إلى الأراضي المحتلة سنة ١٩٧٢م على وصف العرب بالكلاب المنفرين ، وهدد باستخدام العنف ضدهم لإخراجهم من إسرائيل ، وتجد دعوته صدى في الكنيست الاسرائيلي(١٢٩).

ونشطت عمليات التجسس الإسرائيلية في مصر في ظل التطبيع بمساعدة المؤسسات الثقافية الامريكية ، وبالأخص المركز الثقافي الأمريكي ومركز البحوث الإجتماعية بالجامعة الأمريكية ومركز البحوث الأمريكي. واكتشفت شبكة تجسس في نهاية عام ١٩٨٤م كانت تعمل في مصر منذ عام ١٩٨٢م ، وقد طلبت أمريكا التكتم من مصر على قضية التجسس هذه(١٣٠). كما نشطت اسرائيل بتهريب المخدرات إلى مصر في محاولة لامتصاص اقتصادها ، وتدمير شبابها تحت إسم السياحة والزيارات الودية(١٣١).

وبالمقابل كانت هناك ردود فعل مصرية كبيرة ظهرت واضحة في معرض الكتاب الدولي في القاهرة ، حيث أعلنت الجماهير المصرية رفضها لاشتراك إسرائيل وحرقوا علمها ، ورفعوا اللافتات : (فلسطين إسلامية ، جند محمد قادمون)(١٣٢).

---

(١٢٧) نفسه ص ٢ الأحد ٢ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٨/٨/١٩٨٥م.

(١٢٨) نجيب صالح ص ١٠٢.

(١٢٩) الشرق الأوسط ص١العدد١٢/٢٤٦٥ ذوالحجة ١٤٠٥هـ/٢٨/٨/١٩٨٥م.

(١٣٠) نفسه ص ٣الأربعاء ٢١/٨/١٩٨٥م عن صحيفة الشعب المصرية.

(١٣١) راجع الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي.

(١٣٢) الشرق الأوسط ص١الأحد ٣جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/٣/٢/١٩٨٥م العدد٢٢٥٩.

وارتفعت الأصوات وطالبت بالكف عن هذه السياسة ورافق ذلك بعض حركات العنف من اغتيال السادات ، إلى حرق العلم الإسرائيلي في ذكرى تبادل البعثات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل ، إلى مقاطعة الجناح الإسرائيلي في معرض الكتاب عام ١٩٨٤م ، إلى إصابة الدبلوماسي الإسرائيلي زئيف كيدا في القاهرة بجروح يوم ٥ يونيو سنة ١٩٨٤م ، واغتيال البرت اتراتشي الملحق الإداري في سفارة إسرائيل بالقاهرة وإصابة زوجته وسكرتيرته في المعادي يوم الثلاثاء ٤ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/٢٠/٨/١٩٨٥م(١٣٣). إلى حصد عدد من السياح اليهود برشاش أحد الجنود المصريين بعد حادثة حمام الشط في تونس.

وبالمقابل إزدادت حركات أهل الضفة والقطاع ، كدليل على أن الوجود اليهودي لايمكن أن يكون مقبولا لدى المسلمين ، مهما بلغ من قوته ونفيره وجبروته ، فهو كيان مصطنع يستمد عناصر بقائه من الخارج ، فروسيا تمده بالرجال والقوى البشرية ، وأمريكا تمده بالمال والسلاح وأوربا الصليبية كذلك.

فإذا كانت بريطانيا قد وضعت أسس دولة اليهود ويسرت السبيل لقيامها وتشريد المسلمين من أهل فلسطين ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت لإسرائيل وسائل حياتها ، وأسس دعمها وقوتها ، لتظل أداة العدوان والقهر لخدمة المخططات الاستعمارية. فقد قدمت خلال السنوات العشر الأولى من قيامها مايقرب من مليار دولار ، وأنشئت جمعيات أمريكية خاصة لتقديم الهبات لإسرائيل ، وسهلت طرح سندات القرض الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية وكان دخل اسرائيل من هذا المورد حوالي ٥٦٢ مليون دولار. كما ضغطت الولايات المتحدة على ألمانيا الإتحادية لدفع تعويضات قيمتها نحو ٨٢١ مليون دولار عن الأضرار التي ألحقها النازي باليهود. وأمدت الولايات المتحدة إسرائيل بكل أنواع الأسلحة الحديثة ، حتى التي تستخدم لأول مرة في أمريكا ذاتها في الوقت الذي فرضت حظرا على توريد الأسلحة إلى الدول العربية. وقفزت المساعدات من ٥ر٢٢١ مليون دولار زمن ترومان إلى ١١٧٦ مليون دولار في فترة نيكسون الأولى (١٩٦٩-١٩٧٢م). ثم إلى البلايين في عهد ريغان. في حين لم ينقطع تزويد روسيا الشيوعية للكيان الصهيوني بالعنصر البشري. وأما تأييد فرنسا لإسرائيل فمعروف ، وهناك نوع

---

(١٣٣) الشرق الأوسط ص١الأربعاء ٥ذوالحجة ١٤٠٥هـ/٢١/٨/١٩٨٥م. العدد٢٤٥٨.

من التعاون النووي بينهما(١٣٤) ، عندما زار فرانسوا ميتران سوريا كان أغرب مافي كلامه في مؤتمره الصحفي أنه لم يطلب جلاء اسرائيل عن الأراضي السورية المحتلة في الجولان ، ولو من حيث المبدأ على الأقل أو المجاملة للبلد المضيف ، بل تلفظ بالكلام الذي فحواه أن على الطرفين : « إيجاد الحل لهذه المشكلة »(١٣٥).

ويظهر أن أمريكا جادة كل الجد في المحافظة على الكيان الصهيوني فمن خطاب (هارولد سوندرز) مساعد وزير الخارجية الأمريكية أمام اللجنة الفرعية للشرق الأوسط التابعة للجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكي واشنطن ١٩٧٨/٩/٢٨م : « ... لقد كان توفير الدعم لاسرائيل آمنة حرة ديمقراطية في الشرق الأوسط وسيظل سمة دائمة في السياسة الخارجية الامريكية ، بل انه التزام أدبي من جانب دولتنا كما أنه اهتمام إستراتيجي ، وأنا واثق بأن علاقات الصداقة التي تربط دولتينا ستزداد قوة باتفاقيتي كامب ديفيد.

فلإسرائيل كما لأية دولة الحق أن تعترف الدول المجاورة لها مباشرة وجميع الدول الأخرى بها وتقبلها ، وعلاوة على ذلك لاسرائيل كما لأية دولة الحق في العيش بأمان ـ أمان ينبع من قوتها الذاتية وبأسها. ومن التعاون والنية الحسنة لدى جاراتها ، ومن الإجراءات الأمنية الحازمة المتفق عليها بينها.

إن اتفاقيتي كامب ديفيد تعملان من أجل تحقيق هذه الإهتمامات الجوهرية لإسرائيل أكثر من أي إجراء آخر منذ قيام دولة اسرائيل الحديثة ... فهما تحققان آمالا للشعب اليهودي تمنى تحقيقها منذ قرون طويلة ، وهي العيش بسلام في دولة خاصة به في أرض آبائه وأجداده ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها وليأخذ مكانه الحق في المجتمع الدولي »(١٣٦) ، وكما قال الرئيس كارتر : « لقد صادق الرئيس السادات زعيم إحدى اعظم الأمم في العالم دون إكراه وبأعلى درجة من الحماسة على هذا الطموح العظيم لإسرائيل »(١٣٧). وهذا يذكرنا بقول رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ، ومستشار الرئيس جونسون في

---

(١٣٤) انظر الشرق الأوسط ص٣السبت ٢٣ربيع الأول ١٤٠٥هـ١٥/١٢/١٩٨٤م. العدد٢٢٠٩.عن صحيفة لوكونيد بان دي باريس الفرنسية.

(١٣٥) الشرق الأوسط ـ رأي الشرق الأوسط ص ٩الأحد٢/١٢/١٩٨٤م.

(١٣٦) وأين أرض آبائه وأجداده هو؟ فهو يعيش في الأرض التي اغتصبها من الهنود الحمر!.

(١٣٧) اتفاق كامب ديفيد ص ٣٧ـ٣٨.

الستينات : « لاتستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام » ، أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت غير ذلك ، تنكرت للغتها، وفلسفتها ، وثقافتها ، ومؤسساتها ... إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وان قيام اسرائيل جزء من هذا المخطط ، وليس إلا استمرارا للحرب الصليبية(١٣٨). فأمريكا التي تكونت من مجموعة من الغزاة الأوروبيين على أنقاض الشعوب التي أطلقوا عليهم : (الهنود الحمر) ، تريد من اليهود أن يقوموا بالدور نفسه على أرض الإسلام ، فهي تريد ايكال دور المستعمر الجديد لليهود ، بعد أن نجحت في انهاء الاستعمار الأوربي الغربي(١٣٩). وأن تجعل من اليهود الذراع القوية ، فأعلنت وثيقة للتعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة في مجال مشروع الرئيس الأمريكي (حرب النجوم)(١٤٠).

وحملت أنباء يوم الاثنين ١٩٨٨/٩/٢٠م /١٤٠٩/٢/٨هـ إطلاق اليهود لأول قمر صناعي والحق أن ذلك ليس مفاجئا فقوى امريكا والعالم المادي يدعمها في كل الأمور ! والمسلمون في ضياع !!

ونشط اليهود في سياسة **الضم (الدمج)** للضفة الغربية والقطاع ، وظهر ذلك جليا في :

أـ توسيع مجال أعمال الاستيطان اليهودي في الضفة والقطاع. وتشجيع هجرة المسلمين إلى الخارج ، وعمليات الإبعاد المستمرة فقد بلغ عدد المسلمين الذين هاجروا من الضفة إلى الخارج في الفترة من **١٩٧٤ـ١٩٨٠م** مائة ألف تقريبا ، في حين بلغ عدد المستوطنين اليهود مائة ألف مستوطن سكن معظمهم في منطقة القدس(١٤١). حيث أحيطت القدس بالمستعمرات.

بـ مصادرة الأراضي : فقد اعتبر اليهود أن الضفة ـ التي يسمونها يهودا والسامرة ـ هي ميراث اليهود ، وملك لهم بالحق التوراتي المزعوم. فأصدرت حكومتهم القوانين بهدف استمرار الأراضي والتهويد ، فصادرت ٣ ,٢ مليون دونم بموجبها من المزارعين المسلمين حتى عام ١٩٦٠م في الأراضي المحتلة سابقا(١٤٢). وانتزعت بعد عام ١٩٦٧م حوالي ٥٠٪ من مساحة الأرض الزراعية من سكان

(١٣٨) فتحي لاشين ـ الاقتصاد الإسلامي ـ ص ٣٢.

(١٣٩) نجيب صالح ـ العصر الإسرائيلي ص ١٠.

(١٤٠) الشرق الأوسط ص ٣/ ١٩٣٦/٤/١٩م.

(١٤١) هآرتس ـ صحيفة يهودية ١٩٨٢/١٢/٢٦م.

(١٤٢) سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة ـ أساليب الضم والتهويد ص ١١٥وص ١٢٠.

الضفة(١٤٣) ،وأكثر من ثلث أراضي القطاع(١٤٤).

ج- احتكار مصادر المياه : فقد منع اليهود المسلمين من حفر الآبار الارتوازية في الضفة والقطاع وحددت حكومتهم المياه التي تضخ من الآبار القائمة. وقد تم تنفيذ هذا الإجراء بتركيب عدادات على الآبار التي يملكها المسلمون ، وفرضت عقوبات في حين شجعت المستوطنين اليهود في الضفة على حفر مزيد من الآبار الارتوازية ، وأصبحت مياه الضفة تزود اليهود بأكثر من ٣٠٪ من استهلاكها السنوي أي نحو ٥٠٠ مليون متر مكعب من مجموع استهلاكهم(١٤٥) ولم يسمح للمسلمين بضخ أكثر من ٣٥ مليون متر مكعب سنويا(١٤٦).

وقد قامت الحكومة اليهودية بهذه السياسة ونفذتها بطريقة الاحتلال العسكري اليهودي في المناطق المحتلة بحجة منع تطور (تهديد أمني لإسرائيل في هذه المناطق)(١٤٧). واتخذت الضفة والقطاع أسواقا للتصدير ، فأصبحت حلقة ربط غير مباشر بين الإقتصاد اليهودي واقتصاد البلاد العربية.

فتحركت أمام ذلك مشاعر المسلمين في فلسطين المحتلة والضفة والقطاع ، وقاموا بحركة جهاد ، أطلق عليها اسم الانتفاضة بزعامة حماس ، بدأت في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ، واستعملت فيها الحجارة والزجاجات الفارغة والعصيان المدني . . . ولا تزال مستمرة إلى يوم كتابة هذه السطور ٦/ ٥/ ١٤٠٩هـ أي زادت على العام . وقد أدهشت العالم وأذهلت اليهود! وأخذ اليهود يخططون لهذه المفاجأة الجديدة .

ويالأسف جاء فك الارتباط بين الضفة الغربية والأردن بناء على مؤتمر القمة العربي ، ورغبة منظمة التحرير الفلسطينية. ومهما اختلفت الأقوال في ذلك فإن فك الوحدة بين الأشقاء يورث الضعف.

وأخذت تصريحات منظمة التحرير الفلسطينية التي أصبحت الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني تطالب بالتقسيم عام ١٩٤٧م، وعقد المؤتمر الدولي. وفي يوم ١٥/١١/١٩٨٨م - ٦/٤/١٤٠٩هـ أعلن عن قيام الدولة الفلسطينية

---

(١٤٣) نفسه ص ١٠٨.

(١٤٤) نفسه ص ١٠٩.

(١٤٥) نفسه ص ٧٦وص ١٠٨.

(١٤٦) نفسه ص ٧٦.

(١٤٧) نفسه ص ٢.

في المنفى والموافقة على قرارات الأمم المتحدة ٢٣٨ و ٣٤٢ .

كما أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في خطابه أمام هيئة الأمم المتحدة يوم ١٤٠٩/٥/٤هـ ، ١٩٨٨/١٢/١٣م عن الاستعداد للاعتراف باسرائيل بشرط تحقيق حرية تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

وزاد تدفق اليهود في الهجرة من الاتحاد السوفيتي المنحلّ إلى الكيان اليهودي في فلسطين منذ عام ١٩٨٩م، فبلغ حتى عام ١٩٩٢م أربعمائة ألف مهاجر. فأصبح عدد اليهود في فلسطين خمسة ملايين ومائة واثنين وسبعين ألفاً أي دخل العدد في المليون السادس. والتدفق مستمر، فمن المتوقع وصول ١١٠ آلاف مهاجر جديد منهم مائة ألف من روسيا[1].

(١) المسلمون العدد ٤٢٢/ ١٢ رمضان ١٤١٣هـ ـ ٥ مارس ١٩٩٣م.

الفصل الثاني

المسلمون في الفلبين ـ عذراء ماليزيا

عذراء ماليزيا مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة ، تنتشر في مياه المحيط الهادي في أقصى شرقي آسيا بين الجزر الإندونيسية والجزر اليابانية. بعضها كبير معروف مثل جزيرة لوزون في الشمال ، وجزيرة مندناو في الجنوب ، وبعضها صغير مجهول لايكاد يعرفه إلا ساكنوه ، ومنها ما اتخذ له إسم حيث قطنه البشر ، ومنها ما لم يسم بعد لأنه لا يقيم عليه الإنسان وعبارة عن رؤوس جبلية بارزة في وسط اليم ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات من الجزر هي :

١- جزيرة لوزون وماحولها ، وهي المنطقة الشمالية : وأغلب سكانها نصارى ، ووثنيون. وأكبر مدنها العاصمة : مانيلا.

٢- جزيرة فيساياس وماحولها : وهي المنطقة الوسطى ، وأشهر مدنها سيبو.

٣- جزيرة مندناو ، وماحولها : وهي المنطقة الجنوبية ويتركز فيها المسلمون ، بالإضافة إلى جزر بالاون وصولو(١). ويطلق عليها اليوم اسم : **(مورو الإسلامية)**.

وتصل مساحة هذه الجزر إلى ٣٠٠ ألف كم٢ . تكون مورو الإسلامية ٣٨٪ من هذه المساحة. وتعتبر امتدادا لجزر أندونيسيا ، ويجاورها من الشرق خانق محيطي عظيم يمتد بطولها عبر المحيط الهادي ، لذا فهي واقعة ضمن نطاق القوس المعروف بالحزام الناري في المحيط الهادي ، الذي يتعرض لهزات أرضية من آن لآخر أو ثوران بركاني(٢).

تقع هذه الجزر ضمن إقليم المناخ الموسمي ، ويمارس أهلها الزراعة ، فهي حرفتهم الرئيسية ، وتليها تربية الدواجن والحيوانات ثم صيد السمك ، وأهم المحاصيل : الأرز ، وجوز الهند ، والقنب ، وقصب السكر ، ونخيل الزيت ، والمطاط ، والمانجو ، والموز ، والأناناس ، وفيها ثروة غابية تمتد في الجزر كلها ، تغطي ٥٩٪ من مساحة الجزر. وتنتج الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها من الخامات المعدنية ، كما يعتبر البحر مصدرا مهما من مصادر الرزق لأهل الفلبين(٣).

---

(١) انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص ٣٥٩./ لوثروب.

(٢) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٤٠.

(٣) اسحق محمد ـ جبهة تحرير مورو الوطنية ـ طبع دمشق ص ٣/ ١٩٨٤/٢/١٧م.

أطلق الاسبان على هذه البلاد ـ اسم الفلبين ـ باسم ملكهم (فيليب الثاني) الذي أرسل القائد (سجاستا) وحملته على تلك الجزر(٤). في حين كان العرب المسلمون يطلقون عليها (عذراء ماليزيا) لأن أغلب سكانها من أصل ماليزي.

سكان الفلبين

ينتمي السكان إلى جماعات متعددة ، ومن ثم تعددت اللهجات ومن الممكن أن نجمعهم في عنصرين :

أ ـ عنصر قديم : وهم من : ١ ـ النجريتو ـ الأقزام الآسيويين ـ ذوي اللون الأسود ، والقامة القصيرة ، والجسم الصغير ، وهم جماعات بدائية تعيش في الغابات وفي المناطق المنعزلة ولا دين لهم.

٢ـ والأندونيسيين : ذوي اللون الأبيض ، وقامتهم أطول قليلا من سابقيهم.

٣ـ والملايو القدماء : ووصلها هؤلاء تباعا قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

ب ـ العنصر الثاني : الملايو : الذين قدموا من الملايو على شكل موجتين حملت الثانية منهما الإسلام ، وتوزعوا في البلاد وسكنوها. بعد أن اختلطوا بالسكان الأصليين.

وقد أطلق عليهم الإسبانيون هذا اللفظ (المورو) إذ شبهوهم بمسلمي المغرب والأندلس لانتمائهم إلى دين الإسلام(٥). وينتشرون حاليا في ثلاث عشرة ولاية في الجنوب والغرب ، وهم ينتمون إلى جماعات : ماجوندناو ، وتاوسج ، ومارنواوا ، وساما لا ، وسالوان ، وساو ، وياكان ، وبارجاو ، وجامابونا ، وسيبوجوي ، وبلاواني(٦).

وبلغ عدد سكان الفلبين عام **١٤٠٤هـ/١٩٨٤م** ٥٦ مليون نسمة فيهم ٧ ملايين مسلم على الأرجح يشكلون ثمن السكان(٧). في حين أن ماركوس رئيس الفلبين أعلن عام **١٩٧٥م** أن عدد السكان المسلمين ثمانية ملايين يشكلون **٢٢٪**

---

(٤) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ص ٥٩.

(٥) كان لفظ المورو شائع الاستعمال في الكلام على المسلمين وأهل المغرب منهم خاصة وكان هذا هو اسم قبيلة مغربية بربرية عرفها الرومان وحاربوها في المغرب ، ومن ذلك اللفظ أتت تسمية العرب والمسلمين بهذا الإسم عند الاسبان. ثم الانجليز والفرنسيين (حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٥٩) ، الشيخ أحمد بشير ـ تاريخ الإسلام في الفلبين ص ١١.

(٦) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ص ٤/محرم ١٣٩٨هـ.

(٧) المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠ص ٣١ Philippines History P: 168.

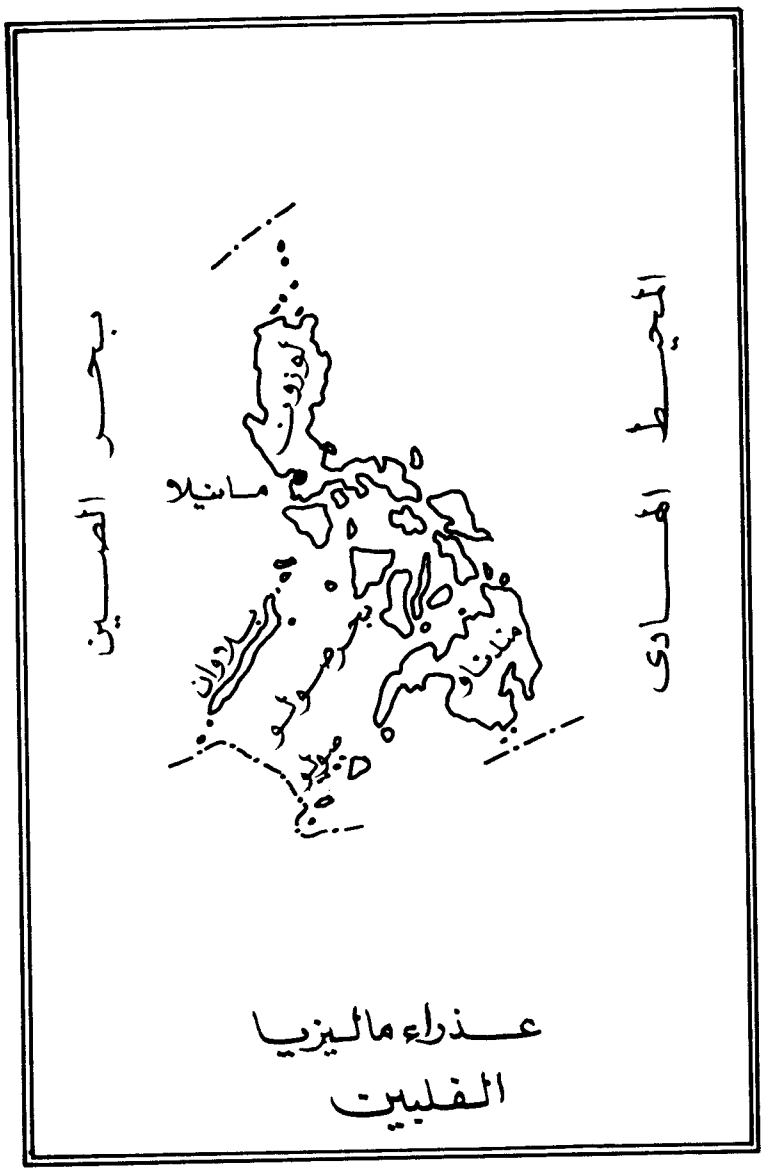

عـــذراء ماليزيا
الفلبين

من السكان(٨) وهذا يدل على تناقص عدد المسلمين بسبب الإبادة والتهجير التي يتعرض لها المسلمون في تلك البلاد.

ويتكلم أهل الفلبين أكثر من ٧٨ لغة أهمها التالوج التي تنتشر في مانيلا وماحولها(٩) ، وتتجه النية لأن تكون اللغة الرسمية ، وفي كل لغة موجودة ألفاظ عربية وإسبانية وهندية وصينية وإنجليزية. وأما المسلمون فيتكلمون لغتين خاصتين بهم تعرفان باسم : لغة مورو وهما لغة (إيرانون) و (تاوسوغ) وتكتبان بالحروف العربية ، وتعد اللغة العربية الثانية عندهم بعد الإنجليزية التي لاتزال لغة البلاد الرسمية(١٠).

دخول الإسلام :

سيطر المسلمون في القرن الثالث الهجري على التجارة البحرية بين مصر والهند وماليزيا والصين ، وأقاموا مناطق استيطان (مهاجر) متعددة على شواطيء الهند وغرب شبه جزيرة الملايو ، وسيطروا على تجارة نانهي (في بحر الصين الجنوبي) واستوطنوا كانتون في الصين ، واختلط المسلمون من عرب وهنود كجرات مع أهالي تلك البلاد بالزواج والتجارة ، فأخذ الإسلام يشق طريقه ببطء في تلك الأقطار عن طريق الإقناع ، ولما أسلم بعض السكان المحليين أحسوا أنهم جزء من أمة سامية حملتهم إلى مستوى رفيع بين أمم العالم ، وأن من واجبهم حمل هذه الدعوة ، إلى أقوامهم ، كما استمر سيل الدعاة من بلاد العرب ومن الهند.

وجاء سقوط بغداد عاصمة دار الإسلام سنة **٦٥٦هـ** على يد المغول ، فهاجر عدد كبير من المسلمين إلى جنوب شرق آسيا ، فازدهرت الدعوة الإسلامية ونشطت في الملايو وسومطرة وجاوة وجزر مولوكي وبورنيو وعذراء ماليزيا. ومع نهاية القرن السابع الهجري كانت المقاطعات الساحلية لشمال سومطرة قد أصبحت إسلامية كلها ، وقام حكام هذه المقاطعات وخاصة مقاطعة **(باساي)** بنشر الدعوة بقوة وحماسة ، فعم الإسلام **ملقا (في الملايو)** نتيجة لذلك ، وأصبحت مع باساي المركز الإسلامي الرئيسي في جنوب شرق آسيا يفد إليها طلاب العلم المسلمون من جاوة ، ثم يعودون للقيام بالدعوة الإسلامية في مختلف جزر الشرق الأقصى ، وكان يحيطها - أي ملقا - هالة من الإعجاب تبديها

---

(٨) محمد عبد القادر أحمد - المسلمون في الفلبين ص ٤٢.

(٩) نفسه ص ٤٥.

(١٠) محمد عبد القادر - المسلمون في الفلبين ص ٤٥.

السلطنات الإسلامية المحيطة بها نظرا لاستقامتها على الإسلام وتقوى وصلاح أهلها وحكامها معا ، فقد كتب عنها (نينغ شنغ لان) الصيني سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م يقول : « إن الحاكم والشعب مسلمون ، متمسكون بحرص ودقة بتعاليم الإسلام »(١١) فقامت ملقا بنشر الإسلام في الشرق الأقصى ، بما فيها الفلبين التي وصلها أيضا عن طريق سومطرة وجزر المولوكاس وبورنيو ، حيث كان يعيش سكانها الأصليون شبه عراة في حياة جاهلية يعبدون الأصنام ، فوصلها التجار المسلمون والدعاة ، وهاجر إليها عدد من بلاد الإسلام واستوطنوها ، فعبر الإسلام بذلك إلى جزيرة صولو ، وانتشر في ماجيندناو ، ولانا في الجنوب وتقدم إلى لوزون في الشمال في الوقت نفسه(١٢) ، وازداد انتشاره عن طريق مصاهرة الأسر الحاكمة وإسلام الأمراء المحليين.

وهناك ضريح في **بوددانوا** بجزيرة صولو جنوب الفلبين يحمل تاريخ ٧١٠هـ للداعيتين توان مقبلو ، وتيان مشايخة(١٣). مما يوحي بأن التجار والدعاة وصلوا إلى هذه البلاد قبل هذا التاريخ بكثير ، وأشهر داعية معروف وصل صولو هو شريف الأولياء **كريم** (المخدوم) وهو عربي ، جاء عن طريق الصين حوالي عام **١٣٥٠م**(١٤) الذي تمكن من كسب السلطان محمد شاه وشعبه في ملقا إلى الإسلام ، ثم أبحر إلى جزر صولو واستقر في قاعدتها القديمة (يوانا) ، وبحسن دعوته دخل كثير من أهلها الإسلام ، ولقي منهم تقديرا عظيما ، وقد توفي ودفن في جزيرة سبوتو.

وخلفه الداعية **أبو بكر** الشريف محمد بن علي وهو عربي أيضا ، بدأ عمله كسلفه في ملقا ثم سافر إلى بالمبانغ في بورنيو ، كما انتقل إلى بروناي ، ووصل صولو حوالي عام **٨٥٤هـ/١٤٥٠م**. فبنى عددا من المساجد ونجح في الدعوة نجاحا كبيرا ، وزوجه سلطان ماجنداناو المسلم من إبنته وجعله وليا لعهده ، فلما ورث العرش نظم القوة العسكرية لأهل جزر صولو أشد رجال عذراء ماليزيا(١٥). وكثر الدعاة ، وانتشر الإسلام ، فتكونت إمارات وسلطنات إسلامية

---

(١١) قيصر أديب مخول - الإسلام في الشرق الأقصى ص ٢٨.

(١٢) نشرة معهد شئون الأقليات ص ٤/ محرم ١٣٩٨هـ/ حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٥٨.

(١٣) عبد الباقي - أبو بكر - الإسلام في الفلبين ١٩٨٣/٤/٢٩م.

(١٤) قيصر أديب مخول ص ٦٧.

(١٥) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٦١.

هناك أهمها(١٦) :

١- **إمارة صولو** الإسلامية وقد شملت أرخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة ، وقد أسسها الأمير ريابا جندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان ثم استوطن صولو. وكانت أول سلطنة إسلامية في عذراء ماليزيا.

٢- **إمارة ماجيندناو** - وجمعت جزيرة مندناو التي فيها أكبر تجمع إسلامي وماحولها.

٣- **إمارة مانيلا** - عاصمة الفلبين الحالية - في لوزون وما جاورها من مناطق.

٤- إمارات إسلامية صغيرة تابعة للإمارات السابقة أو منفصلة عنها.

التحدي الصليبي ، الاسباني والبرتغالي :

وبينما كانت تلك الجزر تعيش في هدوء إذ بجموع الصليبيين من البرتغاليين والأسبان تداهمهم من الشرق والغرب. وكان البرتغال والأسبان قد نقلوا ميدان الحروب الصليبية من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي في الشرق(١٧).

وأول قوة برتغالية وصلت المنطقة كانت بقيادة البوكرك البرتغالي الذي احتل ملقا سنة ٩١٧هـ/١٥١١م ، وصاحب ذلك حقد صليبي ونشاط تبشيري مركز ، فأثار ذلك ردة الفعل عند المسلمين وأصبح الأرخبيل كله ميدانا للصراع الإسلامي الصليبي ، فهاجر عدد كبير من العلماء إلى سومطرة وجاوة وأدت هذه الهجرة بدورها إلى ازدياد الحماس الديني ونشاط الدعوة للإسلام ، وهكذا يمكن تشبيه سقوط ملقا بسقوط بغداد إلى حد ما ، فكلا الحادثين أحياالنشاط الإسلامي وبعثه فكرا وعملا.

وكانت سيطرة المسلمين على البحار قد زالت بعد هزيمة الأسطول الإسلامي في معركة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أمام البرتغال(١٨) ، ولكن الهزيمة لم تؤثر على قوة انتشار الإسلام وتوسعه في ماليزيا والمشرق ، فقد اختار التجار المسلمون **آتشيه** شمال سومطرة مركزا لهم فأصبحت شمال سومطرة مرة أخرى دعامة الإسلام هناك وازدهرت آتشيه وقويت لدرجة استطاعت معها أن تتحدى

---

(١٦) الشيخ محمد بشير - الإسلام في الفلبين - ص ١٨.

(١٧) انظر الإكتشافات الجغرافية في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(١٨) انظر الإكتشافات الجغرافية الأوروبية في هذا الكتاب.

ملقا التي أصبحت مستعمرة برتغالية.

وفي سنة ٩٢٨هـ قويت الدعوة الإسلامية في **بورنيو** وتشكلت الإمارة الإسلامية القوية في بروني وحملت على عاتقها مع آتشيه حركة الصراع الإسلامي ضد البرتغاليين والأسبان الصليبيين.

ووصلت آتشيه في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أوجها وكانت أهم قناة نقلت الدعوة الإسلامية إلى جاوا والشرق الأقصى من مراكز الإسلام في الهند وشبه جزيرة العرب ومصر ، ووصلها المتطوعة من مصر يجيدون استعمال الأسلحة النارية ، فقوي الإسلام هناك وأصبحت لأهمية موقعها الجغرافي على مفترق طرق التجارة الإسلامية مركزا هاما للدراسات الإسلامية ، وامتازت بسمعتها العطرة حيث التقوى والالتزام المخلص بحدود الإسلام ومحاربة البدع. وكانت بالإضافة إلى ذلك محطة لكل الحجاج الماليزيين (بما فيهم أهل الفلبين) الذاهبين إلى بيت الله الحرام ، فتفاخر أهل آتشيه بمركزهم هذا وسموا بلادهم (عتبة الديار المقدسة)(١٩).

وتولى **بروني**(٢٠) السلطان هارون الذي أخذ على عاتقه مقاومة الغزو البرتغالي واستطاع ابنه باب الله سلطان ترنيت أن يدمر كل ماأنجزه المبشرون البرتغاليون عام ٩٨٣هـ.

أما الأسبان الذين توجهوا غربا في كشوفهم الجغرافية بعد معرفتهم كروية الأرض فقد اعتقدوا أن سيرهم هذا يقودهم إلى شرق بلاد المسلمين فيحدقون بالمسلمين في المشرق مثلما أحدقوا بهم في المغرب ، فعرفوا أمريكا ، وفي عام ٩٢٣هـ/١٥٢١م وصل ماجلان عذراء ماليزيا واصطدم بالمسلمين عندما أراد

(١٩) قيصر أديب مخول ص ١٧.

(٢٠) وبروني اليوم سلطنة إسلامية تقع في جنوب شرق آسيا ، وهي جزء من جزيرة بورنيو التي تقع على بحر الصين ، ومساحتها ٢٢٢٦ميلا مربعا وعدد سكانها ٢٣٠ ٠٠٠نسمة ، تعتمد في دخلها على البترول (حوالي ٥مليارات دولار سنويا) بالإضافة إلى الصيد وقطع الأخشاب باعتبارها منطقة استوائية غنية بالغابات الكثيفة. ولغتها الأساسية الإنجليزية ، في حين أن اللغة القومية هي المالاوية.

وسكان بروني مسلمون يولون مكانة خاصة للقرآن الكريم والدارسين في الأزهر ، فمن أبنائها عام ١٩٨٥م ستون أزهريا يتولون المناصب العليا فيها ، وسلطانها حسن البلقيع منذ سنة ١٩٦٧م. وقد زارتها بعثة مصرية للآثار في اطار التعاون الإسلامي الثقافي بين مصر وبروني ، وتوصلت البعثة إلى أن دخول الإسلام كان في القرن الرابع عشر الميلادي لوجود آيات قرآنية على بعض القطع الأثرية التي عثر عليها ، وبعض الآيات مكتوبة على شواهد بعض القبور في السلطنة. (الشرق الأوسط ـ ص ١٣ الاثنين ١٤جمادي الأولى سنة ١٤٠٥هـ/٤/٢/١٩٨٥ العدد ٢٢٦٠).

فرض سيطرته ونشر عقيدته فقتل في جزيرة ماكيتان من جزر سيبو (فيسایاس حاليا) فتابع من نجا من أتباعه طريقهم حتى عادوا إلى اسبانيا. وكان المسلمون بقيادة (لابولابو) أمير ماكيتان.

ثم سيرت إسبانيا بعد ذلك أربع حملات قتل أفرادها جميعا لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون هناك(٢١).

ثم جردت إسبانيا حملة كبيرة رافقتها القساوسة في محاولة لتنصير المسلمين استقرت في جزيرة سيبو وقاوم (راجا سليمان) حاكم مانيلا (عاصمة لوزون) الإسبان بشجاعة وضراوة وكان ابن أخ لأحد سلاطين بروني وابن عم السطان سيف الرجال سلطان بروني الذي صد الاسبان عن بروني عام (٩٨٥و٩٨٨هـ/١٥٧٧و١٥٨٠م). واستشهد راجاسليمان عام ١٥٧١م.

وباحتلال الإسبان لمانيلا وتهديدهم لأماكن استيطان المسلمين ، وبناء مستعمرات جديدة مكانها على يد ليكاسبي سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، توقف توسع الإسلام في القسم الشمالي من أرخبيل الفلبين ، واعتبر الاسبان معركتهم مع مسلمي الفلبين في مانيلا إمتدادا لمعاركهم مع المسلمين في الأندلس ، فقد كتب أحد الاسبان سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م : « عندما نزل جنود ليكاسبي في مانيلا في مكان هو الآن موقع حصن سانتياغو وهو مفتاح مانيلا وجدوا مقاطعة مسلمة يحكمها الراجا ماتندا بمساعدة ابن أخيه الراجا سليمان ، وكان هذا الأخير يحبذ سياسة الحرب والمواجهة ...».

وحتى تكون الصورة مماثلة تماما لما كان في غرناطة ، سمّى ليكاسبي مسلمي الفلبين (الموروس)(٢٢). وأقيمت في مانيلا محاكم التحقيق (التفتيش) وكانت تابعة لمحكمة مكسيكو في المكسيك ، حيث أخذت تتتبع المسلمين(٢٣). وتقضي عليهم.

وفي عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م حصل ليكاسبي إذنا من فيليب الثاني باسترقاق المسلمين لأنهم يدعون لعقيدة محمد ... كما أعطيت الأوامر عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للكابتن (استبان رودر يكودي نيكروا) بتهديم المساجد ومنع إعادة بنائها في صولو ومندناو.

---

(٢١) البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة ص ٦٠٧-٦٠٨.

(٢٢) قيصر أديب مخول ص ١٤٧.

(٢٣) الموريسكيون والمسيحيون.. ص ١٥٩.

وأدرك المسلمون الأهداف الصليبية فتعاونوا في الوقوف في وجه الهجمة الصليبية ، فقاومت سلطنة صولو وسلطنة ماجندناو الغزو الأسباني ، ووصلتهما الامدادات من بورنيو وجزر مولوكي ، كما استعانت آتشيه بمصر ، وحصلت على المتطوعة ، فكتب (فرانسيسكو دي سندي) حاكم الفلبين الإسباني سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للسلطان سيف الرجال يطلب منه التوقف عن إرسال الدعاة إلى الفلبين وأواسط بورنيو ، وأن يقبل في بورنيو مبشرين كاثوليك. وعندما قريء الكتاب على السلطان غضب غضبا شديدا ولم يزد على قول كلمة واحدة : كافر »(٢٤).

وظل الحرب سجالا بين الإسبان ومسلمي الفلبين ثلاثمائة عام ، وكانت سفن المسلمين المسلحة تقوم بمهاجمة السفن الأسبانية وتأسر الآلاف من الإسبان ، وتبيعهم في سوق الرقيق ، كرد فعل لما فعله الأسبان والبرتغال لاستعباد المسلمين وتنصيرهم(٢٥).

وكانت سياسة الإسبان التي أعلنها (دي سندي) تقوم على سحق الإسلام وتنصير المسلمين ، ولكنهم أدركوا بعد هذه القرون استحالة ذلك ، فاعترفوا عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م باستقلال سلطانهم في صولو ، ولكنهم عادوا واستولوا على حاضرة البلاد عام ١٨٧٤م ، فلجأ المسلمون إلى القيام بالغارات فكان حكم الأسبان إسميا فقط(٢٦) ، فكتب (بلتزار جير وديه) (وهو ممن اشتركوا في غزو الفلبين سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)إلى الحاكم الاسباني العام عام **١٢٩٨هـ/١٨٨٠م** إقترح إتباع سياسة قبول الواقع الإسلامي ، وهي الطريقة الوحيدة لوقاية النفوذ الاستعماري من الإنهيار(٢٧).

كان المسلمون يمدون جنوب الفلبين بدماء جديدة وينشرون الإسلام ، فقد كتب دي سندي إلى ملك اسبانيا في حزيران عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م يثبت له أن مسلمي بورنيو هم الذين كانوا ينشرون الإسلام في الفلبين وقال في رسالته ان اخضاع سلطان آتشيه وبروني في بورنيو قد يوقف إرسال الدعاة إلى الفلبين.

ولكن هذا الأمر اختلف بعد **السيطرة الهولندية** على جزر الهند الشرقية ،

---

(٢٤) قيصر أديب ص ١٤٢.

(٢٥) حاضر العالم الإسلامي - الامير شكيب - ج١ص ٣٦٢.

(٢٦) نفسه ج١ ص ٣٦٢.

(٢٧) مخول ص ١٤٤-١٤٥.

والسيطرة الإنجليزية على ماليزيا ، فقد تمكن الأوروبيون من عزل مسلمي الفلبين - تقريبا - عن بقية العالم الإسلامي بالقرصنة البحرية وبيع الأسرى المسلمين في أسواق النخاسة. وهذا تسبب في ضعف المسلمين وتأخرهم. ورغم ذلك فقد بقيت إمارتان إسلاميتان في جنوب الفلبين هما : إمارة صولو وإمارة ماجندناو تجاهدان الغزوات الصليبية المتوالية ، ولم يستطع الإسبان سوى السيطرة على بعض المناطق الساحلية وقليل من المدن. ولكنهم نجحوا في عرقلة انتشار الإسلام في الشمال ودحره ، وبقي المسلمون في الجنوب يحافظون على عقيدتهم وملامح الحضارة الإسلامية خلال الفترة الطويلة من الإستعمار والحروب.

الحكم الأمريكي للفلبين :

هزمت أمريكا إسبانيا هزيمة ساحقة في المياه الفلبينية ، فاضطرت إسبانيا إلى بيع الفلبين لأمريكا عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بمائتي مليون دولار. فخلفت الولايات المتحدة اسبانيا في استعمار تلك الجزر ، وأصدرت قانونا يقضي بأن جميع رخص امتلاك الأرض غير المصدق عليها من إسبانيا تعتبر ملكية عامة ، وهذا معناه أن أراضي المسلمين تصبح ملكا للحكومة الأمريكية لأن اسبانيا لم تحكم المسلمين. فتدفقت الهجرات الصليبية إلى الجنوب بسبب هذا القانون(٢٨)، وخاصة بعد أن صدر قانون آخر يبيح لكل مهاجر امتلاك ٤٤ هكتارا من الأرض ، بينما المواطن الأصلي في الجنوب يحق له أن يمتلك ٤ هكتارات من الأرض فقط. وأعطي الحق لكل شركة في امتلاك (١٦٠) هكتارا ، فجاء النصارى بأسماء شركات وهمية لامتلاك أراضي المسلمين(٢٩).

وحاول الأمريكيون **تنصير** المسلمين واستخدموا الإكراه ، فلم يتغير موقف المسلمين ، وقاوموا بالقوة ، واستمر القتال (٣٨) عاما قتل فيها عدة آلاف من المجاهدين ، وتمادى الغزاة فشنوا على المسلمين **حرب الجراثيم** ، فاجتاحت أوبئة الكوليرا والجدري والطاعون جزيرة مندناو وأرخبيل صولو في وقت واحد سنة ١٣٢١هـ ، وتساقط الناس بالمئات والألوف ، وانتقل الوباء إلى جزر مجاورة ، وبلغ عدد ضحايا الأوبئة أكثر من ٢٠٠ ألف على حساب التقارير الغربية نفسها ، وأهمها تقرير لجنة تافت ، وأدركت أمريكا عبث المحاولات فلانت وعقدت معاهدة مع المسلمين ، إحترمت دينهم وأسلوب حياتهم ، وتكونت لهم دولة تحت

(٢٨) مجلة المجتمع الكويتية - محاورة مع عبد الباقي أبو بكر - العدد٦٠٠ص ٣٠.

(٢٩) نفسه ص ٣١.

الإدارة الأمريكية وازدهرت المدارس(٣٠). وبذلك استطاعت الولايات المتحدة دخول المناطق الإسلامية ، ولكن الحاكم العام الأمريكي (فرانك مورفي) جعل المسلمين تابعين لوزارة الداخلية الفلبينية سنة ١٣٥٤هـ في الفترة الإنتقالية التي سبقت الإستقلال.

وفي عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م إحتل **اليابانيون** المناطق الإسلامية من الفلبين ، وقاوم المسلمون الغزاة الجدد ، فتعرض المسلمون إلى حملات إبادة على يد اليابانيين.

وبعد الحرب العالمية الثانية أعلنت الحكومة الأمريكية **استقلال الفلبين** عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، وسلمت زمام الأمور **لحكومة نصرانية** على رأسها رئيس من الكاثوليك ، فاهتم القساوسة بإثارة الحكومة على المسلمين(٣١). فكتب على المسلمين بالفلبين الجهاد مرة أخرى. وصدر قرار ضم جنوب الفلبين الإسلامي إلى هذه الحكومة من جانب أمريكا.

وكان مجلس النواب الفلبيني قد ضم نائبين مسلمين ، كما ضم مجلس الوزراء وزيرا مسلما واحدا ، وشمل مجلس الشيوخ عضوا واحدا مسلما ، وأخذت الحكومة الكاثوليكية تضغط على المسلمين ، فتراجع الإسلام في مندناو ولم يبق له من مناطقه القديمة إلا جنوبها وأرخبيل صولو وجزيرة بالوان. وتوزع عدد من المسلمين في مناطق متناثرة وخاصة حول مانيلا العاصمة. وتناقصت نسبة المسلمين في البلاد ، فقد كانت **٥٥**٪ تناقصت على أيدي الإسبان إلى **٥ و ٤٠**٪ ، وعلى أيدي الامريكيين إلى **٣٢**٪ وعلى أيدي اليابانيين إلى **٥ و ١٧** ٪ وعلى يد الحكومة الصليبية الجديدة في عهد الإستقلال إلى **١٢**٪(٣٢).

وكان المسلمون يسيطرون على **٩٢**٪ من مجموع مساحة مندناو فتضاءلت هذه الملكية إلى **٣٨**٪ ، وتعمل الحكومة الآن على تجريد المسلمين من أراضيهم كلية وتوطين المزارعين النصارى وزيادة عدد اللاجئين والمشردين بدعم من أمريكا واليابان لحكومة الفلبين بمختلف الوسائل والأساليب. ولا عجب في ذلك فلأمريكا **٥٠** قاعدة ومطارا معظمها في المناطق الإسلامية.

وقد تأخر المسلمون نتيجة الظروف التي مرت عليهم علميا واجتماعيا وفكريا ،

---

(٣٠) الأمير شكيب - حاضر العالم الإسلامي - ج١ ص ٣٦٣.

(٣١) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٦٠.

(٣٢) انظر عذراء ماليزيا - د.مصطفى مؤمن. ونشرة لجبهة تحرير مورو سنة ١٤٠٠هـ عن وضع المسلمن في الفلبين.

ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي وخاصة بالدولة العثمانية وبمصر ، عندما دعا السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية ، فزارها مبعوث منه عام ١٣٣١هـ ، ثم تتابع عليها الزوار المسلمون من سوريا والأزهر بمصر.

وأسس المسلمون الجمعيات التي عملت على تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية وإصدار المجلات. فانتعشت أحوالهم اثر الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م). وأمام هذا التطور الملموس استمرت حركة صليبية قامت بها أمريكا للعمل ضد المسلمين **بالتنصير والتهجير**.

واقع المسلمين في الفلبين في عهد الاستقلال عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م إلى عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الإستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين ، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان ، اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لايقل عن مائة ألف مسلم ، وشردت نصف مليون ، واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين ، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس(٣٣) ، وجاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م : « ان عدد المذابح والحوادث الدامية التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ **٤١٧** حالة في ثلاث سنوات(٣٤) ».

وبالمقابل اشتد وعي المسلمين في الفلبين وشعورهم بالإنتماء إلى الأمة الإسلامية الكبيرة ، وظهر هذا التجاوب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ، فقد ألفوا لجانا للتطوع لمساعدة العرب المسلمين. وعندما زارت (جولدا مائير) الفلبين سنة ١٩٦٤م إحتج المسلمون على هذه الزيارة وقال النائب المسلم في البرلمان : « إذا لم تطرد الحكومة هذه السيدة فسنتولى طردها»

وقامت المظاهرات العدائية في أنحاء الفلبين ، مما جعلها تختصر زيارتها وتخرج بعد أقل من **٢٤** ساعة.

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م أعدوا كتائب خاصة للجهاد ضد اليهود ، وعقب مأساة عام **١٩٦٧م** كان (أبا إيبان) يطوف بالعالم يبرر ماحدث منهم ، فلما

(٣٣) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. محرم ١٣٩٨هـ/ص ٥.

(٣٤) تقرير مقدم من جبهة تحرير مورو لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

وصل الفلبين كانت المظاهرات تحاصر المطار ، حتى حالت دون خروجه ، فاضطر لاستخدام الطائرة الهليوكبتر لتنقله إلى القصر الجمهوري ، ولم يستطع الوصول إلى الجامعة ليلقي المحاضرة التي كانت مقررة له ضمن برنامج زيارته(٣٥).

فاشتدت الهجمة الصهيونية عنفا ، وعمل الكاثوليك بمساعدة البابا على تنصيرهم وتهجيرهم ، وبموافقة الدول الأجنبية وخاصة أمريكا. وزحف نصارى الشمال نحو أراضي المسلمين في جزر مندناو وبالاوان وصولو بغية طردهم واحتلال أراضيهم.

وبالإضافة إلى الأحزاب السياسية النصرانية الكاثوليكية في الفلبين نشأت منظمات كاثوليكية محظورة قانونيا ولكنها تلقى التعاطف من قبل السلطات الحكومية ورجال الأمن والشرطة مثل - **منظمة ايلاجاس** -(أي الفئران) الإرهابية. وقد وجدت هذه المنظمة تأييدا من إسرائيل فزودتها بالخبراء والأسلحة ، وتدرب أفرادها على العمليات الإرهابية. وأخذت هذه المنظمة الخطيرة منذ ١٣٩١هـ/١٩٧١م تقتل المسلمين ، وتحرق بيوتهم ، ومساجدهم ، ومدارسهم ، وتهدد زعماءهم ليقبلوا تنصير المسلمين. وقد فضح النواب المسلمون تواطؤ حكومة ماركوس (الذي تولى رئاسة الفلبين منذ سنة ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م) أولئك الفئران المسلحين ، واعترف أحد قادتهم أمام لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ الفلبيني سنة ١٣٩١هـ/ بأنهم يتلقون تدريبات عسكرية ومعونات ومؤن من الحكومة ، كما اعترف قائد الشرطة ان هناك **٣٥** ألف رجل من عصابات إيلاجاس المسلحة في مناطق المسلمين بجزيرة مندناو.

وهناك منظمة **جيفا الإرهابية** : وهي الجناح العسكري السري للجمعيات الكاثوليكية العلنية ، وتتلقى معونات من الكنيسة الكاثوليكية ، ولديها إمكانيات كبيرة ومخازن للسلاح وميادين للتدريب على القتال النظامي والشعبي. وكان ماركوس على صلات بهذه المنظمة الإرهابية.

كون المسلمون الجمعيات نتيجة تعرضهم للقهر والإعتداء والتنصير فأنشأوا **جمعية المسلمين الفلبينية** في مدينة مانيلا سنة ١٣١٥هـ ، وجمعية إقامة الإسلام في مدينة ماداوي سنة ١٣٥٥هـ ، وجمعية أنصار الإسلام ، وتقدم الإسلام ، وهداية الإسلام ، ومؤتمر الإسلام ، والنهضة الإسلامية ، والتربية الإسلامية ،

---

(٣٥) المسلمون العدد ٣٠ص ٢٢(المورو ٨ ملايين مسلم يواجهون المحن في جزر الفلبين).

والمؤتمر الإسلامي ، وجمعية مسلمي صولو(٣٦).

وفي عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م أخذت حكومة ماركوس تستخدم طريق تهجير المسلمين بالقوة وإحلال النصارى بدل المسلمين ، وتقيم الحكم النصراني في محافظات المسلمين ، فخرجت إلى حيز الوجود (**جبهة تحرير بنجاسا مورو الوطنية**) برئاسة نور ميسواري الأستاذ الجامعي للعمل على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن باقي الجزر الفلبينية الكاثوليكية (وكانت نواتها الأولى قد تكونت عام ١٩٦٢م ، باسم (جبهة تحرير مورو) ، وضمت مجموعة من الطلاب وفي مقدمتهم سلامات هاشم ، الذين كانوا يدرسون في الجامعات والمعاهد الإسلامية في الشرق الأوسط)(٣٧)، فأعلن ماركوس الأحكام العرفية في الجنوب ، وتدفقت الجيوش إلى أقاليم المسلمين ، فبلغ تعداد جيش الحكومة في الجنوب ربع مليون جندي ، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي وإحراق الأحياء ، وانتهاك الأعراض والحرمات. وصمد المسلمون بقوة في وجه الفظائع وتحصنوا في الغابات والجبال ، ونال بعضهم قسطا من التدريب في معسكرات خارج البلاد ، ويقدر عدد جيشهم بثلاثين ألفا. وقد أرسل ميسواري رسائل إلى الأمم المتحدة وإلى رئيس الفلبين ، وعرضت القضية الفلبينية على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م في جدة ، وكشف الملك فيصل النقاب عن أحداث الفلبين ، ونبه العالم إلى خطورة الوضع ومايتعرض له المسلمون في جنوب الفلبين ، من إرهاب وقمع واضطهاد ، فانتدب المؤتمر لجنة وزارية رباعية من وزراء خارجية كل من المملكة العربية السعودية وليبيا والصومال والسنغال لتقصي الحقائق ، وبعد مساعي عدة جلست جبهة مورو على مائدة المفاوضات مع (كارميلو بربيرو) وزير الدفاع في الحكومة الفلبينية ، حيث مثل ماركوس في طرابلس الغرب سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ،وأعلن وقف إطلاق النار وإعطاء المسلمين الحكم الذاتي في **١٣** ولاية ، حيث يكون لهم حكومة ، ومجلس نيابي ، ومدارس ، ومحاكم شرعية ، ويجري استفتاء عام ومالى ذلك من بنود الاتفاق. وجرى التصديق على هذه الإتفاقية من قبل اللجنة الرباعية التي شكلها المؤتمر الإسلامي(٣٨). وكان عبد الباقي أبوبكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة مورو الإسلامية ممثلا للجبهة

---

(٣٦) البلدان الإسلامية والأقليات ص ٦٠٨.

(٣٧) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ربيع الثاني ١٤٠٧هـ/ ديسمبر ١٩٨٦م.

(٣٨) نشرة معهد الأقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ.

في جميع المفاوضات والمؤتمرات الإسلامية منذ إنضمام الجبهة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مُراقب دائم سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م(٣٩).

ولم يكن الإتفاق في واقعه سوى مناورة استهدفت كسب الوقت من أجل القضاء على حركة الجهاد الإسلامية في جنوب الفلبين ، فقد أراد ماركوس أن يتم وقف إطلاق النار ، ثم ينظم استفتاء لإقرار وضع معين في جنوب الفلبين.

ولكن جبهة مورو قاطعت هذه الانتخابات التي قرر لها عام ١٩٧٧م على اعتبار أنها لاتعطي للمسلمين نفوذا حقيقيا ، ثم عاد الصراع العسكري من جديد ، وانشقت جبهة تحرير مورو إلى قسمين عام ١٩٧٧م ، إثر تلك الأحداث :

أ- جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم ، وتصر على الإتجاه الإسلامي لحركة الجهاد.

ب- جبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري وتضم إلى جانب بعض الإسلاميين العلمانيين والوطنيين(٤٠) ، وتبادل القسمان الاتهامات ، ومن ثم لجأ ماركوس إلى المناورات فقد أعطى المسلمين استقلالا داخليا بسيطا لا يذكر ، مع تمسك السلطات العسكرية بزمام الأمور سنة ١٩٧٩م ، وزار الحبيب الشطي أمين المؤتمر الإسلامي مدينة مانيلا سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م في محاولة لاقناع الحكومة بتنفيذ اتفاقية طرابلس(٤١) ، وأعلن رفع الأحكام العرفية عن البلاد عام ١٩٨١م ولكن الحقيقة والواقع هو رفع الأحكام العرفية عن المناطق غير الإسلامية ، أما المناطق الإسلامية فقد ظلت تحت الأحكام العرفية. وبلغ عدد المعارك التي خاضتها جبهة تحرير مورو عام ١٤٠٠هـ (٧٩) معركة.

ومن أكبر المناورات التي لجأ إليها ماركوس عام ١٩٨١م بهدف إبعاد القضية عن الصعيدين الإسلامي والدولي واعتبارها نزاعا داخليا محليا وليس إسلاميا حتى تفقد حساسيتها وخطورتها ، هي لجوؤه إلى إنشاء لجنة وساطة للإتصال بالمجاهدين وقادتهم تحت ستار إيجاد حل سلمي للنزاع القائم ، وذلك ليتحقق له إيجاد صلح منفرد دون إشراك منظمة المؤتمر الإسلامي ... وكذلك تضليل الرأي العام العالمي ، وإيهامه بأن المسلمين لايريدون بديلا عن الحكومة الحالية ، فاستخدم في تنفيذ هذا المخطط الأسلوب الإستعماري : (فرق تسد) ، مستغلا أوضاع

---

(٣٩) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠، ١ربيع الأول ١٤٠٣هـ. ص ٢٨.

(٤٠) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ربيع الثاني ١٤٠٧هـ/ديسمبر١٩٨٦م.

(٤١) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ.

المسلمين السيئة في الفلبين ، لعزل المجاهدين وإظهارهم بمظهر المتآمرين على الوطن. فرفض المجاهدون المفاوضات التي اخترعها ماركوس وألفتها بطانته ومثلتها الفئات المنافقة من المسلمين ، واشترطوا أن تكون المفاوضات مباشرة بين المجاهدين والحكومة الفلبينية دون تدخل لجنة الوساطة التي ألفها ماركوس ، وأن يكون ذلك تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي ، وعلى أساس اتفاقية طرابلس ، وان تعقد المفاوضات في إحدى العواصم الإسلامية ، وذلك حفاظا على معالم القضية الإسلامية. وأمام اتضاح سوء نية ماركوس تجاه القضية ومناوراته المفضوحة أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي (الحبيب الشطي) إيقاف مثل هذه المفاوضات مع الرئيس الفلبيني.

وكثيرا ماخدع الرئيس الفلبيني الرأي العام الإسلامي والعالمي ، بإقامة بعض المساجد أو المدارس والمؤسسات الإسلامية التي توجهها الحكومة وتشرف عليها ، ليغطي ماتقوم به الحكومة من حرب إبادة المسلمين وتصفيتهم ، حيث يفتخر بأن الفلبين هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا ، وقد زاره بابا الفاتيكان عام ١٩٨١م كدليل على اهتمام الصليبيين بهذه الدولة ، التي يريدها البابا منطلقا للكاثوليكية وللتبشير في آسيا. فحكومته تتعاون مع القساوسة بتدريس المسلمين في مدارس (نوثر يديم) ، وهي مدارس تنصيرية لتنصير أبناء المسلمين ، مع حرمانهم من إنشاء مدارس خاصة بهم. كما يقوم الجنود الفلبينيون بالزواج من المسلمات بالقوة ، لتكوين جيل نصراني أو نصف نصراني على الأقل.(٤٢)

وعملت حكومة ماركوس على تفريق كلمة زعماء جبهة تحرير مورو فظهر انشقاق بين رجالها، حيث أعلن مسئول العلاقات الخارجية للجبهة سلامات هاشم استقلاله من الجبهة مع بعض مؤيديه ، فسارعت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في محاولة مخلصة لتصفية الخلافات وتقريب وجهات النظر. هذا فضلا عن ظهور طائفة شيوعية يسارية ، تظهر بمظهر الحريص على الحرية وعلى الإسلام ، وهي في الواقع تتجه بكل كيانها إلى موسكو ، وتعمل من أجل احتواء حركة الجهاد ، والإتجاه بها وجهة شيوعية إلحادية من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين. وباسم الخطر الشيوعي حصلت حكومة ماركوس على مساعدات أمريكية هائلة لاستخدامها ضد المسلمين ، وأخذت الصحف الفلبينية تنشر أخبار

---

(٤٢) مجلة المجتمع العدد ٦٠٠ص ٣١.

الاشتباكات مع المجاهدين على أنها معارك بين الحكومة والشيوعيين(٤٣).

وقد تعاونت العناصر الصليبية المتعصبة مع الخبراء اليهود والقوى الإستعمارية الصليبية ضد مسلمي الفلبين فقام زعماء الصهاينة بزيارات الفلبين ، فقد قامت غولدا مائير أيام كانت وزيرة خارجية إسرائيل بزيارة الفلبين وتعهدت في تلك الزيارة بأن تقدم إسرائيل للفلبين معونات مادية ومعنوية وخبراء في مجال الشرطة والجيش. وكانت شروط هذه المعونات تنص على إجبار المسلمين على ترك دينهم واستخدام كافة الأساليب من أجل تحقيق هذا الأمل الغالي لدى أعداء الإسلام. وبذلك فإن عمليات الإبادة وحملات التنكيل الجماعي تتطور ووصلت مرحلة أكثر تعقيدا وأكثر سفورا.

وفي مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الخامس عشر الذي عقد في صنعاء لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م شارك وفد من الجبهة الوطنية لتحرير مورو برئاسة نور ميسواري بصفة مراقب ،ووجهت الجبهة نداء إلى المؤتمر ، تناشدهم فيه العمل على إنهاء الإستعمار الفلبيني لوطنهم ، كما طالبت بعرض مشكلة مورو على حركة عدم الإنحياز وعلى الأمم المتحدة إضافة إلى مطالبتها بمساعدات مالية وفنية وإنسانية.

كما قال ميسواري أن عدد أفراد شعب بانجاسامورو الذين يعيشون حاليا في أرخبيل الفلبين يتراوح بين **١٣و١٤** مليون نسمة وهو يتجاوز تقديرات حكومة مانيلا بكثير(٤٤).

ومما يؤسف له أن أجهزة الاعلام من إذاعات وصحف في بعض البلدان الإسلامية تتجاهل المجازر التي تقوم بها الحكومة الفلبينية بل أنها كانت تشيد بهذه الحكومة وتتحدث عن إصلاحات ماركوس وانجازاته. رغم ماتقوم به الدوريات السعودية من مجلات شهرية وأسبوعية وجرائد يومية بمعالجة هذه القضية وأبعادها كقضية إسلامية. وماتقوم به رابطة العالم الإسلامي من دور كبير في تنبيهها لهذه القضية ودعمها.

وقد قدمت الفلبين بين عامي (١٣٩٢-١٤٠٤هـ/١٩٧٢-١٩٨٤م) :

- **٣٠** ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن.
- إسترقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين.

---

(٤٣) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ السنة ١٥ الثلاثاء ٢٠جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ/١٢ مارس ١٩٨٥م. ص ٣٨-٣٩.

(٤٤) جريدة الشرق الأوسط الأحد ١ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/٢٣/١٢/١٩٨٤م العدد٢٢١٧.

- تشريد أكثر من مليوني مسلم.
- فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة - ولاية صباح التابعة لماليزيا -.
- إحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين.
- تدمير مئة قرية ومدينة إسلامية.
- إغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة.
- تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين.

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية والمحاولات المستمرة للقضاء على المسلمين بشن الحملات العسكرية إلى انتشار الفقر والجهل والأمراض بين المسلمين ، مما جعلهم فريسة لحملات التبشير والشيوعية - وللمؤثرات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية(٤٥).

ورغم ذلك بقيت شعلة الإيمان متوهجة فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ماعدا بعض المدن. وسارعت بعض الدول العربية بتقديم المساعدات التعليمية للمسلمين في الفلبين فهناك حوالي ٣٠ مدرسا من الأزهر ، وعدد كبير من المدرسين من المملكة العربية السعودية وتساهم رابطة العالم الإسلامي في ذلك.

وبقيت في المناطق الإسلامية مئات المدارس الإبتدائية والمتوسطة وعشر مدارس ثانوية وست كليات إسلامية ضمن جامعة إسلامية ، وتحاول الحكومة جاهدة أن تضم هذه المؤسسات التعليمية إليها ، وهي تدار بجهود ذاتية. ومن المؤسسات التعليمية : معهد مندناو العربي الإسلامي وتتبعه ٣١٦ مدرسة ، ومعهد ماداواي الإسلامي وتتبعه ٥٢ مدرسة ، وكلية فكاسم في مدينة مداراوي ويتبعها العديد من المعاهد وتقدم تعليما باللغة العربية ، ويضاف إليها جامعة الفلبين الإسلامية وكانت تسمى معهد كامل الإسلام ، ولها فروع في عدة مدن.

وبالفلبين مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية ، ويوجد ضمن جامعة مندناو ، وهناك المدرسة التجريبية لتعليم اللغة العربية التي تتبع مركز الملك

---

(٤٥) البلاغ - الأحد ٢٣ربيع الأول ١٤٠٥هـ/١٦ ديسمبر ١٩٨٤م العدد ٧٧١ص ٢٦. وقد ذكر عبد الباقي أبو بكر أن الشهداء بلغوا ١٣٥ألف مسلم من المدنيين وأن ماركوس اعترف بأنه قتل سنة ١٩٨٠م ٦٠ألفا من المسلمين بينما قال رئيس القوات العسكرية بأن عدد القتلى من المسلمين بلغ ٧٥ ألفا. (المجتمع العدد ٦٠٠ ص ٣١).

فيصل(٤٦).

وعندما زار الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي جنوب الفلبين وزار معهد أمين الشريف استقبله عدد من المسئولين بينهم السلطان اسماعيل لاود مؤسس المعهد الذي يضم ٧٠ طالبا وطالبة من المسلمين واستقبله المسلمون استقبالا حافلا ، وزار معهد مندناو العربي وحضر مجلس القرآن الكريم والحديث النبوي بقاعة المحاضرات بالجامعة ، وأعاد افتتاح مسجد باب الرحمن الذي بني في الفلبين قبل اربعمائة سنة ، ووجد في مدينة دراكا أربعة عشر مدرسة إسلامية و**٢٥** مسجدا وعددها **٣٠** ألف نسمة كلهم مسلمون(٤٧).

ويقدر عدد المساجد بالفلبين بحوالي **٢٥٠٠** مسجد(٤٨). وهذا دليل على استمرار شعلة الإيمان متوهجة في تلك البلدان المجاهدة. وتعلن دائما أنها جزء من الأمة الإسلامية. وانها على استعداد للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والأزهر ومنظمة المؤتمر الإسلامي(٤٩).

هذا وقد سقط ماركوس وغادر البلاد إلى أمريكا بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٥م، ووصلت (كورازون أكينو) المعارضة لسياسة ماركوس إلى الحكم ، ولم يتغير وضع المسلمين رغم الوعود التي أطلقتها لهم ، بل استمرت في أسلوب ماركوس المراوغ ، وسياسة فرق تسد بإيجاد الصدع بين جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم ، وجبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري. ولاتزال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تبذلان جهدهما للإبقاء على وحدة الصف والتنسيق بينهما حيث بدأت بوادر الشرخ بين الجبهتين تظهر بحدة(٥٠).

وتمت مباحثات بإشراف أمين عام رابطة العالم الإسلامي بين وفد جبهة تحرير مورو الإسلامية ووفد حكومة الفلبين في **١٩٨٦/٩/٢٠م** في مقر الرابطة بجدة.

---

(٤٦) انظر ـ نشرة معهد الاقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ. ومحمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ـ ص ١٦٧.

(٤٧) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢٥رجب ١٤٠٥هـ/١٥/٤/١٩٨٥م العدد٩٢١.

(٤٨) محمد عبد القادر عودة ـ المسلمون في الفلبين ـ ص ١٩٧.

(٤٩) المسلمون ـ العدد ٤٦ ص ٩/٤ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٥٠) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ذي الحجة ١٤٠٦هـ/٣٠/٨/١٩٨٦م.

واتفق على بدء الحوار مع اكينو في الفلبين(٥١). تحت إشراف الرابطة. وفشلت المباحثات حيث وصفها الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بأنها كانت مناورة. إذ يوجه حكومة اكينو مجلس الكنائس الفلبيني ، حيث عينت كبار القساوسة مستشارين لها ، وهم من ألد أعداء الإسلام والمسلمين(٥٢). وتخفي تلك الحكومة المواجهات المسلحة مع المسلمين ، بينما تبرز الحركة الشيوعية وتنشر لها نشرات أكبر من حجمها ، وتنسب إليها في بعض الأحيان العمليات الفدائية الجهادية ، وذلك للفت نظر الدول الغربية والإسلامية ، لتتلقى المساعدات لمجابهة الخطر الشيوعي. ولدفن القضية الإسلامية(٥٣) ، كما تلقى عدد من العلماء والأساتذة والدعاة في مورو الإسلامية رسائل بتوقيعات مستعارة بالتهديد بالقتل أو الإغتيال أو الخطف. ونفذت بعض التهديدات بالفعل ، وثبت أن ذلك من عملاء شبكة المخابرات الفلبينية(٥٤). وقد بينت (المسلمون) صورا حية للمذابح التي تديرها الجماعات المسلحة المعادية للإسلام في الفلبين ، إذ أنهم يقتحمون البيوت المسلمة ، ويطلقون رشاشاتهم على النساء والأطفال والشيوخ ، ويفقأون عيون الرجال ، ويبقرون بطون الأطفال ، ويذبحونهم بالخناجر ، ويفصلون الرؤوس عن الأجساد(٥٥).

ولايزال الجهاد الإسلامي يواجه الدوائر الثلاث : الجيش الصليبي الفليبيني الحكومي ، والعناصر المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين من المستوطنين في بلاد المسلمين الذين يعاونهم الجيش الفلبيني ويسلحهم ويدعمهم ، والشيوعيين الذين يتظاهرون بالعطف مع المسلمين لينقضوا عليهم كلما وجدوا الفرصة لذلك(٥٦) كل ذلك مع مراوغة الحكومة وأساليبها التي لم تتغير. والله غالب على أمره.

---

(٥١) Saudi Gazette September22.1986.

(٥٢) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ شعبان ١٤٠٧هـ.

(٥٣) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٢شعبان ١٤٠٨هـ/ تقرير سلامات هاشم.

(٥٤) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ١٢ شعبان ١٤٠٧هـ.

(٥٥) المسلمون العدد (١٧٥) الجمعة ٢٦شوال ١٤٠٨هـ/ ١٠يونيو ١٩٨٨م.

(٥٦) نشرة مورو الإسلامية ص ٧ / ٢٥شعبان ١٤٠٧هـ.

الفصل الثالث

المسلمون في شبه القارة الهندية (وماساة كشمير)

الهند شبه قارة مترامية الأطراف تقترب مساحتها من خمسة ملايين كم٢ موزعة كالتالي(١) :

١- جمهورية الهند ومساحتها ٣٢٨٠٠٠٠ كم٢.
٢- جمهورية باكستان ومساحتها ٨٠٣٠٠٠ كم٢.
٣- جمهورية بنغلاديش ومساحتها ١٤٢٧٧٦ كم٢.
٤- كشمير وجامو ومساحتها ٢١٧٩٣٥ كم٢.
٥- مملكة بهوتان ومساحتها ٤٧٠٠٠ كم٢.
٦- مملكة نيبال ومساحتها ١٤٠٧٩٧ كم٢(٢).
٧- جزيرة سيلان ومساحتها ٦٥٦١٠ كم٢(٣).

---

(١) سعيد الصباغ - الأطلس العربي العام.

(٢) مملكة نيبال قلما يسمع بها بسبب موقعها المنعزل ووعورة تضاريس أرضها ، فهي توجد بين ثنايا جبال الهمالايا الوعرة ، تجاورها التبت من الشمال ، وتحدها الهند من الشرق والجنوب والغرب ، وفيها أعلى قمة جبلية في العالم هي قمة افرست (٨٨٤٨م) ، وعاصمتها مدينة كتمندور ، وتتميز بالبرودة الشديدة. سكانها أكثر من ١٥ مليون نسمة ، ٤٪ مسلمون ، ويحتمل أن عدد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ ألف.

وصلها الإسلام عن طريق كشمير من الغرب وعن طريق الهند والبنغال من الجنوب بالدعوة والتجارة ، وكان أول غزو إسلامي لها في القرن الرابع عشر الميلادي ، فقد هاجم السلطان شمس الدين حاكم البنغال وادي كتمندور في وسط نيبال ، فزاد ذلك من صلة المسلمين بهذه البلاد وخاصة في عهد الملك المغولي أكبر حيث أرسلت في عهده البعثات الإسلامية، واسهم التجار في نشر الدعوة واستوطنوا مناطق عديدة من البلاد ، وأغلب المسلمين من غرب البلاد قرب الهند وبنغلاديش ، وهناك جالية عربية قديمة. وفي عام ١٤٠٢هـ زار وفد من مسلمي نيبال المملكة العربية السعودية. ورد الزيارة وفد من الجامعة الإسلامية.

وانظر جريدة الجزيرة Journal Institute of Muslim,M.affairs Vol 3,1981. ١٤٠٢/٦/٢٧هـ.

(٣) جزيرة يفصلها عن الهند مضيق بالك وعرضه نحو ٤٠ كم ، وعاصمتها كوالالامبوروعدد سكانها حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ١٠٪ مسلمون. وكان العرب قد عرفوها باسم جزيرة سرنديب ، =

وتعيش في الهند أجناس متعددة من البشر ، وفيها مختلف ماعرفه الإنسان من فنون وآداب ، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هداه الله إليه ، وفيها الأجواء المتباينة من الصقيع القطبي وثلوجه بالهيمالايا إلى قيظ المناطق الإستوائية ، ولكن يهيمن عليها المناخ الموسمي إذ يسقط ٨٠٪ من أمطارها على الأقل في فصل الصيف ، كما أنها تحتوي على صنوف الطير والحيوان والنبات والمعدن مايصلح لأن يكون إجمالا لما بالعالم كله منها(٤).

وأشهر ماتزرعه الهند الأرز والذرة البيضاء والقمح والقطن والجوت وقصب السكر وفستق العبيد والكتان والشاي(٥). وتغطي الغابات حوالي ١٢٪ من مساحة البلاد منها ـ الهيفيا ـ المطاط ـ وجوز الهند (النارجيل)(٦) ، كما تمتلك أكبر قطيع من الأبقار في العالم ، ولكنها أقل قطعان العالم إنتاجا بسبب معتقدات الهنادكة ، فهي تعاني الضعف والهزال وسوء الاستغلال(٧).

= ثم عرفت باسم سيلان ، ومنذ عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م عرفت باسم سريلانكا نسبة للحزب الحاكم وتعني البلد الجميل. وكانت مركزا تجاريا هاما قصده الباحثون عن الثراء من التجار والمغامرين والرحالة لوجود الحجارة الكريمة كالياقوت والعقيق والزمرد واللؤلؤ ، بالإضافة لوجود التوابل.

دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري مع التجار والدعاة وأخذ ينتشر فيها سلما. إلى أن تعرضت للغزو البرتغالي الصليبي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م الذي أباد قرى إسلامية بأكملها ، وخلف الهولنديون البرتغاليين سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٥م فقاموا أيضا بمطاردة المسلمين الأمر الذي دفعهم للجوء إلى المناطق الداخلية في الجزيرة ، ولما احتل الانجليز الجزيرة سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م شجعوا البوذيين وبعثات التبشير فزادت التحديات على المسلمين فانعزلوا وانقرض كثير منهم وقل عددهم وأصابهم الفقر والجهل. واستمر الانجليز حتى سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م حين استقلت الجزيرة ، فانتعش المسلمون وعادت صلاتهم بالمسلمين ولكنهم تعرضوا حاليا لضغط التاميل والتبشير.

والتاميل هم الأقلية التي تلي في عددها المجموعة السنهالية الأغلبية الرئيسية في البلاد ، وبدأت حركتهم للاستقلال بشمال الجزيرة سنة ١٩٨٣م ، وتبلغ نسبتهم حوالي ١٩٪ من أهل البلاد ، ووقع المسلمون بين شقي الرحى.

البلدان الإسلامية ص ٥٠٢، مجلة العربي العدد ٣٢١، المسلمون العدد ٣٥ ص ٢.

(٤) الساداتي ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم ص ٣.

(٥) د.عبد المنعم الشرقاوي ـ ملاح الهند وباكستان ص ٢٠ ، حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

(٦) وصفه ابن بطوطة بأنه (أغرب الأشجار ...) تحفة النظار في غرائب الأمصار ج٢ص ٦٥٥.

(٧) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

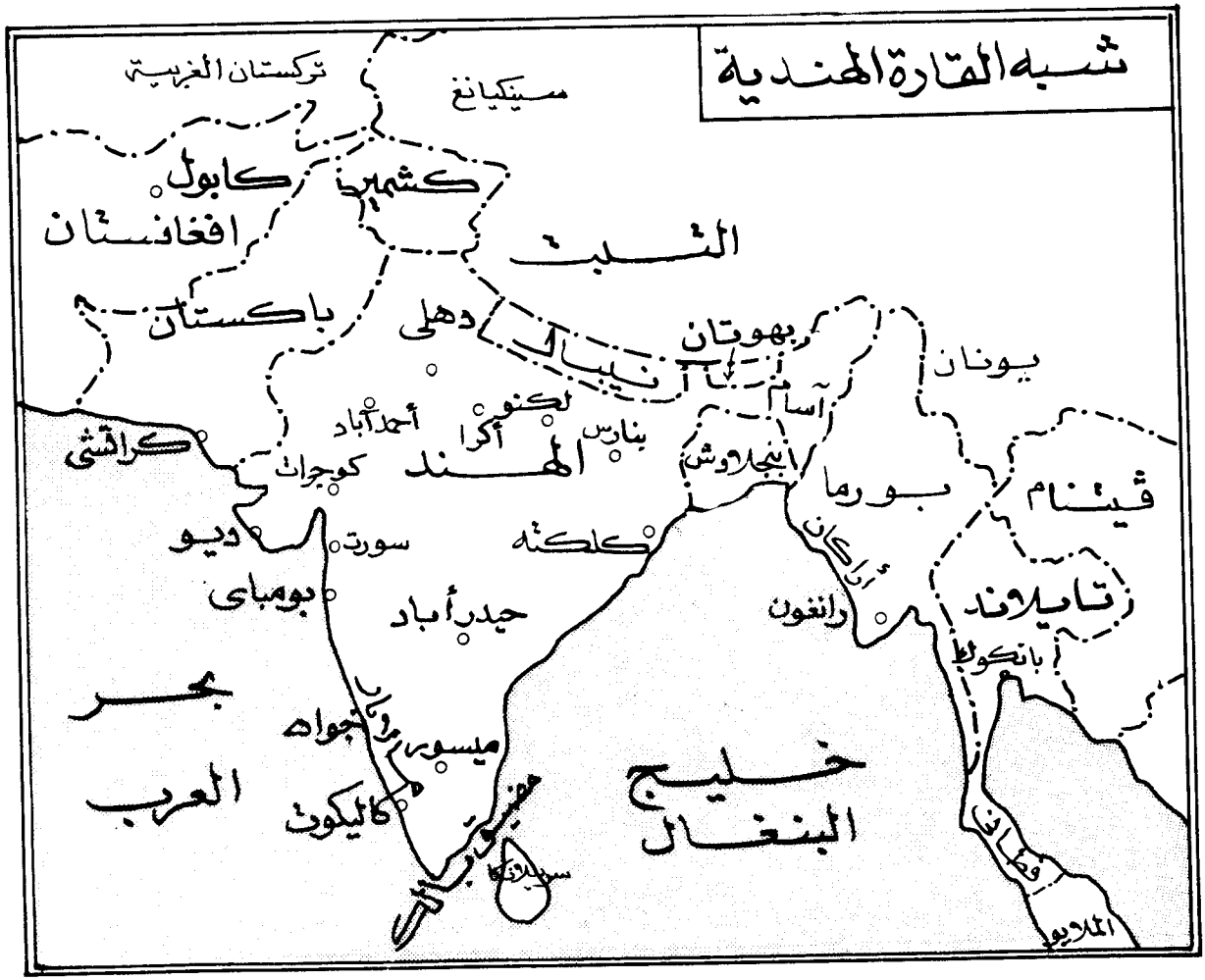
شبه القارة الهندية
تركستان الغربية
سينكيانغ
كشمير
كابول
افغانستان
التبت
باكستان
دهلي
بهوتان
نيبال
يونان
آسام
لكنو
أكرا
أحمد آباد
بنارس
كراتشي
كوجرات
الهند
بنجلاوش
بورما
فيتنام
ديو
سورت
كلكته
بومباي
حيدرأباد
أراكان
رانغون
تايلاند
بانكوك
بحر العرب
ميسور
مدراس
بنجواه
كاليكوت
خليج البنغال
سيلان
ماليزيا
الملايو

وأقدم من سكن الهند قوم سود لهم سمات الأجناس الحامية ، قطنوا الغابات ، ثم غزاها الدراوديون والثمول من الطورانيين أو من العراق ، وهم أقدم من سكن الهند في التاريخ ومنهم أغلب سكان شبه القارة اليوم ، ثم توالت موجات الآريين البيض ، فأخضعوا الدراوديين والثمول في الألف الثانية ق.م(٨).

وقد خشي البراهمة من الآريين اختلاط قومهم بعناصر الهند الأخرى ، فوضعوا نظاما طبقيا صارما ، وتطورت فكرة الهندوكية مع الوقت لتصبح فكرة فلسفية من أهم مظاهرها وجود روح عالمية واحدة تشمل الكون والمخلوقات ، والاعتقاد في تناسخ الأرواح ونظام الطبقات ، وطبقا للفكرة الهندوكية فإن المجتمع ينقسم إلى الطبقات التالية(٩) :

١ـ طبقة رجال الدين : البراهمة أو البرهمن أو الكهان ـ وهم أعلى الناس درجة ويقال لهم الكهنة أيضا.

٢ـ طبقة الحكام والمحاربين : الكشتريين ـ الذين يشرفون على الأمور الإدراية والعسكرية من النبلاء وعليهم أن يتعلموا ويقدموا القرابين ويحملوا السلاح.

٣ـ طبقة التجار : (الويش أو الفيشية) وتشمل التجار وعليهم أن يتجروا ويجمعوا المال وينفقوا منه.

٤ـ طبقة الزراع والصناع والعمال ـ الشودرا ـ وعليهم خدمة الطوائف السابقة.

وأخيرا فهناك طبقة الباريا وهم المنبوذون وقوامهم بعض القبائل الوطنية وأسرى الحرب ، أو أصحاب المهن الحقيرة فتضم الكناسين والجزارين والجلادين والحدادين ومن إليهم.

وقد جاء في الفقرة (٣١) من الباب الأول من منوسمرتي (أهم كتب الهنادكة المقدسة) قوله : « ولسعادة العالم خلق براهما البراهمة من وجهه ، والكشتريين من ذراعه ، والويش من فخذيه ، والشودرا من قدميه »(١٠). فرسمت الهندوكية لكل طائفة من الطوائف حدودا لاتتعداها ، وأطلقت في الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد ، وجعلت لهم زعامة الناس جميعا ، وهذا يذكرنا بفكرة اليهود في قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه ».

---

(٨) الساداتي ص ٧ ، البلدان الإسلامية ، عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند.

(٩) انظر إحسان حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ٣١ـ٣٥ ، عبد المنعم النمر ص ٢٨ ، أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان ج٤ص٥٧ الساداتي ص٨.

(١٠) د.عادل حسن غنيم وزميله ـ تاريخ الهند الحديث ص١١٦.

وقد ناوأ البوذيون البراهمة ، فعمل البراهمة على تقويض صرح البوذية وأفلحوا في دحرها فانتقلت إلى بورما والصين والتبت واليابان(١١).

كما ظهرت الديانة الجينية كثورة على النظام الطبقي داعية إلى قهر النفس ، فالحياة لعنة على زعمهم وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطيء جوعا(١٢). وأخيرا جاء الإسلام لينقذ ملايين الهنود من الظلمات إلى النور ، ويخفف من غلواء الهندوكية !

وفي الهند حوالي **٢٥٥** لغة مشتقة من أربع مجموعات كبرى ، ويتفرع عنها أكثر من ثلاثمائة لهجة ، وأشهرها السنسكريتية والأوردية التي تكتب بالحروف العربية وألفاظها مزيج من العربية والسنسكريتية والفارسية والتركية ، واللغة التاميليه ، والبنغالية(١٣).

طرق وصول الإسلام إلى الهند

وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية بالطرق التالية :

أولا : طريق الفتح والجهاد :

ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصل المسلمون إلى ساحل الهند الغربي تانه (بومبي) وبهروج عام **١٥هـ**(١٤). وبدأ فتح السند في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه(١٥) ، وتم في عهد الوليد بن عبد الملك (**٨٦-٩٦هـ**) بأن عهد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق إلى الشاب محمد بن القاسم الثقفي فتح السند ، فقام بفتحها سنة **٩٣هـ**. وعمر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام ، فبنى في الديبل (كراتشي) مسجدا جامعا كان أول مسجد بني في هذه المنطقة ، ومصرها وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين ، وأقام في الملتان مسجدا جامعا ومصرها أيضا وأسلم خلق كثير ، وقد أحب أهل السند محمد بن القاسم لرفعه راية العدل الإسلامي(١٦) ، ففتح قلوبهم للإسلام وهيأهم له. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) كتب إلى ملوك السند دعاهم إلى الإسلام وقد

---

(١١) إحسان حقي - مأساة كشمير ص٣٥ ، حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١١٦.

(١٢) تاريخ الإسلام في الهند ص٤٩وص٥٠.

(١٣) حسن أبو العينين - آسيا الموسمية ص١٧٤.

(١٤) البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧ ، مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص٣.

(١٥) عندما توجه حكم عمرو بن التغلبي إلى مكران ، البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧.

(١٦) انظر البلاذري - فتوح البلدان ص٤٢٤ ، اليعقوبي ج٢ص٢٧٧ ، الطرزي ج١ص٢٢١.

بلغتهم سيرته وعدله فدخلوا دين الله أفواجا(١٧) وأصبحت السند معقل الإسلام في شبه القارة الهندية وقاعدته ونقطة انطلاقه.

وقد مصر عمرو بن مسلم الباهلي مدينة المحفوظة ومدينة المنصورة في السند (بين سنتي ١١٢-١٢١هـ)(١٨) في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ). وبقيت المنصورة (وقد سماها أهل الهند بهنكر) أعظم مدينة عربية إسلامية في السند لمدة ثلاثة قرون ، واشتهرت بعلم الحديث(١٩). وامتد منها الإسلام في جميع أجزاء شبه القارة الهندية كما سيأتي.

ثانيا : عن طريق التجارة :

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند وسيلان منذ آلاف السنين قبل الإسلام ، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها ، فلما سمع هؤلاء بإسلام شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي ﷺ ، وأخذت هذه الجاليات تلعب دورا كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة ، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار وسواحل إقليم السند مبكرا(٢٠).

وكان لهؤلاء التجار نفوذ كبير في سواحل الهند فكان الحكام يعاملونهم معاملة طيبة وباحترام بالغ ، ورفدت هذه الجاليات جاليات مسلمة أخرى جديدة قدمت إلى المدن الساحلية إبتداء من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع الهجري ، حيث نشطت التجارة بسيطرة المسلمين على البحار ، فزاد نفوذ العرب المسلمين في تلك السواحل الهندية ، فزاد بذلك انتشار الإسلام بها ، وقد ارتفعت نسبة العرب في بعض مناطق الهند الساحلية إلى ٢٠٪ ، وكانت هذه الزيادة تعود أيضا إلى زواج العرب المسلمين من نساء تلك البلاد ، وكثرة الإنجاب ، وكان أولادهم منهن ، يعاملون كمعاملة العرب المسلمين ، فيزداد عدد المسلمين ، ويزداد بذلك انتشار الإسلام بين أهل البلاد(٢١) ، ولايزال كثير من أهل مالابار إلى اليوم يعتزون بانتسابهم إلى العرب المسلمين !.

(١٧) فتوح البلدان ص٤٢٥-٤٢٧.

(١٨) فتوح البلدان - ج٣ص٥٤٣، الشيال : تاريخ أباطرة المغول ص١٣.

(١٩) كما بين المقدسي في كتابه :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

(٢٠) «أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة» انظر الحاكم - المستدرك ج٤ص١٣٥. وانظر عبد المنعم النمر ص٦١ ، الطرزي ج١ص٣٣٩.

(٢١) الطرزي ج١ص٣٤١.

ثالثا : عن طريق الدعاة والأمراء المحليين :

إزداد علماء الإسلام ولاسيما في القرن الخامس الهجري في الهند زيادة كبيرة ، فأخذ هؤلاء على عاتقهم عبء الدعوة إلى الإسلام في جميع أرجاء الهند ، فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام. وقد سار الدعاة جنبا إلى جنب مع المجاهدين ومع التجار ، ولم يتركوا بقعة من الهند إلا ودخلوها ، وكثيرا ماأقنعوا الأمراء المحليين بالإسلام ، فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس الإسلام ، وكان الدعاة قد بدأوا بالساحل ثم انتقلوا إلى الداخل في هضبة الدكن ، واستقرت جماعات عديدة من العرب في الدكن(٢٢).

الدول المسلمة في الهند :

في بداية القرن الرابع الهجري بدأت روح التشيع تسري في السند من الهند ، فقدم إليها القرامطة من البحرين وفارس وكونوا دولة إسماعيلية في الملتان حوالي سنة ٣٧٥هـ ، إلى أن قضى عليها الغزنويون سنة ٤٠٢هـ(٢٣) ، وبدأ ظهور الدول الإسلامية في الهند. التي أسهمت كثيرا في نشر الإسلام في شبه القارة جميعها. وعلى ذلك **فإن الهند لم تعرف الوحدة إلا في ظل المسلمين**. ومن هذه الدول :

أولا : الدولة الغزنوية :

ومن أشهر سلاطينها السلطان محمود بن سبكتكين (٣٨٧-٤٢١هـ) ٩٩٦-١٠٣٠م الذي نذر نفسه للجهاد فقاد سبع عشرة حملة إلى الهند فقضى فيها على الفرق الضالة والمضللة من رافضة وقرامطة وغيرهم ، ووطد حكم الإسلام في البنجاب ودهلي ولاهور ، وعمل على نشر الإسلام هناك ، كما ضم كشمير إلى ملكه سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م(٢٤). فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية أصحابها من المجاهدين المسلمين ولكن ليسوا من العرب فقط. وقد وفق محمود في جميع غزواته وكان يرسل بأخبار انتصاراته إلى الخليفة في بغداد فتعمها الأفراح ومن وراءها من البلدان الإسلامية. وأنعم عليه الخليفة العباسي بلقب **يمين الدولة وأمين الملة**(٢٥). وبعد عودته إلى غزنة أمر ببناء جامع

---

(٢٢) انتشار الإسلام ص٣٠٠-٣٠٣.

(٢٣) الطرزي ج١ص٣١٠.

(٢٤) الشيال ص١٤.

(٢٥) البداية والنهاية ج١٢ص٢٩ ، الكامل لابن الأثير ج٧ص٢٨٢-٢٨٣.

في غزنة قال عنه ابن الأثير لم يسمع بمثله ، وأنفق عليه ماغنمه فى هذه الغزاة في بنائه. وكان محمود من أعيان الفقهاء ، محبا للعلم والعلماء.

وقد اهتم الغزنويون إجمالا بنشر الإسلام في الهند فأقاموا المساجد في المناطق المفتتحة وتركوا الدعاة ليعلموا أهلها أمور الدين. ومن أمثلة ذلك أن محمود الغزنوي عندما فتح بهاطية سنة **٣٩٥هـ** ، استخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها مايجب عليهم تعلمه(٢٦).

وفي نهاية العصر الغزنوي اضطر الغزنويون أمام الغوريين إلى التخلي عن عاصمتهم غزنة، ونقلوا دولتهم إلى الهند ، واتخذوا من لاهور عاصمة لهم ، وبذلك يمكننا اعتبار الدولة الغزنوية أول الدول الإسلامية التي قامت في الهند.

ثانيا : الدولة الغورية :

استطاع محمد الغوري الإستيلاء على السند ودهلي والبنغال وبهاربين سنة (٥٨٨-٥٩٧هـ) واتخذ دهلي قاعدة لحكومته الإسلامية في الهند ، فبدأ على يديه الحكم الإسلامي في شمال الهند بأكمله على أساس راسخ وطيد ، وصار للمسلمين دولة مرهوبة الجانب وسيعة الرقعة عظيمة السلطان(٢٧) وذلك بعد أن قضى على القرامطة والإسماعيلية الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد ، وأضعف الراجبوتيين الهنود(٢٨). قال المؤرخ الفرنسي رينه غورسه : « إن شهاب الدين الغوري أسس ملكا عظيما ثابتا وطيدا تعاقبت عليه الدول الإسلامية التي جاءت بعده من ترك وأفغان وطفلوقيين وسادات وتيموريين ، وكان دستور هذا الملك وحدة الدولة »(٢٩) وأصبحت دهلي من عواصم الإسلام المشهورة.

ثالثا: دولة المماليك :

اغتال الباطنية السلطان محمد الغوري سنة **٦٠٢هـ**. فنصب غلامه قطب الدين آيبك نفسه سلطانا على الهند ، وكان أميرا لدهلي من قبل الغوري. فأقر الأمن من البنغال شرقا إلى آخر حدود البنجاب غربا ، وحرص على إقامة العدل بين الناس مع حسن معاملته للهنادكة ، وعمل على نشر الإسلام ، فبنى مسجدين كبيرين أحدهما بدهلي والآخر بآجمير(٣٠). وفي عهد خلفه ألتمش (**٦٠٧-٦٣٣**)

(٢٦) ابن الأثير - الكامل. ج٧ص٢٨٤.

(٢٧) الساداتي ص٩٣.

(٢٨) نفسه ص٨٧.

(٢٩) نقله عبد المنعم النمر ص١٠٣.

(٣٠) الساداتي ص٩٤.

توثقت صلة الهند بالعالم الإسلامي فقصدها علماء العراق والحجاز وإيران وتجارها ، وكانت هذه الزيارات تبعث في صدور مسلمي الهند مسرات لاحد لها ، لأن أكثرية هؤلاء المسلمين كانت من الهنادكة أو البوذيين الذين هداهم الله للإسلام فوجدوا إخوانا يحبونهم(٣١). وأشهر من خلفه من المماليك ناصر الدين محمود بن ايلتمش الذي استقام له الأمر عشرين سنة (٦٤٤-٦٦٤هـ).

وقد خلفه وزيره بلبن الذي لقب بألغ خان أي السيد الأعظم (٦٦٤-٦٨٦هـ/١٢٦٦-١٢٨٧م) الذي اشتهر بأنه أقام العدل وأنصف الضعيف واستعان على ضبط الأمور في مملكته الهندية الواسعة بشبكة محكمة من العيون ، توافيه بكل ماكان يجري في البلاد وأحوال عماله ، وألزم نفسه ورجاله بالتمسك الشديد بآداب الإسلام وفضائله ، وأنشأ أولاده عليها ، ودفع رعيته إلى التحلي بها ، ورعى العلماء والأدباء ، مع بره الشديد بالناس جميعا من مسلمين وهنادكة(٣٢). فقد حاول التشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبعمر بن عبد العزيز(٣٣) ، وتدفق العلماء على الهند في عصره لانتهاء الخلافة العباسية في بغداد سنة **٦٥٦هـ** ، وقد أبقى هو اسم الخليفة - على العملة - وسمى نفسه ناصر أمير المؤمنين.

رابعا : الدولة الخلجية (٦٨٩-٧٢٠هـ/١٢٩٠-١٣٢١م) :

وهي الدولة الإسلامية الثانية التي تركز سلطانها في الهند وحدها ،وكان لجلال الدين فيروز ملكهم (الذي تولى عرش دهلي عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) وهو في السبعين من عمره) أثر كبير في إسلام عدد كبير من المغول بعد أن هزمهم(٣٤).

أما علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ/١٢٩٥-١٣١٦م) فقد كادت فتوحاته تشمل شبه القارة الهندية بأكملها ، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ الهند ، إذ كان الجنوب في منأى عن كل مايجري في شمال البلاد ، وقد طبق علاء الدين تحريم الخمر والربا في جميع أجزاء الدولة ، وأدت رقابته على الأسواق والأسعار مع تشدده في معاقبة مدلسي التجار إلى أن عم اليسر والرخاء

---

(٣١) نفسه ص٩٨-٩٩ ، حقي - تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١١٠.

(٣٢) الساداتي ص١١٠.

(٣٣) ضياء الدين برني - تاريخ فيروزشاهي ص٣٩ (بالفارسية).

(٣٤) الساداتي ص١١٤.

البلاد(٣٥). وكان إذا غلا ثمن الغلات فتح المخازن وباع الغلات التابعة لبيت المال حتى يرخص السعر.

وقد شجع الخلجيون الناس على اعتناق الإسلام(٣٦) بأن سنوا عادة تقديم الشخص الذي أسلم حديثا إلى السلطان ، حيث كان يكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره. وجاهدوا جهادا دائبا لرفع لواء الإسلام عاليا في شبه القارة الهندية.

خامسا : الدولة التغلقية (٧٢٠-٨١٧هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م):

ومن أشهر سلاطينها : محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم الهند كاملة(٣٧). وجدد الأواصر بالخلافة العباسية بالقاهرة ، وكان على صلة بتلامذة الشيخ ابن تيمية الحراني (**ت ٧٢٨هـ**) ، ومنهم الشيخ عبد العزيز الأردبيلي(٣٨) ، ووفد إلى بلاطه جموع من علماء العراق وخراسان وفارس وبلاد ماوراء النهر ، وأنشأ الكثير من دور الشفاء وملاجيء العجزة ووالى الإشراف عليها بنفسه. وقد وفد إلى بلاطه الرحالة ابن بطوطة(٣٩).

وأما خلفه فيروز تغلق (**٧٥٢-٧٩٠هـ**) فقد وثق صلاته بدار الإسلام وأعلن أنه يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة العباسي أمير المؤمنين ، الذي لقبه سيد السلاطين(٤٠). واهتم بالزراعة فجد في حفر الآبار والقنوات فعم الرخاء حتى ليقال بأن ضفتي الغنج Ganga كانتا عامرتين بسلسلة من القرى المتصلة بعضها ببعض وبينها مزارع نضرة ، وبنى خمسين سدا وشق نهرا للري في جنوب غرب البنجاب طوله **١٥٠**كم ، وأكثر في بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات وأوقف عليها أوقافا كثيرة بحيث أنها كانت مجانية لمن يريد العلم أو التداوي أو الاستجمام ، وتمسك بقواعد الشرع وتوفير العدالة لرعاياه ، وقضى على فتنة وحدة الوجود ، وما ينشأ عنها من الضلالات التي استولت على قلوب

---

(٣٥) تاريخ فيروزشاهي ص٢٦٣ بالفارسية.

(٣٦) انظر ابن بطوطة ج٢ص٥١١ ، أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٠.

(٣٧) مسعود الندوي الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨ ، حقي ـ تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١٠٣.

(٣٨) مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨.

(٣٩) انظر الرحلة ج٢ص٤٤٨.

(٤٠) مسعود الندوي ـ الدعوة في الهند ـ ص٤٢.

المتصوفة(٤١).

اضطرب الأمر بعد وفاة فيروز تغلق فتمكن تيمورلنك من غزو دهلي سنة ٨٠١هـ ودخلها(٤٢) ، فأدى ذلك إلى تفكك الدولة الإسلامية في الهند وانفصلت أغلب ولاياتها عن دهلي(٤٣) مثل مالوه والكجرات وجونبور والبنغال والدكن وكلها إمارات إسلامية تنافست في العمران والعلم فظهرت نهضة علمية واسعة باللغات العربية والفارسية والسنسكريتية ، وأدى ذلك إلى زيادة انتشار الإسلام بين الهنادكة انتشارا واسعا وكانت **إمارة كجرات** في شمال غرب الهند من أقوى الإمارات الإسلامية هذه ، وكانت ذات علاقات تجارية على نطاق واسع مع البلاد العربية وشرق افريقية. ولما جاء البرتغاليون الصليبيون ببوارجهم الكبيرة المزودة بصفوف المدافع ، وأخذوا يستولون على سفن المسلمين ثم يحرقونها بمن فيها من رجال ونساء ، أو يأخذونها غصبا ويبيعون الأسرى بيع الرقيق ، استصرخت كجرات سلاطين المسلمين وخاصة المماليك في عهد قونصوه الغوري ، ثم السلطان سليم الأول العثماني ، وكانت معركة ديو عام ١٥٠٩م حيث خسر المسلمون فيها زعامة البحار. ثم دعت السلطان سليمان القانوني فتعاون مع مسلمي الهند ضد البرتغال والصليبيين(٤٤).

سادسا : الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩-٩٣٢هـ/١٥٢٥م) :

أفغانية الأصل ومن أشهر من حكم دهلي منها : اسكندر شاه (٨٩٣-٩٢٣هـ/١٤٨٨-١٥١٧م) وكان عالما فاضلا محبا للعلم والعلماء تقلصت في ظله العادات الجاهلية ، أنشأ مدينة آجرا الحالية ، اشتهر بالعدل وتوفير الأقوات وضبط أسعارها ، وكان يأمر بين الحين والحين بإحصاء الفقراء والمعوزين ويمنح كل واحد منهم مايكفيه من المؤن ستة شهور ، كما عمل على نشر الإسلام في ربوع البلاد فهدم بعض المعابد الهندوكية(٤٥).

سابعا : الدولة المغولية :

تأسست علي يد بابر المغولي بعد أن دخل دهلي عام **٩٣٢هـ/١٥٢٥م** بعد

---

(٤١) نفسه ص٢٩-٣٦.

(٤٢) الساداتي ص١٥٣.

(٤٣) نفسه ص١٦١-١٦٨.

(٤٤) انظر نوار - الشعوب الإسلامية - ص٥٤٧.

(٤٥) الساداتي ص١٨٥.

موقعة باني بت الحاسمة(٤٦) حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرشهم في آكرا وانتصر على الراجبوتيين ومن أعماله :

١ـ أمر بمسح كثير من الأراضي وشق كثيرا من الطرق ليربط بين مختلف أجزاء بلاده وكان أهمها تعبيد الطريق الطويل الذي يربط بين كابل وآكرا وإقامة منارات به ليهتدي بها السابلة ومنازل للمسافرين والدواب كما أقام البساتين والحدائق(٤٧).

٢ـ حض عماله على إجراء العدل بين السكان جميعا من مسلمين وهنادكة.

٣ـ اقتنى مكتبة قيمة خاصة به كان عليها قيم يدعى عبد الله كتابدار.

وفي عهد خلفه **همايون بن بابر** (٩٣٧-٩٦٣هـ) تمكن شير خان سوري أحد الزعماء الأفغان واسمه الأصلي فريد أن يحكم الهند وأن يطرد همايون من الهند سنة (٩٤٧-٩٥٢هـ)(٤٨) ويعتبر **شير شاه** هذا من بين أمراء المسلمين العظام الذين عرفتهم الهند ، فنظم الخراج والإدارة. واهتم بأمر الجيش فجعل تحت إمرته جيشا قوامه **٢٠٠** ألفا التزم بدفع نفقاتهم من بيت المال. ونشرهم في جميع أنحاء البلاد وعهد إليهم بحراسة الحقول والمحافظة على أرواح الناس ومتاعهم. ونهض بالبريد ونظمه وحسن الطرق حتى أنشأ ما يزيد طوله على الألفين من الأميال المعبدة ، وأقام على جانبيها الأشجار ذات الظلال وأنشأ بها الكثير من محطات المسافرين ومنازل الدواب وأباحها للمسلمين والهنادكة على السواء. واعتنى بالعلم والعلماء وطلاب العلم وأنشأ كثيرا من المدارس والمساجد ورتب الأجور والمكافآت للمعلمين والطلبة على السواء وفتح كثيرا من المطاعم في أنحاء متفرقة بالهند وأباحها بالمجان للفقراء والمعدمين من أهل البلاد جميعا مسلمين وهنادكة(٤٩).

وبقي همايون في المنفى إلى أن عاد عام **٩٦٢هـ** إلى دهلي بمساعدة شاه فارس الشيعي طهماسب وتخلص من خلفاء شير شاه ليقضي نحبه سنة ٩٦٣هـ(٥٠). فبدأ التأثير الشيعي في البلاد(٥١).

وتولى **أكبر** جلال الدين **أكبر** بن همايون **٩٦٣-١٠١٣هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م**

---

(٤٦) نفسه ص٢٤٧ ، الشيال ص٢٨.

(٤٧) الساداتي ص٢٧٢-٢٧٥.

(٤٨) الشيال ص٦١.

(٤٩) الساداتي ص٢٩٤.

(٥٠) الساداتي ص٢٩٩ ، الشيال ص٥٤ تاريخ الهند الحديث ص٨٦.

(٥١) مسعود الندوي ص٥٦.

فظهرت في زمنه البدع وانساق فيها وأصيب بالغرور والعتو وجرأه على سياسته المعادية للإسلام وبدعه بعض علماء عصره(٥٢) فادعى الألوهية وأجبر الناس على أن يكون سلامهم بينهم (الله أكبر) ويعني نفسه ، وأوجب السجود لنفسه بدل السلام ، وألغى التاريخ الهجري وأحل محله تاريخ جلوسه على العرش وسماه التاريخ الإلهي ، ومنع ذبح البقر وحلل الخمر وأباح بيعها على مرأى ومسمع من الناس ، وأباح التعامل بالربا والمقامرة ، وشجع السفور والخلاعة ، وأفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول الشيعة ، ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية (ديوان خانة) ، وحظر على الناس أن يصوموا شهر رمضان ، ومنعهم من أداء فريضة الحج. وأباح للناس أن يأكلوا لحوم الثمر والخنازير والضواري.

وقد قامت علاقات بين دولة أكبر والبرتغاليين الذين سيطروا على **جوا** بساحل الهند ، وسمح لهم ببعث إرساليات نصرانية إلى البلاد.

ورغم ذلك فإن عصره من أزهى عصور الإسلام في الهند ، فقد كانت الهند تعج بالعلماء والفقهاء والمرشدين والمعلمين وكانت دعائم الإسلام قوية وثابتة الأركان ويدخل الهنادكة الإسلام أفواجا ، ووقف في وجه بدعته **الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨-١٠٥٢هـ)** الذي أحيا علم الحديث في شمال الهند وقدم السنة(٥٣). ونزل ميدان الجهاد الشيخ أحمد السرهندي(٥٤) الذي ظهرت آثار دعوته في زمن **جهانكير بن أكبر(١٠١٤-١٠٣٧هـ/١٦٠٥-١٦٢٧م)** فبايعه خلق كثير على متابعة السنة واجتناب البدعة ، وطفق الأعيان والأمراء يرجعون إلى الإسلام ، ويثوبون إلى رشدهم ، ولما سجنه جهانكير اهتدى المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فأمر بالافراج عنه ، واستجاب لطلباته فأصدر أمرا : بتحريم السجود للملك تعظيما له ، وأبطل التاريخ الأكبري ، وألغى معظم القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية ، وحصلت نهضة إسلامية جديدة ، انتعشت زمن **شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ)** الذي كان قد بايع الإمام السرهندي على اجتناب المعاصي واطراح المآثم وهو بعد أمير(٥٥). فجعل شعاره : « الحمد لله الذي أنزل

---

(٥٢) الندوي ص٦١-٨٦ ، الشيال ص١٠٩-١١٠ وانظر الساداتي ص٣١١ وص٣٢٥-٣٣٧ عن تقريب الهنادكة والمذهب الإلهي.

(٥٣) مسعود الندوي ص١٠١.

(٥٤) مسعود الندوي ص١١٩ ، الشيال ص١١٨، الجندي ـ العالم الإسلامي ص٢٩٣.

(٥٥) مسعود الندوي ص١٠٣.

على عبده الكتاب » وامحت بدعة شعار « الله أكبر». وحرم السجود للسلطان ، وحرم التطاول على مقام الخلفاء الراشدين عند شيعة بلاده. وقضى على نشاط البرتغاليين الذين عاثوا فسادا ، وقضى على تجارة الرقيق التي كانوا يزاولونها ولكنه أعطى الإنجليز بعض الإمتيازات التجارية(٥٦).

وبلغت النهضة الدينية الذروة في عهد خلفه : أورنكزيب عالمكير(٥٧) (١٠٦٨-١١١٨هـ) محمد محيي الدين. الذي قضى أيامه على خير مايقضيها مسلم تقي ، يحفظ القرآن ، ويصوم أغلب أيامه ، حتى لايتردد وأعنف المعارك تدور حوله في أن ينزل عن دابته فيؤدي الصلاة في وقتها باطمئنان وخشوع بالغين وكأنه يقيمها بالمسجد الجامع أو في داره. وقضى على البقية الباقية من البدع الأكبرية(٥٨). وبلغ من حرصه على تحقيق العدل لرعاياه أنه أصدر أوامر مشددة لقضاته في جميع أنحاء شبه القارة الهندية بأن يتوافروا على دراسة قضايا الناس ومشاكلهم مع سرعة الفصل فيها بالجلوس خمسة أيام من كل أسبوع بدلا من يومين على الرسم السابق.

وجعل من نفسه قدوة لغيره ، فلم يلبس إلا بسيط الثياب ، وعاش على ما كان يكتسب من نسخ القرآن الكريم ، وكان يبعث ببعض هذه النسخ هدية منه إلى الحرمين الشريفين ، وألف بأمره وإشرافه موسوعة فقهية تحمل أقوال الفقه الحنفي في المذهب ، وهي المعروفة بالفتاوى الهندية أو العالمكيرية(٥٩).

وقد قام بتأديب قراصنة البرتغال والمتمردين في عهده وحد من نفوذ الإنجليز الذي أخذ يتزايد على يد شركة الهند الشرقية الإنجليزية.

وحين اشتد به الداء أوصى رجاله أن يقيموا له جنازة بسيطة عند وفاته ، وأن يسرعوا بدفنه في أقرب مقابر المسلمين ، ولايزيدوا في ثمن كفنه على خمس روبيات ، كان قد كسبها من صنع الطواقي وبيعها ، وأن يتصدقوا على الفقراء بثلاثمائة روبية كانت هي كل مايملكه ، وماتبقى له من دخله من نسخه للقرآن الكريم وبيعه(٦٠).

---

(٥٦) الساداتي ص٣٦٥-٣٦٧.

(٥٧) الساداتي ص٤١٢-٤١٤ ، مسعود الندوي ص١٢٠ ، الشيال ص١٦٤.

(٥٨) مسعود الندوي ص١٢٣-١٢٥.

(٥٩) طبعت في مصر عام ١١٨٢هـ وهي من المراجع المهمة في الأحوال الشخصية.

(٦٠) الساداتي ص ٤١٤. ومن الطبيعي أن يشوه الأوروبيون صورة هذا الرجل ، وأن يصفه الإنجليز بأنه سفاك للدماء.

الإنجليز يتسللون إلى الهند :

وشهدت الدولة الإسلامية المغولية التفكك والإنحلال بعد وفاة أورنكزيب عام ١١١٨هـ/١٧٠٧م. فتعرضت دهلي للغزو الإيراني على يد نادر شاه زمن السلطان محمد شاه(٦١) (١١٣١-١١٦١هـ/١٧١٩-١٧٤٨م). كما تعرضت مرة أخرى لغزو أحمد ابدالي شاه الذي دخلها أيضا عام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م برجاله الأفغان(٦٢).

واستفاد الإنجليز من هذا الصراع فاستطاع «**كلايف**» مدير الشركة الإنجليزية أن يهزم المسلمين في معركة **بلاسي**(٦٣) أول المعارك الحاسمة بين المسلمين والإنجليز ١١٧٠هـ/١٧٥٧م ، وانتصر الإنجليز بخيانة جعفر خان حاكم البنغال والعملاء من الهندوس ، فقضى على سراج الدولة الذي كان قد هزم الانجليز والهنادكة عدة هزائم.

لقد وصل الانجليز الهند كتجار ، إذ منحت **اليزابيث** الأولى شركة الهند الشرقية امتيازا عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجاورة(٦٤). وكان جهانكير قد تميز بملاطفته للنصارى ، فاستغل المستعمرون سماحته فقصد أرضه نفر من التجار الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين ، ووصل «**وليم هوكنز**» الهند عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨م فكان أول بريطاني يظهر في آجرا ويلتقي بالسلطان حاملا رسالة من الملك «**جيمس الأول**»(٦٥) ، فرحب به السلطان ولكنه عاد دون أن يحقق أهدافه ، بقي «**وليم هوكنز**» سنتين في الهند يحاول مقابلة السلطان جهانكير فلم يظفر بما يريد ، فتضرع أن يأخذ كتابا منه يحمله إلى إنجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلا :

« إنه مما لايناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون »(٦٦) ، ثم وصل «**توماس رو**» مبعوثا من ملك الإنجليز عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م واستطاع بلباقته أن ينال مكانة لدى السلطان فصار

---

(٦١) نفسه ص٤٢٧.

(٦٢) نفسه ص٤٢٩.

(٦٣) نفسه ص٤٣٣.

(٦٤) دور السجلات الهندية ص١١.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) عبد المنعم النمر ص٢٠.

للشركة وكالات أو مصانع Factory في سورات بالقرب من بومبي ، وفي أماكن عدة(٦٧). وكسب التجار الإنجليز إمتيازات أخرى أخذت تزداد على مر الزمن ، ومازالوا يدعمونها بالخبث والدهاء ، ويثبتونها بالغدر والخيانة ، حتى وضعت بريطانيا أيديها على شبه القارة بأكملها.

وفي عام ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م استطاعوا استئجار أرض من حاكم تشانديري ، أنشأوا فوقها قلعة عام **١٠٥٠هـ/١٦٤٠م** سموها قلعة القديس جورج(٦٨) (حيث توجد مدراس الحالية) ، وكانت هذه القلعة أول حجر وضع في بناء الإمبراطورية الإنجليزية في الهند. وكانت تنظر الدولة المغولية إلى الانجليز نظرتهم إلى تاجر لا يخشى بأسه وإلى الوكالات أنها تافهة الشأن. وقد ظل حكام الهند المسلمين لمدة طويلة يعتقدون ذلك.

وفي عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م منحت الشركة إذنا بإنشاء مصنع في البنغال وأن يعطى تسهيلات تجارية.

وفي عام ١٠٦٢هـ/١٦٥١م حصلت على إذن بتأسيس مصانع في هوجلي ، ووكالات في باتا ، وقاسم بازار ، وداكا ، وبالاسور.

وفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م تسلمت الشركة ميناء بومباي الهام من الملك تشارل الثاني.

وفي عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م حصلت على فرمان من حاكم البنغال المغولي يعفي الشركة من دفع الرسوم الجمركية.

وفي عام ١١٠٢هـ/١٦٩٠م قام أحد موظفي الشركة ويدعى جوب تشارنوك بإنشاء مدينة كلكتا. وتوالت الإمتيازات للشركة وأخذت الشركة تعمل بهدوء وحزم لإنعاش حالتها الإقتصادية المادية وللقضاء على الإقتصاديات الهندية بوسائلها الخبيثة المخططة.

وفي عام ١١٢٧هـ/١٧١٥م مرض السلطان **فروخ سيار** وأشرف على علاجه طبيب إنجليزي يدعى هاملتون ، وصدر فرمان عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م يكافئه بإعفاء البضائع التابعة للانجليز من التفتيش والضرائب ، ويهب لهم **٣٨** قرية حول كلكتا ، فأخذ البريطانيون يتحولون تدريجيا من التجارة إلى الفتح ، يساعدهم في ذلك الفوضى والإرتباك والضعف والتخاذل ، والهنادك يعملون في ركابهم ،

---

(٦٧) دور السجلات الهندية ص١١٢.

(٦٨) نفسه ص١١٣.

ويتآمرون معهم على الدولة الإسلامية ، فكانت معركة بلاسي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م السالفة الذكر.

وبعد فترة وجيزة من المعركة تولت شركة الهند الإشراف على الإدارة المالية للبنغال (**الديواني**) ، فضمن البريطانيون السيطرة الفعلية على أغنى أقاليم الهند قاطبة ، وأصبحت الشركة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الامبراطوريات وأوسعها في التاريخ ، واندفعت في نهب ثروات الهند ، فعرفت تلك الحقبة بفترة السلطة غير المسؤولة ، وحصل البريطانيون نتيجة ذلك على كميات هائلة من الأموال ، شحنت إلى أوربا لحساب الشركة وموظفيها ، وصارت تحصل على المبالغ اللازمة لابتياع السلع الهندية من الشعب الهندي نفسه. وانتزعت الشركة من عميلها مير محمد قاسم حاكم البنغال إعترافا بالتنازل عن ثلاثة مناطق من البنغال لتكون إقطاعا للشركة ، تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش ، تضعه تحت تصرفه إذا مااحتاج إليه ، ومعنى ذلك أن **الشركة ألفت جيشا بمال الهنود ورجالهم لتحاربهم به.** واتخذت من أراضي البنغال الشاسعة مزارع لزراعة الأفيون لتصديره إلى الصين. وحين منعت الصين دخوله تدخلت بريطانيا فكانت حرب الأفيون(٦٩) وأرغمت الصين على السماح بدخول الأفيون إليها.

وفي عام **١١٧٧هـ/١٧٦٤م** هزم الانجليز المسلمين في معركة **بكسر** وكانت هزيمة حاسمة للدولة المغولية المسلمة في الهند ، فقد فقدت البنغال إلى الأبد ، وأسفرت عن اتفاقية مع السلطان **شاه عالم** تنص على إعطائهم «الحق الديواني» وهو حق الإشراف المالي على الولايات الشرقية ، وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي ، وغيرها من المناطق. وتعهد الإنجليز مقابل ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجا سنويا عن الولايات الشرقية بهار ، واوريسا ، والبنغال قدره **٢٦**مليون روبية. وبعبارة أصح إعترف السلطان بسلطانهم على هذه الأقاليم ، أي بيعها بيعا باتا لهذه الشركة التي أصبحت دولة قائمة بذاتها ، لها جيشها وإدارتها ومنظماتها. ولم يكن السلطان يستطيع غير ذلك.

وتصدى أمير ميسور ، حيدر علي ، للإنجليز في الجنوب (١١٧٧-١١٩٧هـ/١٧٦٣-١٧٨٢م) وهزمهم هزائم متعددة. وكذلك ابنه (**فتح علي**) **تيبو سلطان (أسد ميسور)** من بعده (١١٩٧-١٢١٤هـ/١٧٨٢-١٧٩٩م)

(٦٩) قاسم السامرائي - الاستشراق ص٣١.

وتمكن لورد ويلزلي أن يحطم قوى أسد ميسور عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. الذي كان أول حاكم مسلم كبير وقف في وجه الإنجليز وقفة صلبة. كما أخضع بونا رأس الإمارات المرهتية عام **١٢١٨هـ/١٨٠٣م**. وقامت حركة **أحمد بن عرفان** الشهيد لجهاد السيخ الذين دعمهم الانجليز ومكنوهم من البنجاب وكشمير. وأقام أحمد دولة إسلامية بدأت الجهاد بالفعل إلى أن استشهد في معركة بالاكوت عام **١٢٤٦هـ/١٨٣١م** ومعه الشاه اسماعيل الدهلوي(٧٠). واستمر البريطانيون في أساليبهم ، في تفريق الكلمة وتشتيت الشمل وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس ، واستثمار كل خلاف ، لابتلاع مناطق جديدة ، وكانوا يكثرون من عقد المعاهدات التي لم تكن عندهم إلا قصاصات ورق تنفع لجلب الخير لهم ودفع الضر عنهم ، ولكنها لاتقيدهم بقيد ولاتلزمهم بعهد. فأصبحوا بذلك عام **١٢٧٣هـ/١٨٥٦م** السادة الفعليين لكل أنحاء الهند تقريبا فقد استطاعوا أن يقضوا بمهارة وحذر على جميع السلالات الكبيرة في الهند ، وأزاحوا ورثتها إلى أماكن بعيدة عن مراكز حكمها السابقة.

أدرك المسلمون أن لابقاء لهم مع الانجليز وقد أصبحوا يواجهون ثالوثا قويا: الإنجليز والهندوس والسيك. فقاموا بثورتهم العامة الشاملة عام **١٢٧٤هـ/١٨٥٧م**. عندما أعلن لورد كيننغ (**١٢٧٣-١٢٧٨هـ/ ١٨٥٦-١٨٦١م**) **أن سلطان دهلي ، بهادر شاه**(وهو البقية الرمزية لسلطان الإسلام في الهند) هو آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من الأسرة المغولية ، وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية ، وسكنى القصر السلطاني. فنزل هذا الإنذار نزول الصاعقة على الهنود لأنهم كانوا يعتبرون السلطان على ضعفه رمز وحدة الهند ورمز السلطة الإسلامية.

فثار الجند في ميرته وأخذوا يقتلون الإنجليز رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا وأشعلوا النار في منازلهم ، وامتدت إلى دهلي وطارت الأنباء في الهند تحمل البشرى بقرب الخلاص ، وثار الجند في كل مكان وتحولت الثورة إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون ، وأشهرهم مولانا أحمد الله ، ومولانا لياقت علي ، وبخت خان القائد العام ونائب الملك ، والحاج امداد الله التهانوي وغيرهم ، واشترك فيها الشيوخ والرجال والنساء. ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا

---

(٧٠) انظر جامعة بناوس - جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ص٨٧ ، سعيد الأعظمي القروي - أحمد بن عرفان ص٦٩.

عن طريق الخيانة والرشوة فبدأوا بدهلي ، وأسروا السلطان بهادور شاه في الحصن الأحمر ، ثم أخذوا يستولون على المدن الرئيسية ، التي كانت فيها المقاومة قوية ومنظمة. ورافقت أعمالهم العسكرية أعمال إنتقامية وحشية ، وأخذوا الناس بالشبهات فساقوا آلافا من الناس إلى المحاكم ، التي حكمت عليهم بالموت بعد العذاب الأليم ، فيقول أحد الكتاب الإنجليز :« إن ماارتكبه جنودنا من ظم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثيلا في أي عصر »(٧١).

وحاكم الإنجليز السلطان بهادور شاه محاكمة صورية عجيبة ونفوه إلى بورما حيث توفي في رانجتون عام **١٢٧٩هـ/١٨٦٢م**. وأعلنت بريطانيا تولي التاج البريطاني لحكومة الهند في إعلان نوفمبر (تشرين الثاني) سنة **١٢٧٥هـ/١٨٥٨م**. وانتهت السيادة الإسلامية على شبه القارة.

سياسة الانجليز تجاه المسلمين في الهند :

منذ أن وطئت أقدام المستعمرين الانجليز أرض الهند وهم يتبعون سياسة واحدة لا يحيدون عنها ، تتمثل في كسر شوكة المسلمين في البلاد ، باعتبارهم العدو الوحيد المناهض لأساليبهم الإستعمارية ، فقد أعلن الحاكم البريطاني اللورد **النبرو** : « إن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود ، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها ، لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد ».

فاشتد الإنجليز في هجمتهم على المسلمين بعد إنهاء الثورة ، واستولوا على أراضيهم ، ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى **٥٪** من أراضيهم التي كانوا يملكونها من قبل ، وسدت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين وصودرت أملاكهم. وأخذ الانجليز جانب الهندوس والسيخ ، وأطلقوهم يهزأون بالمسلمين وبدينهم ، ويسومونهم سوء العذاب. فكانت المذابح التي راح ضحيتها الآلاف من المسلمين ، وتفشت الطائفية وكثرت المصادمات الطائفية ، والهدف إفناء المسلمين بالمذابح. كما حاول الانجليز تعميق الفوارق بين المسلمين أنفسهم فقسموهم إلى : سادة أو مغل أو باتان أو مشايخ ، وأجبروهم على تسجيل أنفسهم كذلك.

وقررت الحكومة الانجليزية مناهج للتعليم في مدارسها تنفر المسلمين من ارتيادها إن أرادوا أن يبقوا مستمسكين بعقائدهم ، فأخذوا في التخلف عن الهندوس كثيرا

(٧١) الشيال ص١٥٠ ومابعدها. وانظر أبو الحسن الندوي - المسلمون في الهند ص١٦٨.

وعاشوا في شقاء لم تعرفه الإنسانية في أحلك عصورها.

وضيقوا الخناق على العلماء وحملة الدين.

واتخذوا الهند سوقا احتكارية لبريطانيا ، فشجعوا صناعاتها على حساب الصناعة الهندية المحلية.

وملك الانجليز المزارع الكبيرة ، وانتشرت المجاعات وفقدت الهند وخاصة المناطق الشمالية الإسلامية حوالي ٩٪ من سكانها في خطة للحكومة حتى لاتقوم للمسلمين قائمة(٧٢).

وأكثر الانجليز من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام ، وقد أخذت هذه تقذف الإسلام بسهام الإنتقادات والإعتراضات لتحد من انتشار الإسلام بين الهندوس.

وروج الانجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام ومثله ، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية. ووسعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند ، بتشجيع الأحزاب القومية والعلمانية ، وشجعوا الحركات المناهضة للإسلام وخاصة الحركة **القاديانية** التي تمثلت في شخصية ميرزا غلام أحمد القادياني الذي عمل على محاربة مبدأ ختم النبوة. وحارب الجهاد وألغى وجوبه ، وعمل على الأمر بطاعة الإنجليز والولاء لهم(٧٣).

وعمل الإنجليز جهدهم على تشويه تاريخ المسلمين بالهند ، وقلب صورته للأجيال.

وفي ظل هذه الأوضاع السيئة للمسلمين ظهر **أحمد خان** الذي لعب دورا هاما في سياسة المسلمين في الهند في الفترة (**١٢٧٥-١٣١٦هـ/١٨٥٨-١٨٩٨م**) فقد سعى سعيه لإصلاح ذات البين بين المسلمين والحكومة الإنجليزية ، وأسس عام **١٨٧٥م** جامعة عليكرة بمساعدة الإنجليز وبعض الشخصيات الإسلامية الموالية لهم وعلى رأسهم **أغاخان** ، لتزويد

---

(٧٢) هذه هي السياسة الاستعمارية الغربية ، التي لاتريد إلا مصلحتها ، فتفتعل المجاعات لإحكام سيطرتها على العباد ، بتكوين طبقة تدين بوجودها للمستعمر تنفصل إنفصالا عن أمتها وتشن ضدها الحرب العوان ، فلا يتيسر لها البقاء إلا ببقاء المستعمر وهيبته. قارن ذلك بالحكم الإسلامي للهند الذي استمر ألف سنة ، كانت إذا انتشرت المجاعة فتح الحكام المسلمين المطاعم المجانية في جميع أرجاء الهند للمسلمين والهندوس على السواء فتمر المجاعة بسهولة ، ودون أن تؤثر على كيان المجتمع.

(٧٣) انظر عبد الله سلوم السامرائي في كتابه القيم ـ القاديانية والاستعمار الانجليزي وانظر ـ القاديانية لإحسان إلهي ظهير.

المسلمين بالأسلحة الجديدة من الثقافة والعلوم الغربية واللغات الأجنبية ، وقد لجأ وأعوانه أحيانا إلى تحريف الكتاب الكريم لما يوافق آراءهم ونظرياتهم فشجبوا الجهاد(٧٤). ومن آرائه السياسية التي ركز عليها :

١- أن الهند هي شبه قارة وليست دولة.

٢- أن المسلمين والهندوس يشكلون أمتين لأمة واحدة.

٣- أن الإنفصال بين المسلمين والهندوس أمر حتمي.

ولذلك حارب فكرة **حزب المؤتمر الوطني الهندي** - التي كانت فكرة رجل إنجليزي هو مستر (ألن هيوم) وعرضها سنة **١٣٠٣هـ/١٨٨٥م** على اللورد (دفرن) فاهتم بها ، واعتقد أنه خلال احتضان هذا التنظيم تستطيع الحكومة أن تقف على وجهة نظر الرأي العام الهندي ، وتجعل منه صمام أمن ، فناقش خطته مع القيادات الهندية ، واجتمع المؤتمر الهندي لأول مرة تحت رئاسة (بترجيا) المحامي البنغالي. وقد أخذ حزب المؤتمر هذا يميل إلى العصبية الهندوكية ، وإحياء القومية الوثنية القديمة ، ويصبغ أعماله بصبغة الديانة البرهمية ، وبعث اللغة السنسكريتية. ويعلن الولاء التام للحكومة البريطانية أولا ويكيل لها ولأعمالها في الهند المديح والثناء(٧٥).

واشتدت مطالبة الهنود بالقومية الهندية وبلغت أوجها بين عامي (**١٣٢٣-١٣٢٧هـ/١٩٠٥-١٩٠٩م**). وبعد عام **١٣٢٩هـ/١٩١١م** انضوى فيها القادة المعتدلون مع الغلاة. ومن الغلاة الهندوس المتعصب (**تيلاك**) الذي تعتبره

---

(٧٤) أخذ سير أحمد خان (وأتباعه) يبدي في الدين بآراء حديثة له تتفق وعقليته واتجاهه وزاد فأقدم على تفسير القرآن متخذا من عقله هو أساسا لهذا التفسير غير ملتزم للألفاظ ودلالتها ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مر الزمن فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء ويستهزيء بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية. (عبد المنعم النمر ص٤٥) كما يقول المؤرخ الهندي العليكري السيد طفيل أحمد في كتابه (هندستان كاروشن) أي المستقبل المضيء ص١٧٣ برغم تعصبه لجامعته ومؤسسها. وقد امتدحه المستشرق برنارد لويس (بالطبع) (الغرب والشرق ص١٥٦).

كما قرر في تفسيره : أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده. (عبد المنعم النمر ص٤٥). ورغم ماكان من سيد أحمد إلا أنه تخرج من كلية عليكرة عدد من خيرة الشباب وقادة الفكر والزعماء السياسيين ، وأدباء كبار ، وشخصيات قوية ، قادت حركة الخلافة ، وحركة تحرير الهند ، وساهمت في قيام دولة باكستان (انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي ص٧٩).

(٧٥) عبد المنعم النمر ص٥٣.

الهند الحاضرة أحد الرواد في بناء الهند الحديثة(٧٦).

فبدأت فكرة الانفصال بين المسلمين والهنادكة وغذاها المفكرون الإنجليز منذ البداية لتخدم أغراضهم ، (فويلفريد سكاوبن بلنت) الكاتب الشهير والذي جال الهند أيام (لورد ربن) اقترح في كلكوتا **١٣٠١هـ/١٨٨٣م** أن توضع جميع الأقاليم الكائنة في شمال الهند تحت حكومة إسلامية ، وتوضع أقاليم الجنوب تحت حكومة هندوسية ، وتظل بريطانيا تمارس سلطاتها في الإدارة والحكم مستمدة التأييد اللازم لهامن القوات البريطانية المتمركزة في كل إقليم.

وبدأت هذه الأفكار تتسرب إلى المفكرين المسلمين في الهند فعبد الحليم شرار (**١٢٧٧-١٣٤٣هـ/١٨٦٠-١٩٢٤م**) الروائي والصحفي البارز بدأ يحس منذ عام **١٣٠٨هـ/١٨٩٠م** بأن تقسيم الهند هو الحل الوحيد لمشكلة المسلمين والهندوس.

وأما الطاف حسين - حالي - الذي كتب قصيدة مسدس عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م تحت عنوان المد الإسلامي وجزره من **٢٨٠٠** بيت وركز على نهضة المسلمين في شبه القارة فقد حذر المسلمين من الديمقراطية الغربية ، وبين لهم أنها ستنتهي بهم إلى أن يصبحوا غرباء في أرضهم ، وقال في شعره :

وداعا لك ياجنة الهند الدائمة الخضرة فنحن الأجانب

قد مكثنا طويلا في هذه البلاد ضيوفا عليك

وتم في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م تأسيس **ندوة العلماء** ، وفتحت أبوابها لكل من يريد المشاركة فيها من المؤمنين بالله ورسوله. وأسس هؤلاء العلماء دار العلوم التابعة للندوة **١٣١٦هـ** ، والغاية منها ألا تتسع شقة الخلاف بين المتجددين والجامدين ، وتعهدها **شبلي النعماني** الذي كان قد ساعد أحمد خان في إنشاء عليكرة ، وكان أشد حرصا منه في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي ، وأشد إيمانا بأهمية هذا التراث ، وعمل على بعث تاريخ الإسلام ، وكشف أخطاء جرجي زيدان في كتابه التمدن الإسلامي ، ودعا إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمي الهند ، وحاول تنفيذه في دار العلوم ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية للقرآن الكريم.

---

(٧٦) عبد المنعم النمر ص٥٧.

واجه المسلمون الاحتلال البريطاني بإرادة صلبة ، ورفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية ، وأنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة وأنشأوا الكليات ، ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال ، فكانت **جمعية علماء الهند** في إمبالا والبنجاب ، ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي :

١- مكافحة حركة (اريا سماج) التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الآري ، وهي حركة تدعو إلى الوثنية القديمة شبيهة بالدعوات التي أثاروها - في مصر بالفرعونية وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية -.

٢- إرسال دعاة يعلمون المسلمين المتأخرين.

وبرزت **جمعية حماية الإسلام** في كل مدينة تعني بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) تعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بأيتام المسلمين.

كما برزت عشرات من الجامعات والمدارس والمعاهد ، (مثل ديوبند ، والجامعة الملية ، ودار العلماء ، والجامعة العثمانية...).

ولما كانت بريطانيا حريصة بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الإسلام الجوهرية ، وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع - لذا عمدت إلى أن تحول بين ، العلماء والقادة الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا ، دون قيادة المسيرة ، ونجحت في إقصائهم وحجبهم ، عن مكان الصدارة والقيادة ، فالذي حمل لواء الرابطة الإسلامية كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ، و لم يكن لهم سابق علم ولامعرفة بالإسلام ومبادئه ونظمه الخالدة. شأن السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب الأولى للقيادة في أندونيسيا وفارس وتركيا وأفغانستان والعالم العربي فبرزت بذلك **فكرة الإسلام القومي** كرد فعل على التعصب الهندوكي.

ومن المفكرين الذين أسهموا في إيقاظ المسلمين ، **محمد إقبال** الذي بلغ غاية القوة والعمق في الدعوة إلى إيقاظ المسلم ، وشجب نزعة الجبرية والتصوف ، فقد درس في كلية من الكليات العصرية ، ثم سافر إلى أوربا ودرس في كمبردج وبرلين ، ونال الدكتوراه في الفلسفة ، وتعاطى المحاماة بعد رجوعه مدة من الزمن ، ثم تركها ، اشتهر بقرض الشعر ، ونشر دواوين عديدة باللغتين الفارسية والأردية ، ضمنها آراءه في السياسة والحضارة الغربية ودسائس الأوربيين ومكايدهم. وحث المسلمين على الإستمساك بعروة الدين ، وعدم الإنخداع بأباطيل الغرب المموهة

، وأظهر رأيه في مؤتمر الرابطة الإسلامية **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** بتأسيس دولة مسلمة في الناحية الشمالية الغربية من الهند ، ووقف موقفا صلبا إزاء القاديانية ومؤسسها غلام أحمد الذي ادعى النبوة.

بدأت **فكرة تحرير الهند** واستقلالها عند المسلمين ، فألفت الجمعية الإسلامية العامة الرابطة الإسلامية لعموم الهند(٧٧) ، في لكنو(بومباي) عام **١٩٠٦م** ، بزعامة محمود الحسيني ، واستمرت تعمل سرا عشر سنين إلى أن اكتشفها الإنجليز ، فأمروا محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبضوا على أعوانه : أبو الكلام أزاد ، وحسرت مهاني ، وظفر الله خان ، ومحمد علي ، وشوكت علي.

وتأسست **جمعية الخلافة** لإنقاذ الخلافة من الأعداء الطامعين عام **١٣٣٩هـ/١٩٢٠م** ، برئاسة غلام محمد فتو ، وميان محمد حاجي خان ، وتسلل لها **غاندي** ، وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة ، فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعي إلى ذلك. ثم نصحهم بالإنضمام إلى الكونجرس (حزب المؤتمر) ، فانضمت إليه جمعية الخلافة ، وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة اعتمادا على الثقة بغاندي. وعقد المؤتمر سنة **١٣٣٩هـ/١٩٢٠م** حيث عرض الأعضاء المسلمون فكرة استقلال الهند بدل : إصلاح حالة الهند التي كان يتبناها المؤتمر. ودعوا إلى الإضراب عن التعاون في الإدارات الحكومية في جميع مجالات الحياة ومقاطعة البضائع الانجليزية ، والاقتصار على المنتجات الوطنية ـ فأشعل الناس النار في ملابسهم الغربية(٧٨).

ولما أظهر المؤتمر نياته وتعاونه مع الإنجليز إنفصلت جماعة عظيمة من المسلمين وكبار زعمائهم عنه عام **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** ، ولم يبق فيه إلا أبو الكلام آزاد ، وشرذمة من أتباعه ، وأعضاء جميعة العلماء الشهيرة. فبدأت الحملات بين الفريقين وهذا أضعف مواقف المسلمين ودفعهم إلى الحلم بدولة إسلامية في الهند تضم المسلمين ، وقفز إلى الزعامة القوميةالمسلمة عام **١٣٥٥هـ/١٩٣٦م محمد علي جناح** ، الذي نشأ نشأة إفرنجية خالصة بين طائفة من الإسماعيلية ، والذين أجابوه لدعوته كانوا من الذين غذوا بلبان الثقافة الغربية ، وتخرجوا في الكليات العصرية ، وكل ماقاموا به من الحفلات والمؤتمرات جاءت على غرار الجمعيات السياسية العصرية ، لاتجد عليها مسحة من الخلق الإسلامي الذي يميزها عن غيرها

---

(٧٧) انظر بير زاده ص١٠٧ ، حاضر العالم الإسلامي ج٤ص١٨٧.

(٧٨) انظر : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في البلاد الإسلامية لأبي الحسن الندوي ص٩٣.

من خصال غير المسلمين(٧٩).

وأصبحت الرابطة المسلمة تضم أعوان الاستعمار والشيوعية وأنصار الكماليين ودعاة القومية المتطرفة والوطنية الجغرافية والإسلام الجغرافي ممن اتسم بسمة المسلمين وتسمى بأسمائهم - فنزعت نزعة التفرنج والإلحاد والزندقة ، واتحدت كلمة الصحف المنتسبة إليهم على الطعن في العلماء والزراية على حملة الدين والسخرية من شعائر الإسلام وعدم الإكتراث لأوامر الشرع ونواهيه(٨٠).

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ، إنتقل جزء من الحكم في المقاطعات الهندية إلى الأهالي وتبوأ الوطنيون مناصب الوزارة والإمرة في سبع مقاطعات من الهند ، فكان ذلك بمثابة انفجار البركان ، لأنه كشف به عن عورات الهنادك ، وظهرت نياتهم تجاه المسلمين ، فنبه **أبو الأعلى المودودي** لذلك واجتمع **٧٥** رجلا في أول شعبان ١٣٦٠هـ/١٩٤١م بمدينة لاهور ، وأسسوا **الجماعة الإسلامية** ، وانتخب أبو الأعلى المودودي أميرا لهذه الجماعة للسير على المناهج الإسلامية.

ولما أصبح جناح زعيما للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام **١٣٥٧هـ/١٩٣٨م** ، طالب بتقسيم الهند. وشهد عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** عددا كبيرا من المشروعات والمقدمات التي تدعو إلى إقامة دولة أو دول إسلامية.

واجتمعت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** وقررت معارضة مشروع الإتحاد الفيدرالي الذي تضمنه قرار حكومة الهند عام **١٣٥٤هـ/١٩٣٥م** ودعت إلى تقسيم البلاد إلى هند إسلامية وهند هندوسية.

وفي **٢١** مارس آذار عام **١٣٥٩هـ/١٩٤٠م** ، تم صياغة قرار لاهور بإنشاء الدولة الإسلامية - باكستان - في الهند. ثم جعل هذا القرار مبدأ وعقيدة للرابطة الإسلامية. وتتابعت الأحداث ، حتى تم التقسيم ، عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** بموجب قرار استقلال الهند ، الذي نص على أن الدولة التي تضم الأراضي الإسلامية ستعرف باسم (باكستان) ، والهندوسية باسم (الهند).

ولما أدرك الهنادكة أن لامفر من التقسيم ، بدأوا يعتدون على المسلمين في كل مكان ، يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ، ويهتكون الأعراض ، ويهدمون المنازل

---

(٧٩) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٥١.

(٨٠) نفسه ص٢٥٥.

ويحرقونها ، وعندما اختار نائب الملك - نهرو - ليكون نائب رئيس الوزراء عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، وأهمل الرابطة وزعيمها جناح ، حمل جناح على هذا التصرف حملة شعواء ودعا المسلمين للإحتجاج عليه برفع أعلام سوداء على بيوتهم ومتاجرهم ، كاحتجاج صامت على تولي الهندوس السلطة ، فارتفعت ملايين الأعلام السوداء في كل مكان ، فكان هذا كافيا لتجدد الإضطرابات ، فكثرت المذابح الطائفية ، التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين ، وانتابت الفريقين نوبة هستيرية ، فأخذوا في التذبيح والتقتيل من غير عاطفة إنسانية ، في كلكتا وبهار والأقاليم المتحدة ، ومثل بجثث القتلى وارتكبت الفظائع.

وانتصرت فكرة التقسيم وخرج المسلمون بقسمة ضيزى وتكونت باكستان(٨١) من قسمين شرقي وهو البنغال ، وعدد سكانه ٤٢ مليونا آنذاك ومساحته ١٤٢٧٧٦كم٢ ، وغربي وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبنجاب الغربية وعدد سكانه آنذاك نحو ٣٣ مليونا ، ومساحته ٨٠٣٠٠٠كم٢ . يفصل بينهما حوالي ٢٠٠٠كم من أراضي هندستان ، ولم يكن سبيل للاتصال بينهما إلا طريق البحر ، وتبلغ مسافته نحو ٤٨٠٠كم. وبقي في هندستان أقلية إسلامية كبيرة العدد - حوالي ٥٠مليونا - آنذاك.

واستمرت المذابح التي حمل لواءها السيخ وعلى رأسهم (تاراسنغ) وعصابته مهاسبها (أي الجمعية الوطنية العظمى) الهندوكية المتعصبة. ففي الوقت الذي كان فيه زعماء المسلمين ، أعضاء الرابطة المسلمة ، يقيمون الإحتفالات والمهراجانات في وسط العاصمة - كراتشي - فرحا بالاستقلال ، وسرورا بتسلم مقاليد الحكم - كانت الحرمات تنتهك في مدن البنجاب الشرقية وقراها ، وتهدم المساجد ،

---

(٨١) أن المعنى الحرفي لكلمة باكستان هو أرض الأطهار ، وهي مؤلفة من كلمتين باك وستان (نشأة باكستان - بير زاده ص٤١).

وقد اشتقت من الحروف الأولى لكل من البنجاب ، واقليم الحدود الشمالي (الذي يسمى اقليم الأفغان) وكشمير ، وسند ، ونهاية بالوشيستان ، ويزعم البعض أن مقطع ستان مأخوذ من بالوشيستان وبانغيستان وهو اسم شعبي شائع لبنغال إلا أنه ليس ثمة دليل يؤكد ذلك. وهي أسماء أجزاء من الهند يستوطنها أغلبية ساحقة من المسلمين. (بير زاده ص٤٣).

وأول من وضع هذا الاسم هو تشودري رحمة علي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م نشأة باكستان - (بير زاده ص٤٥).

واقترنت بقرار لاهور عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م الذي أقرته الرابطة الإسلامية. (بير زاده ص٥١).

وتحرق المصاحف ،وتداس بالأقدام ، وكان شعار السيخ في هتافهم : (الموت لباكستان). ولما كان المسلمون قلة في البنجاب الشرقي فقد افترسهم السيخ إلا القليل ممن فر إلى الباكستان. ويؤخذ مما نشرته الصحف غير الإسلامية أن مذابح المسلمين في باتيالا عاصمة ولاية السيخ بلغت مالا يقل عن ١١٤ ألف إنسان.

وعملت جمعية مهاسبها الهندوكية على إثارة الشعور ، وإلهاب حماس الجماهير ، بنشر ألفاظ نارية سرعان ماتسري كالنار بين جموع الغوغاء ـ فقد عزم المسلمون على تكريم شهدائهم في ٣٠ أغسطس ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م فأذاعت الجمعية منشورا جاء فيه :

« تذكروا يوم ٣٠ أغسطس فهو يوم الشهداء ... إنه يوم يجب عليكم أن تقتلوا فيه كافة المسلمين وكذلك أطفالهم ونساءهم ، كما يجب عليكم أن تضعوا نصب أعينكم الإستيلاء على دورهم عنوة ، وأشعلوا النيران في كل مكان واجعلوها مستعرة حتى تبيد محلات المسلمين ، ولكن حذار فقد تتسرب إلى أماكن الهندوس والسيخ »(٨٢).

وكان المسلمون منتشرين في كل مكان بالهند ، فكانوا في أي مكان بين فكي الأسد ، وصيدا سهلا للعابثين. وتحمل المسلمون في دهلي النصيب الأوفى من هذه المأساة ، إذا استثنينا ماحدث بالبنجاب ، فقد كانت دهلي عاصمة الدولة الإسلامية في الهند ، وفيها مسلمون كثيرون لهم متاجرهم ودورهم ومصالحهم ومساجدهم ، وأحياؤهم التي ينفردون بها ، أو يكثرون فيها ، وتضم كثيرا من الآثار الإسلامية الرائعة ، وكان من نتيجة التقسيم أن خلا جهاز الشرطة الهندي من الرجال المسلمين ، ضباطا وجنودا ، وكذلك الجيش ، فقد جردوا من عملهم ، فاختل الميزان ، وقاد السردار (باتيل) من زعماء حزب المؤتمر ، ونائب رئيس الوزراء حملة الحقد على المسلمين ، وكان وزيرا للداخلية وفي يده صمام الأمن ، ووصف الجماعة الأرهابية (راشتريا سويك سنغ) الهندوكية المتعصبة بأنهم ليسوا مجرمين ، وإنما هم وطنيون متعصبون لوطنهم. فاقترفوا الإفساد والتقتيل وقاموا بأعمال السلب والنهب ، في حين كان رجال البوليس يراقبون الجرائم ، فلا يتدخلون لقمع العدوان ، بل كانوا يسهمون فيه أحيانا. واعترف غاندي في إحدى خطبه أن ١٣٧ مسجدا في دهلي القديمة والجديدة دنسها السيخ والهندوس ، ووضعوا في بعضها الأصنام والتماثيل.

(٨٢) من مأساة دهلي ص١٢، ١٣. عبد المنعم النمر ص٢٥٩.

وقد وقع في دهلي وحدها مايقرب من ثلاثين ألفا من المسلمين ، غير المصابين بإصابات مختلفة ، وغير مئات الآلاف الذين وقعوا ضحايا في القطارات الذاهبة إلى باكستان.

وفي **٣٠** يناير عام **١٩٤٨م** أغتيل غاندي في نيودلهي ، فقد اعتبره الإرهابيون حجر عثرة في طريق تنفيذ مخططاتهم.

كان إلى جانب المستعمرة التي قسمت ، والتي كان يحكمها الإنجليز حكما مباشرا ، (**٥٦٥**) إمارة هندية ، يطلق عليها الهنود اسم (رياست) ، وإذا كان الأمير مسلما سمي (نواب) ، وإذا كان هندوكيا سمي (راجا أو مهراجا). وكانت هذه الإمارات تسيطر على **٤٥,٣**٪ من مساحة شبه القارة الهندية(٨٣). وأعطيت هذه الإمارات (وبخبث من المخططين الإنجليز) الحق في الإنضمام إلى إحدى الدولتين ، وقد تم ذلك فعلا فطويت صفحات هذه الإمارات بصورة آلية ، إلا أربعا منها كان لها وضع خاص ، وهي كبورتهله ، وجوناكده ، وحيدر آباد - الدكن ، وكشمير.

فإمارة **كبورتهله** كانت إمارة صغيرة ، أميرها هندوكي و**٦٥**٪ من سكانها مسلمون ، فخشي هذا الأمير أن يطالب المسلمون بالإنضمام إلى باكستان فأعمل فيهم السيف ، فقضى على من قضى وشرد من شرد بمساعدة الحكومة الهندوسية ، وضم الإمارة إلى هندستان.

وأما إمارة **جوناكده** : فهي الأخرى كانت صغيرة ، وأميرها مسلم وأكثرية أهلها هنادكة ، فاختار أميرها الانضمام إلى باكستان ، فاحتجت الهند وأرسلت الجند فاقتحموها ، واستولت عليها الهند ، وفر أميرها ملتجئا إلى باكستان.

وأما إمارة **حيدر آباد - دكن** - فقد كانت دولة كبيرة مساحتها **٢٢٠** الف كم٢ ، وكان عدد سكانها يزيد على **٢٠** مليون نسمة ، وعلى الرغم أن أكثرية الناس كانوا هنادكة ، فأميرها مسلم ، وكان محبوبا عند الجميع ، وكان قد أسس هذه الإمارة السلطان المسلم علي قطب شاه ، ولقب سلطانها باسم (نظام). وكانت شبه مستقلة تصدر عملة خاصة وطوابع خاصة(٨٤).

واستعملت الهند كل أنواع الضغط لإجبارها على التنازل عن استقلالها فحاصرتها اقتصاديا وأرسلت إليها عصابات مسلحة تتحرش بها ، وعملت على

---

(٨٣) مجلة الأمة - العدد ٣٢ السنة ٣، شعبان ١٤٠٣هـ أيار (مايو) سنة ١٩٨٢م.

(٨٤) مجلة الأمة العدد ٣٢ السنة ٣ ص٣٧.

إثارة الهنادكة من الداخل ، حتى إنه لم يسع (تشرشل) المعروف بعدائه للمسلمين إلا أن يصرح في مجلس العموم بقوله :

« إن الحصار الذي تفرضه هندستان على إمارة حيدر آباد حصار شرس ، ويشبه من وجوه كثيرة الحصار الذي فرضه الإتحاد السوفييتي على مدينة برلين ، فقد قطعت هندستان عن حيدر آباد حتى العقاقير الطبية والأجهزة الصحية ، ومعدات المستشفيات »(٨٥).

وطالبت حيدر آباد باستفتاء حر ، تحت إشراف الكومنولث البريطاني ، ومحكمة العدل الدولية ، أو لجنة مؤلفة من دولة محايدة ، ولكن نهرو رفض قائلا :

« إن الهند لن تغامر بقبول الإستفتاء ، أما إذا كانت حكومة حيدر آباد ترغب في الاستفتاء ، فعليها أن تنضم إلى هندستان أولا ، ثم يستفتى الشعب بالإنضمام أو عدمه ».

وأخيرا قامت الهند بغزو الإمارة عام **١٣٨٦هـ/١٩٤٨م** أثناء اجتماع مجلس الأمن لمناقشة قضية حيدر آباد ، مدعية أنها تقوم بعملية بوليسية لتأديب العصاة(٨٦). فطويت صفحة الإمارة ، وطوي معها تاريخ إسلامي حافل بالمآثر والفداء والتضحية.

وأما إمارة كشمير فسنتناول مشكلتها بشيء من التفصيل.

قضية كشمير

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان ، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي ، وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي ، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها. فهي متاخمة لخمس دول وهي : باكستان ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفييتي ، والصين ، والهند.

مساحتها **٢١٧٩٣٥** كم٢ ، وعدد سكانها حاليا حوالي تسعة ملايين نسمة ، تبلغ نسبة المسلمين أكثر من **٩٠**٪ ، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين(٨٧). وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي : جمو وكشمير ومناطق الحدود.

---

(٨٥) نفسه ص٣٧.

(٨٦) نفسه ص٣٨.

(٨٧) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٦٠٦ـ.

وهي بلاد جبلية فيها سهلان ، أو واديان ، هما وادي جمو ووادي كشمير ، طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب ، وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها ، وهي أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ، ومناخها البارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهورا طويلة من السنة ، وفواكهها وخضارها كثيرة. وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة ، وترعى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين.

وتم اكتشاف الياقوت فيها عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. عدا معادنها الثمينة الأخرى(٨٨).

فهي في موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الإستراتيجية ، ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات في المرتفعات الشاهقة الوعرة ، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا ، وكأنها بذلك أحد الأبواب التي تقيم الصلة بين الهند وآسيا.

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الإسلام مبكرا في أواخر القرن الأول الهجري. وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)(٨٩). وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ. وتمكن فيها في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما وصلها داعية اسمه بلبل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه شمس الدين ، فكان أول حاكم مسلم لكشمير. وبدأ به حكم أسرة شاه مرزا التي حكمت كشمير بالعدل إلى أن ضمها جلال الدين أكبر شاه عام **٩٩٥هـ** إلى دولة المغول الإسلامية بالهند.

واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذي وصلها حوالي عام ٧٢٩هـ/١٣٨٨م من فارس. وصحبه في هجرته تلك أكثر من **٧٠٠** داعية مسلم. وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (٧٤٠هـ/١٣٩٩م)(٩٠). وقامت بدورها في نشر الإسلام ، وحمله إلى التبت على يد تجارها ، وقد وصل الإسلام التبت أيضا عن طريق يونان.

---

(٨٨) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ٦٠٦ ص٣٢.

(٨٩) حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام ج٢ص٢٥١.

(٩٠) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية ص٣٢٩.

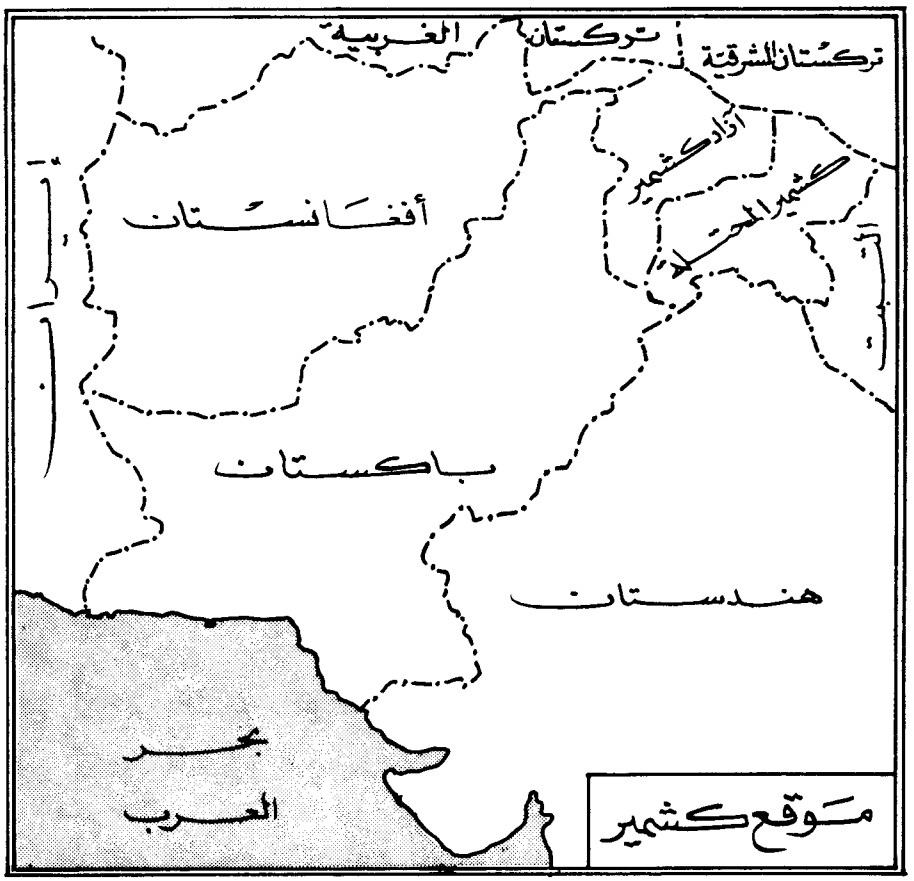

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية إستطاع أن يسيطر **السيخ** على كشمير بزعامة المهراجا (رانجيت سنك) عام **١٢٢٤هـ/١٨٠٩م**.

وهزم الانجليز السيخ عام **١٢٥٥هـ/١٨٣٩م** وأبقوا عميلهم (كولاب سنغ الهندوكي) من أسرة (دوجرا) أميرا على كشمير المسلمة مقابل **٧٥** مليون روبية ثمنا لولايته ، دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام. كما تقرر في معاهدة أمريستار عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م ، على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث

في سائر الإمارات(٩١). فبدأت مأساة كشمير ، وبدأ الظلم يعم أهلها ، فعلى الرغم من خيراتها الكثيرة وإمكاناتها الواسعة أصبحت في أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه من أسرة دوجرا.

حال المسلمين في ظل حكم أسرة (دوجرا) الهندوكية :

كان حكم كلاب سنغ مضرب المثل في الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية.

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين ، بصفتهم أغلبية السكان ، بل كان الحاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة ، كالضرائب التي فرضها على الأضحية التي يضحي بها المسلمون في عيد الأضحى.

وكان يسمح لغير المسلمين بحمل الأسلحة بغير ترخيص ، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس. وكان ذبح البقر ممنوعا في الإمارة.

وإذا اعتنق الهندوسي الإسلام يفقد كل حقوقه في الميراث ، بينما إذا ارتد المسلم عن دينه تترك له كل أملاكه ، وكانت نسبة غير المسلمين في الوظائف تصل إلى ٨٠٪ ، وأما الجيش فكان ٨٥٪ من غير المسلمين. وكانوا يستوردون الجنود من خارج الولاية ، لأن غير المسلمين في الولاية لايسدون العدد الكافي. في حين كان يضطر المسلمون إلى الإنضمام للجيش الهندي البريطاني.

وكان اسم المسلم مرادفا لإسمي الحطاب أو السقاء ، ويعهد إليه بكل نوع من الأعمال الحقيرة القذرة ، في حين كان الهندوكي محترما في أنظار المجتمع ، ومنعت صلات المسلمين بالخارج. وفتحت لهم السجون(٩٢).

المقاومة الإسلامية لسياسة السيخ والهنادكة : يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحد أبناء كشمير ، وكان لفلسفته دور كبير في بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمين في كشمير ، فدارت أول معركة بين المسلمين والهندوس في **١٩٣١/٧/١٣م** في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح(٩٣). بمساعدة المستعمر الإنجليزي الذي بقي يؤازر هذه الأسرة(٩٤).

---

(٩١) البلدان الإسلامية ص٢٦١. انظر : أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٥ / وذكر أن المبلغ ٧,٥ مليون (فانك شاهي) وهي العملة الرائجة حينذاك ، وتساوي مليون دولار.

(٩٢) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٧.

(٩٣) انظر مأساة كشمير لإحسان حقي. (٩٤) المودودي ـ قضية كشمير ص٨.

ونظرا لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على ايجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : **المؤتمر الإسلامي** لعموم جمو وكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله ـ الملقب بأسد كشمير ـ وتشودري غلام عباس. وعقد دورته الأولى عام **١٩٣٢م** برئاسة الشيخ محمد عبد الله ، وبرزت مطالب المسلمين في إيجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر في مصالح الناس ... فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية ، على أن تكون مجرد هيئة استشارية ، وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودري غلام عباس رئيس المؤتمر منذ **١٩٣٤م**. واستمر نفوذ المؤتمر في ازدياد حتى أحرز عام **١٩٣٨م ٢٠** مقعدا من **٢١** واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية.

وفي عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** تألفت هيئة جديدة سميت : **حزب المؤتمر الوطني** ، وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ، ومنهم الشيخ محمد عبد الله، الذي كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الإسلامي ، واتخذ هذا الحزب شعارا : خدمة مصالح الشعب ، وبالتالي خدمة المسلمين.

ووجدت الرابطة الإسلامية لعموم الهند صدى لها في كشمير ، واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بإنشاء دولة باكستان بحماس وترحيب.

وفي عام **١٣٦٤هـ/١٩٤٤م** وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي ، دعوة للسيد محمد علي جنه ، رئيس الرابطة الإسلامية ، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي. فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا. وأضعف مركزالشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة. فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه مابقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا مادفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام **١٣٦٦هـ/١٩٤٦م** ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها. وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) ، فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين. وحاول نهرو التدخل فمنعه المهراجا هري سنغ من دخول سرينكر فاضطر للرجوع.

ولكن بعد أن أعلن تقسيم الهند عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** أخرجه من السجن بناء على طلب نهرو ، وعينه رئيسا للجنة الطواريء في الولاية. وأعلن رفضه الإستقلال على أساس إسلامي ، وأنه يفضل الشكل الوطني القومي ، فحملت

جماعته اسم (المؤتمر القومي لجامو وكشمير). بينما ظل زعماء حزب المؤتمر الإسلامي وعلى رأسهم تشودري غلام عباس في السجن. وأعلنوا تمسكهم بمباديء الإسلام ، وأن الجهاد الإسلامي هو الطريق للاستقلال بلا مهادنة ولا مساومة. فاتفق الشيخ والمهراجا ونهرو على مناهضة فكرة ضم كشمير لباكستان. وزار المهاتما غاندي كشمير **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** لعقد الصفقة مع المهراجا.

أما المؤتمر الإسلامي فقد عقد مؤتمرا عام **١٣٦٧هـ** في سرينكر ، عاصمة كشمير ، واتخذ قرارا أعرب فيه عن ارتياحه وسروره لقيام دولة باكستان ،ـ وأعلن أنه من المحتم وجوب انضمام الولاية (جمو وكشمير) إلى باكستان. كما احتفل المسلمون بيوم باكستان **١٤** أغسطس ، ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم في الإنضمام لها.

ولجأ الأمير هري سنغ الذي تواطأ مع الهند ، حقدا على المسلمين وخوفا منهم ، إلى الحيلة فأخذ يؤجل قراره الحاسم من يوم إلى آخر فحل يوم **١٥** أغسطس **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** وهو آخر يوم محدد لتقرير المصير ، دون أن يحدد موقفه ، ولما أراد المسلمون الإحتفال بيوم باكستان أمر بتمزيق الأعلام التي رفعوها ، وأغلق جميع الصحف الموالية لباكستان. وتابع سياسة العسف والشدة ، وإن ارتبط مع الباكستان في اليوم نفسه بميثاق ، انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الواجبات والمسؤوليات التي كانت تضطلع بها حكومة الهند البريطانية(٩٥) ، قبل التقسيم في الولاية ، فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق. كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحايد بين الهند وباكستان ، ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب إطلاقا في أن يعلن إنضمام الولاية لباكستان ، وأخذ في تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس في المناطق الإسلامية، وأصدر أمرا في أواخر شهر يوليو **١٩٤٧م** يقضي بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس. فانفجر المسلمون بثورة في منطقة بونج بقيادة السردار محمد إبراهيم خان ، فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليه ، فتمكن من الهرب إلى باكستان ، وفي مدينة موري وضع أساس حركة تحرير البلاد ، وهي الحركة التي تمخضت بعد ذلك عن مولد (آزاد كشمير) أو كشمير الحرة.

واستمر المهراجا في سياسة القمع والشدة ضد المسلمين ، حتى أنه بدأ القضاء عليهم بالجملة ، فاحتجت باكستان ، وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة ،

(٩٥) المودودي ـ قضية كشمير ص١٦.

وفي الوقت نفسه إستمرت الإبادة الجماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ ، فأبيد ٢٣٧٠٠٠ مسلم على بكرة أبيهم ، وفر أكثر من مليون إلى باكستان(٩٦). فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم ، واستطاعوا هزيمة الأمير وقواته ، حيث كونوا حكومة آزاد كشمير عام ١٩٤٨م ، وفر الأمير من العاصمة سيرينكر إلى مقاطعة جمو، ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة ، وإرسال جيش لصد الزاحفين ، وإخماد ثورة الشعب ، وأعلن في هذا الكتاب انضمامه للهند. فقبلت الهند بالطبع إنضمامه ، وأرسلت القوات الهندية بالطائرات في اليوم نفسه ، وتوالت الإمدادات ، ونجحت القوات في إسكات الشعب ، وصد الزاحفين وتثبيت حكم المهراجا ، وماكادت تنقضي بضعة شهور على هذه الغارة الوحشية ، حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان ، التي أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير ، وهكذا ظهرت مشكلة كشمير(٩٧).

وأمام الحاح الرأي العام الباكستاني ، في دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمير ، لم يسع جناح ولياقت علي خان إلا الاقتراح على الهند إيقاف القتال ، بضغط من (الفيلد مارشال كلود أو كنلك) وإصدار بلاغ مشترك من الحاكمين العامين للحكومتين ، بإجراء إستفتاء تحت تصرف الحكومتين. ولكن حكومة الهند رأت أن كشمير أصبحت جزءا لا يتجزأ من بلادها ، فإذا أجري استفتاء فالهند هي التي تقوم به ، وتقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن ، تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى في بلادها. وأرسل مجلس الأمن لجنة عرفت باسم لجنة الأمم المتحدة لهندوستان وباكستان ، وأصدرت اللجنة قرارين عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م و١٣٦٩هـ/١٩٤٩م ينصان على ثلاث مواد(٩٨) :

١- وقف القتال وتعيين خط له.

٢- تجريد الإمارة من السلاح.

٣- إجراء إستفتاء حر محايد تحت إشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الإمارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان.

وعلى هذا الأساس توقف القتال في ١٩٤٩/١/١م ، وتعين خط وقف إطلاق

---

(٩٦) انظر أبو الأعلى المودودي - قضية كشمير ص١٨.

(٩٧) نفسه ص٢٠-٢٢.

(٩٨) حقي - مأساة كشمير المسلمة ص١٢٤.

النار في **١٩٤٩/٧/٢٧م**. ولم تحل المشكلة ، لأن الهند لاتريد التخلي عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها. وتوالى المندوبون من قبل مجلس الأمن دونما فائدة. واتخذت الهند من الشيخ محمد عبد الله حجة ، وعينته رئيسا لوزارة كشمير. ولما وافق على الإستفتاء عزلته ووضعته في السجن عام **١٣٧٣هـ/١٩٥٣م** ، وعينت مكانه بخشي غلام محمد ، الذي أخذ يعمل مع دهلي في تقويض استقلال كشمير ، فأعلن نهرو **١٣٧٦هـ/١٩٥٦م** إلغاء اتفاقية الإستفتاء ، وأعلن بالنيابة عن أهالي كشمير انضمام الولاية إلى الهند ، على أساس سياسة الأمر الواقع التي تتغلب على الكلام والنظريات والحقوق. وهي السياسة التي آثرت الهند انتهاجها من أول الأمر تماما كسياسة اليهود في فلسطين.

وبلغ الأمر في مندوب الهند (المستر كريشنا مينون) عام **١٣٧٧هـ/١٩٥٧م** في مجلس الأمن ، وفي خطبته الرسمية في المجلس ، أن أشار إلى مصير المسلمين في الهند ومايمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسي ، لوضمت كشمير لباكستان. وكان هذا الكلام يحمل تهديدا أو تلويحا بالتهديد ـ أمام أكبر هيئة دولية في العالم ـ لمصير المسلمين في الهند وهو أنهم معرضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قرارا بضم كشمير لباكستان.

أخرج الشيخ محمد عبد الله من السجن عام **١٣٧٨هـ/١٩٥٨م** ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالإستفتاء. وخرج معه صحبه عام **١٣٨٤هـ/١٩٦٤م** وذهب في رحلة مع زميله أفضل بيك إلى المغرب عام **١٩٦٥م** ، يشرحان القضية ، فلما عادا قبضت عليهما الحكومة الهندية وأودعتهما السجن ، وأوعزت إلى حكومة كشمير بإلقاء القبض على زعماء جبهة الإستفتاء ، فقبضت على مئات منهم وألقتهم في السجون(٩٩). وقبضت هندوستان على ناصية الحكم في كشمير ، ومدت سلطانها إلى كل ناحية ، فأنزلت العلم الكشميري ، ورفعت مكانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابي في سرينكر ، وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين ، وصرح الوزير الهندي (نانداً) عام **١٣٨٥هـ/١٩٦٥م** :

« لقد ضمت كشمير نهائيا وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءا منها وقال : أنه لم يعد أي معنى لتقرير المصير »(١٠٠) بتأييد من الدول الكبرى ،

(٩٩) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص١٦٩.

(١٠٠) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص١٧٠-١٧١.

بل أن روسيا استعملت حقها في الفيتو ضد قضية كشمير عام **١٩٦٤م**(١٠١).

وعقب على هذا القول كل من شاستري رئيس وزراء هندستان ، وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله ، وهددا كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند.

بعد حملة الإعتقالات(١٠٢) **١٩٦٥م** ، أضربت البلاد احتجاجا على تصرفات الحكومة الهندية ، وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين ، واشتبكت القوات الهندية بالمتظاهرين ، وقتلوا الكثير من الأهالي ، وألقوا جثثهم في نهر جيلم لكي لايعرف عدد القتلى. وفرضت رقابة شديدة على الأنباء. وانقلب العصيان هذا إلى ثورة ، وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية ، وأعلنت بطلان جميع الإتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير العميلة. وأعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير ، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبة للسلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة. فشنت الهند حرب إبادة في كشمير ، وباغتت باكستان بهجوم سريع عام **١٩٦٥م** لتعزل كشمير. فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة ، وطلب من الفريقين الكف عن القتال ، ووعد باتخاذ مايمكن اتخاذه من إجراءات لتسوية المشاكل السياسية التي ينطوي عليها النزاع ، من غير أن يذكر القضية الكشميرية (سبب النزاع) ، وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية(١٠٣). وأعقب ذلك إتفاقية طشقند عام **١٩٦٦م** ، وبقيت كشمير المسلمة تعاني تحت الحكم الهندوسي ، ولكن أصبح لها بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي ، فقامت الحكومة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤامرة لتغيير الحكومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري(١٠٤) الكشميري.

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) ـ فتصل مساحتها إلى ٤٠٪ فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ماعدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات.

---

(١٠١) المودودي ـ قضية كشمير ص٤٠.

(١٠٢) انظر التفاصيل ـ المودودي ـ قضية كشمير ص٥٢ـ٥٥.

(١٠٣) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٦٦.

(١٠٤) المجتمع الكويتية العدد ٦٨٩ ص٣٣.

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام **١٩٦٧م** توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير. حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة **١٩٧٠م** فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة.

وفي عام **١٩٧١م** حكم باكستان ذو الفقار علي بوتو بفكره الإشتراكي ، فلم يواجه السردار عبد القيوم مباشرة ، وعقد مؤتمر إسلامي برئاسة السردار كان من نتائجه :

١ـ إصدار فتوى بتكفير جماعة القاديانيين.

٢ـ تطبيق الحدود في شارب الخمر والزاني والسارق. وكذلك تطبيق قوانين الزكاة.

٣ـ كرم الشيخ عبد القيوم علماء المسلمين في كشمير ، فجعلهم القضاة في المحاكم والمفتين في القضايا الإسلامية ، ومنحهم صلاحيات كبيرة ، وأنشئت المدارس والمعاهد والمكتبات الإسلامية والمساجد وتوفرت الكتب الإسلامية.

٤ـ أصبحت العطلة الأسبوعية الجمعة بعد أن كانت الأحد ، وأصبح يوم الخميس يوما لتدريس القرآن الكريم.

٥ـ أصبحت هناك محطتان للإذاعة تبث البرامج الإسلامية بصورة مركزة.

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو ، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن ، وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله ، فعادت الحركة الإسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير(١٠٥).

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة ، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها ، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية من الإبتدائية إلى الجامعة. وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير.

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان في ظروف صعبة ، يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية في ظرف سريع ، فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم

(١٠٥) المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص٣٣.

، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، و لم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومبي أو كلكتا ـ وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها. وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين ومايحتاجه هذا العدد من توفير الإقامة له وحل مشاكله.

وقد رسمت الحدود دون اعتبارات إقتصادية ، فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل ماكان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ، وهذا من أساليب الإنجليز الذين أهملوا المناطق الإسلامية ، وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية ، وهذا ما لاحظه نهرو ، ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم ، على أمل أن لا تحيا باكستان ، وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ، ولعل هذا ماقصده الإنجليز حين خططوا خطوط الحدود ... فقد قال نهرو :

« وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل مابين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية إسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى (الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية ، وهكذا فإن المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه ».

ومن الناحية الثانية فإن المقاطعات الإسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا في أكثر الأحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية(١٠٦) وعلى ذلك فستضطر أن ترمي بنفسها في أحضان المستعمر.

وفي الوقت نفسه بقيت للهند الرقعة الواسعة ، وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بجميع أسلحته ، وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة. وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة.

والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة في تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، من حيث الحكم والدفاع والإقتصاد والإتصال المباشر بين سكان

(١٠٦) عبد المنعم النمر ص٣٤٠.

الدولة الواحدة.

ويشكل الجزءان في الواقع دولتين منفصلتين عملا وزمنا وفكرا لا يربطهما إلا الإسلام ، وهو أقوى الروابط لقيام الأمة ، وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصبا دينيا آخر ، وفي هذا المجال اعتمدت باكستان الغربية على الروح الإسلامي لتوطيد الصلة بين الشطرين دون أن تلجأ إلى تدعيمها بالدعاية والجهد أو تكافح أعداءها.

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكام الإسلام بحذافيرها ، ولكن الأمور جرت على غير مايحبونه ، إذ بينما كانوا ينتظرون دولة إسلامية تصان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عاليا دون سواه ، وإذ بهم يرون أنفسهم ولم يتغير عليهم شيء ، إلا الأسماء في الوقت الذي أخذت فيه الأيدي الغربية تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك. فالقائمون على الحكم مسلمون أو كانوا مسلمين وماكانوا يعرفون عن الإسلام إلا شيئا يسيرا ، وكانوا سياسيين ومثقفين ثقافة عصرية ، فأقاموا باكستان على أساس القومية الإسلامية(١٠٧) وليس على أساس الحكم الإسلامي.

كان الإستعمار الإنجليزي قد عمل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكون لغات قومية ، كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية للهند ، فأحيا اللغة السنسكريتية والبنغالية إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية.

فكان للبنغال لغة إقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها ، وبالتالي فقد كانت في غنى عن الصحف الأوردية ، وهكذا فإن تبادل المعلومات والآراء بين الشطرين كان وقفا على رجال الحكومة دون الشعب ، إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين.

وعندما قبل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية ، كان ذلك لكي يقيموا دولة إسلامية ، فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصر المميز لها ، وبمعنى آخر فقدت مقوماتها الأصليةالتي قامت على أساسها ، ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها ، فأضاعت رأسمالها ، ولم تحصل على شيء أفضل - ومادامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية

---

(١٠٧) المجتمع الكويتية في حديث مع الشيخ خليل الحامدي أحد قادة الجماعة الإسلامية ورئيس دار العروبة في باكستان - ص٣٩ - العدد ٧٢٠ السنة ١٥ الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/٢٩ يناير ١٩٨٥م.

فليس هناك مايبرر بقاء الجزئين.

أنظر قول محمد علي جناح عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** أمام المجلس التشريعي مخاطبا أبناء قومه : « إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة ، والمسلمين لن يكونوا مسلمين ، ولست أقصد بذلك الناحية الدينية ، لأن العقيدة شيء شخصي ، وإنما أقصد القومية ، وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية ، بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون ، وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون ».

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسلامية في البنغال عن كلمة إسلامية ، وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة(١٠٨).

فانهارت بذلك أحلام المسلمين في الهند بعد أن تحركوا ونزحوا إلى باكستان في تحرك يشدهم بريق الفكرة الإسلامية التي طغت على كل شيء ، ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها خلق وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر ، تضم شمل العالم الإسلامي. وبقيت معاناة المسلمين في الهند ومأساتهم في كشمير. واستمرت الهند تقلق حكومة باكستان تمثلت في حروب شنتها عليها عام **١٩٤٨م** وعام **١٩٦٥م** وأخيرا عام **١٩٧١م**.

وفي الوقت نفسه عمدت الهندوكية إلي أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية.

ولتنفيذه استعان الهنادكة بالحزب الشيوعي ، وبحزب عوامي اليساري ، برئاسة الشيخ مجيب الرحمن. واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الإنفصال المتوتر فقامت بغزو البنغال عام **١٩٧١م** وانتهت الحرب بانفصال بنغلاديش عن باكستان ثم اعلان جمهورية بنغلاديش(١٠٩) التي تعرضت لانقلابات عسكرية متعددة.

---

(١٠٨) د. إحسان حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص٢١٨.

(١٠٩) انظر حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص٢٦١ ومابعد.

وضع المسلمين في الهندستان من عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

إستمرت الأحزاب الهندوكية المتعصبة والمنظمات الإرهابية توالي اعتداءاتها على المسلمين في داخل الهند الذين يزيد عددهم على مائة مليون نسمة(١١٠) ، وقد نظمت هذه الأحزاب والمنظمات نفسها تنظيما عسكريا ، ودربت الهنادكة على استعمال السلاح الناري ، والسلاح الأبيض ، بهدف إبادة المسلمين أوترحيلهم. فأخذت تشن غاراتها على المسلمين مستغلة الأعياد الهندوكية في إثارة الإضطرابات الطائفية(١١١). ومستغلة بعض المسلمين الذين خلعوا الإسلام من رقابهم للسخرية بالمسلمين كمهر النساء وحميد دلوائي(١١٢).

وقد بلغت غارات المنظمات المتطرفة على المسلمين مابين عامي **١٩٤٨و١٩٧٠م** بموجب الإحصاءات الرسمية وكما جاءت في الصحف الهندوكية ذاتها **٥٩٢** غارة(١١٣). كما شهدت مناطق المسلمين حتى سنة **١٩٨٥م ٢٠** ألف حادث دموي منذ الاستقلال حسب الإحصاءات الرسمية ، بينما تشير الإحصاءات غير الرسمية إلى أكثر من ذلك بكثير ، يتعرض فيها المسلمون للقتل والإعتقالات والنهب وهتك الأعراض بصورها البشعة على أيدي رجال الشرطة الحكومية الهندية ، في حين تصورها الصحف بأنها اضطرابات طائفية(١١٤). ومن هذه الإعتداءات مجزرة أحمد آباد التي نظمها حزب جان سنغ عام **١٩٧٠م** ، والتي ذهب ضحيتها **١٥** ألف مسلم ،باعتراف أنديرا غاندي نفسها ، والتي ارتكب فيها الهنادكة أفظع عملية لاإنسانية إذ قبضوا في جملة مافعلوا على **٣٠٠** إمرأة مسلمة وحرقوهن بالنار وهن أحياء(١١٥). ومنها مذبحة آسام الشهيرة وقد بلغ عدد القتلى المسلمين فيها **٥٠** ألف نسمة على أيدي الهنادكة من أعضاء الحكومة المركزية(١١٦). ووقع **٥١٠** حوادث شغب في الفترة

(١١٠) نشرة معهد الأقليات - ربيع الأول ١٤٠٠هـ. ويصل عددهم إلى حوالي ١٥٠ مليون نسمة عام ١٤٠٩هـ.

(١١١) الدعوة العدد ١٧ ، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ ١/١٠/١٩٨٥م- دلهي- الهند.

(١١٢) الدعوة العدد ١٦ ، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٥ سبتمبر ١٩٨٥م - دلهي - الهند.

(١١٣) حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١٩٠.

(١١٤) المجتمع العدد ٦٨٩ ص٣٣.

(١١٥) باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١٩١.

(١١٦) المجتمع العدد ٦٨٩ ص٣٣.

١٣٩٧هـ-١٣٩٨هـ. فقتل فيها العديد من المسلمين(١١٧). وفي عام ١٣٩٩هـ تعرض المسلمون إلى عمليات إبادة وتدمير بشعة وبعلم السلطات الحاكمة في مدينة جمشيد بور في ولاية بيهار(١١٨). وتستمر المذابح التي تقوم بها الشرطة الهندية ، متعاونة مع المتعصبين الهنادكة لاستئصال المسلمين ، كما حدث في مجزرة ميروت وملياتة في ١٤/٤/١٩٨٧م(١١٩) في ولاية اترابراديش واستنكرت رابطة العالم الإسلامي ذلك ببرقية أرسلها الأمين العام إلى رئيس الوزراء راجيف غاندي. وكذلك مذبحة الله آباد.

ودأبت الحكومة على الإستيلاء على المباني والمساجد والأراضي الإسلامية الوقفية ، وتحويلها إلى ملاعب أو طرق أو مرافق حكومية أخرى ، فالحكومة تحظر على المسلمين الصلاة في بعض المساجد القديمة وتمنعهم من ترميمها وتجديدها خلال فترة معينة ، ثم تصدر أوامرها بعد ذلك بسلب تلك المساجد وهدمها وإنشاء مبان حكومية مكانها. وحتى المسجد الجامع في دلهي لم يسلم من ذلك ، فقد استولت هيئة الإسكان الحكومية على قطع أرضية حول الجامع تقدر قيمتها بخمسمائة مليون روبية بدون مقابل. كما هدمت الهيئة جميع المباني والأسواق الوقفية التي كانت تحيط بالجامع كمصدر استثماري ثابت للأنشطة التي يقوم بها الجامع.

وصدر قانون وافق عليه أعضاء البرلمان الهندي سنة ١٩٨٤م يعطي الحكومة حق التصرف في إدارة أوقاف المسلمين. كما يعطي الحق للحكومة في ترشيح المدير العام للأوقاف الإسلامية بالهند ، والذي يعتبر رأيه نهائيا في كل مايتعلق بشئون الأوقاف ، كما رسمت خريطة لمدينة دلهي سوف تتحول بموجبها العديد من المساجد والمقابر والمباني الإسلامية إلى ملاعب وطرقات ومرافق حكومية. وهكذا فالأوقاف الإسلامية في خطر لم تشهد مثله عبر تاريخها المديد(١٢٠).

وتستخدم الحكومة الهندوسية المقررات الدراسية لتشويه مباديء الإسلام فقد ورد في الصفحتين ٢١٧-٢١٨ من الكتاب المقرر في مادة الحضارة تشويه متعمد لصورة الرسول ﷺ ، حيث يصوره هذا الكتاب المقرر في المدارس الحكومية الهنديه بأنه عليه الصلاة والسلام كان قاطع طريق ، وأنه اقتبس مفاهيم الإسلام

---

(١١٧) نشرة معهد الأقليات صفر١٣٩٨هـ.

(١١٨) نشرة معهد الأقليات ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

(١١٩) جريدة الداعي ١٣- ٢٨/١٠/١٤٠٧هـ.

(١٢٠) المجتمع - العدد ٦٨٩ ص٣٣ ، السنة ١٥ الثلاثاء ٦ صفر ١٤٠٥هـ /٣٠أكتوبر ١٩٨٤م.

من اليهودية ، وهذه صورة واحدة فقط من بين مئات الصور البشعة التي تصور بها تعاليم الإسلام في المقررات الهندية الحكومية. وعندما يحتج المسلمون على هذه الإتهامات لمباديء دينهم يكون جزاؤهم الإعتقالات والسجون(١٢١).

كما وأن الحكومة الهندية لاتعين في المناصب الحساسة في الدولة المسلمين بل تلجأ إلى تعيين أو ترشيح بعض المسلمين في مناصب تشريفية عالية لاتأثير لها على السلطة مثل منصب رئيس الجمهورية (الذي شغله ذاكر حسين) ، وإذا تم تعيين مسلم في منصب حساس مثل منصب وزير أو سفير فيتم اختياره من المحسوبين على الإسلام والمسلمين بحكم شهادة الميلاد فحسب ، فهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمين أكثر من غيرهم(١٢٢).

وتعمد حكومة الهند من أجل الحد من زيادة عدد المسلمين في الهند إلى التعقيم الإجباري للرجال. كما تحاول جاهدة تغيير القوانين الإسلامية الشخصية بحجة إدخال التعديلات عليها(١٢٣) وتحاول الفئات المتعصبة إجبار المسلمين على قبول الهندوكية(١٢٤).

أما المسلمون في الهند فقد صبروا وقاوموا ماوسعتهم المقاومة ، ووقفوا يصدون تحديات التمييز العنصري ، وتقاوم الجماعة الإسلامية ومؤسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي ماوسعتها المقاومة ، واستعانت بالرابطة الإسلامية والهيئات والمنظمات الإسلامية التي طالبت حكومة الهند بوقف المذابح التي يتعرض لها المسلمون في الهند(١٢٥). وأنشأ المسلمون العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التي تنتشر في أنحاء البلاد ، وتزاول أنشطة مختلفة لصالح المسلمين مثل إقامة المدارس والجامعات والهيئات الخيرية ، وإصدار الصحف والمجلات ، و**الإهتمام بالتعليم من أبرز الأنشطة بالجمعيات والهيئات الإسلامية بالهند**(١٢٦) :

فتوجد المدارس السلفية في الهند ، وتنتشر في جميع المدن ، ومعظم القرى.

---

(١٢١) نفسه ص٣٣ في لقاء مع الشيخ سيد عبد الله البخاري.

(١٢٢) نفسه ص٣٢.

(١٢٣) الدعوة ـ دهلي ـ الهند العدد١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ والعدد ١٦ ص٨ ، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٥/٩/١٩٨٥م.

(١٢٤) المسلمون في الهند ـ تعريب د.محمد حبيب الله مختار ـ الوقف الصديق ـ كراتشي ـ باكستان.

(١٢٥) مسعود الندوي ـ الدعوة ـ ص ١٣٨-١٤٢

(١٢٦) انظر ـ مجلة الجامعة السلفية في بنارس (الهند) عدد خاص بالموسم الثقافي / المجلد ١٣ العدد الثاني والثالث ١٩٨١م/١٤٠١هـ / وجهوده في خدمة السنة المطهرة.

وهي مدارس في سلسلة تجديد حركة السنة ، التي بدأها الشيخ ابن تيمية ، وابن القيم ، ثم محمد بن عبد الوهاب ، والشوكاني. وتهدف إلى الرجوع إلى طريق السلف الصالح ، بالقضاء على البدع ، وتحرير المسلمين من التقليد الجامد ، ودعوة الناس إلى أصل الكتاب والسنة في الاعتقاد والأعمال ، ومن أول هذه المدارس :

١- المدرسة الرحيمية : التي أسسها الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، في دهلي ، للاهتمام بعلوم الحديث والسنة المطهرة. ومن أشهر رجال هذه المدرسة ابنه الشاه عبد العزيز الدهلوي (**١١٥٩-١٢٣٩هـ**). وقد أصبحت هذه المدرسة أكبر جامعة في الهند.

٢- دار الحديث الرحمانية بدهلي : أنشئت عام **١٣٣٩هـ/١٩٢١م** وهي أكبر مؤسسة تعليمية لجماعة أهل الحديث بالهند. وقد توقفت في خضم الاشتباكات الدموية التي وقعت في دهلي وغيرها إثر استقلال الهند وتقسيمها إلى الهند وباكستان. بعد أن كانت قد خرجت كثيرا من العلماء والدعاة.

٣- الجامعة الأحمدية السلفية : وأنشئت أولا في مدينة (آره) ، على أيدي تلاميذ السيد نذير حسين الدهلوي ، ثم انتقلت إلى مدينة (دربهنكه) ولاتزال هذه المدرسة تمارس نشاطها. وتخرج العديد من العلماء والدعاة الذين يقومون بأعباء الدعوة والتدريس والإفتاء وخاصة في ولايتي بهار وبنكال.

٤- جامعة دار السلام : بعمر آباد (مدراس بجنوب الهند). وأنشئت عام **١٩٢٤م**.

٥- مدارس أهل الحديث : في مدينة (منو) بمديرية (أعظم كره). وهي كثيرة .

٦- الجامعة الرحمانية في مدينة بنارس ، وتعتبر أقوى المدارس السلفية في شمالي الهند.

٧- الجامعة السلفية في بنارس : وقد أسسها مشاهير علماء الحديث في مدينة بنارس الذين تخرجوا من الجامعة الرحمانية.

وتوجد : دار العلوم - ديوبند(١٢٧)- افتتحت عام **١٢٨٣هـ/١٨٦٧م**. وتصدر مجلتين هما دار العلوم بالأردية ، ودعوة الحق بالعربية.

وتوجد مدرسة مظاهر العلوم في ولاية سهارنبور(١٢٨)- اترابراديش - وأسست

---

(١٢٧) ديوبند : مدينة صغيرة من مدن شمالي الهند ، ويتمركز فيها الأحناف.

(١٢٨) سهارنبور : وهي مدينة من مدن شمالي الهند ، قريبة من ديوبند ، من مراكز الأحناف المشهورة. وفيها مدرسة لهم. وزعماء جماعة التبليغ من هذه المدينة (جهود ص٢٢١).

عام **١٢٨٣هـ**. ودار العلوم في مدينة لكنو وتتبع ندوة العلماء وتصدر العديد من المجلات مثل الرائد باللغة العربية والبعث الإسلامي بالعربية. ومدرسة الإصلاح وتتبع جمعية ندوة العلماء ، والرحمانية في مدينة مونجير بولاية بيهار ، والمدرسة العليا النظامية في مدينة لكنو. ودار العلوم الأشرقية في مدينة ناندير قرب بمباي وهي أقدم المدارس العربية ، والجامعة الحسينية في مدينة راندير ، والجامعة العربية الإسلامية في ولاية سورت. وروضة العلوم ومدينة العلوم وسلم السلام ومدرسة كيرالا في جنوب غربي الهند. وجامعة دار السلام في مدينة عمر آباد ومدرسة الباقيات الصالحات والمدرسة الجمالية في جنوب شرقي الهند ، والجامعة الإسلامية النظامية والجامعة العثمانية ـ في حيدر آباد ـ الدكن.

كما أن هناك الجامعة الإسلامية في عليكرة وهي أبرز الجامعات العصرية ، والجامعة الإسلامية الملية في دهلي ، ومعظم نفقات هذه الجامعات والمعاهد من الأوقاف وتبرعات المسلمين(١٢٩).

وهناك دور للتأليف والنشر مثل : دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن. ومنها قسم التحقيق والطبع ، والمطابع قسم عربي وقسم إنجليزي. ودار المصنفين ـ أعظم جره ـ أسسه العلامة شبلي النعماني. وندوة المصنفين في دلهي ـ أنشأتها جماعة من متخرجي دار العلوم. ومكتبة الجامعة الملية الإسلامية (دلهي الجديدة).

كما تحوي الهند مكتبات شهيرة مثل :

مكتبة رضا الشعبية ـ ولاية اترابراديش بمدينة رام بور. وفيها **١٦٠٠٠** مخطوطة بالعربية والفارسية والأوردية ، ومخطوطات باللغة السنسكريتية والهندية والتركية والبشتو والجوجرانية والتاملية ولغة تلحو.

ومكتبة خدابخش للعلوم الشرقية في مدينة بتنا بولاية بيهار. وتضم مخطوطات نادرة باللغة العربية والفارسية. ومخطوطات بالأردية والتركية ، وكتب مطبوعة(١٣٠).

العلاقات الهندية الإسرائيلية :

هناك شبه كبير بين أفكار البراهمة والفلسفة التلمودية وفكرة شعب الله المختار. وبعد ثلاثة شهور من اغتصاب اليهود لفلسطين (**١٩٤٨م**) أعلنت الهند اعترافها

---

(١٢٩) انظر ـ عبد الحليم الندوي ـ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ دهلي الجديدة ـ مطبعة نوري المحدودة مدراس ١٣ (الهند). ص٥-٩٣.

(١٣٠) نفسه ص١١٠-١٣٤.

بدولة اسرائيل على أساس سياسة الأمر الواقع التي انتهجتها الدولتان. فقال نهرو في البرلمان الهندي :

« إنه من البديهي أن نعترف بواقع قائم وهو أن اسرائيل دولة قائمة ».

ونتيجة لأقواله صدر هذا البلاغ عام **١٩٥٠م** :

« لقد قررت الحكومة الهندية الإعتراف بدولة اسرائيل ». وعلق الناطق الرسمي باسم الحكومة الهندية تعقيبا على هذا البلاغ بقوله :

« إن دولة إسرائيل موجودة في الواقع منذ سنتين ومما لاشك فيه أنها خلقت لتبقى وقد عملت الهند طوال السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع إسرائيل ».

وأنشأت إسرائيل بعد ذلك وبصورة رسمية قنصلية عامة في مدينة بمبي وقد أثبتت هذه القنصلية بعد وقت قليل من تأسيسها على أنها حصن قوي للتعاون الهندي اليهودي ، وكانت تعمل بهدوء تام لتحقيق أعظم قدر ممكن من تمتين الود والصداقة بين البلدين. في حين أن الهند تدعي بأنها مجرد قنصلية أو مركزا تجاريا.

وفي مؤتمر باندونغ اقترح جواهر لآل نهرو إشراك دولة اليهود بهذا المؤتمر ، معتمدا في تقديم اقتراحه على القول بأن اسرائيل دولة معترف بها من قبل الأمم المتحدة ، وأنها مرتبطة بعلاقات دبلوماسية مع عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية.

ولما عرض موضوع إدراج فلسطين في المؤتمر هب نهرو غاضبا وقال : إنها لجرأة من قبل العرب أن يناقشوا القضية الفلسطينية في هذا المؤتمر الذي لم تدع إليه إسرائيل ، أو ليس وجود إسرائيل في غرب آسيا حقيقة ؟ أفلا يكفي أنها لم تدع إلى المؤتمر.

وقد وثقت الهند صلاتها بالعرب على حساب باكستان ، فقد صرحت أنديرا غاندي في خطاب لها في حفل في تونو فونتو **٢٥** نيسان **١٩٦٢م/١٣٨٢هـ** وكان أكثر حاضريه من اليهود فقالت :

« لقد أسيء فهم سياسة الهند إزاء إسرائيل فإذا كنا لم نتبادل السفراء فذلك لأننا قد رأينا أن ذلك يضر بمصالحنا ومصالح إسرائيل معا بسبب الموقف العربي ومسلمي باكستان ».

وصرح الزعيم الهندوكي كامات في البرلمان الهندي **١٧** نيسان عام **١٩٦٤م/١٣٨٤هـ** فقال : « أن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب ».

وفي مجال التعاون العسكري : عقد الجانبان الهند واليهود اتفاقية تعاون ذري

بينهما عام **١٣٨٢هـ/١٩٦٢م**. ولتسهيل التعاون العسكري عين ضابطان اسرائيليان في وزارة الدفاع الهندية ، واشترت الهند من إسرائيل كميات كبيرة من السلاح عام **١٣٨٣هـ/١٩٦٣م**. كما ذهب قائد الجيوش اليهودية المدرعة في سيناء أريل شارون إلى دهلي عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م** لشراء قطع غيار للطائرات الإسرائيلية الفرنسية الصنع من نوع ميستير واورغان وقطع غيار للدبابات الفرنسية.

وفي عام **١٣٩١هـ/١٩٧١م** أمدت إسرائيل الإنفصاليين البنغاليين بكميات كبيرة من السلاح أرسلتها باسم مساعدات إلى حكومة بنغلاديش العاملة في كلكته.

وقد درب أفراد العصابات الهندية على أعمال الشغب والثورات في إسرائيل ، وخاصة عصابات حزب جان سنك الإرهابي الهندي ، وزيارة زعماء هذا الحزب إلى إسرائيل مستمرة لاتتوقف ولاتنقطع ، وفي افتتاحية لصحيفة الحزب عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م** : نددت بموقف العرب من إسرائيل وقالت : لقد عرف عن إسرائيل أنها لاتطمع ببوصة من أرض العرب ـ بل كل ماتريده هو السلام ـ وأنه لمن دواعي الاشمئزاز حقا أن تمنع مصر إسرائيل من استعمال قناة السويس بحجة أنها في حالة حرب مع العرب منذ **١٣٦٨هـ/١٩٤٨م** إن هذه لحماقة يجب أن تنتهي وعلى العرب أن يقبلوا بإسرائيل كواقع راسخ وأن يتعلموا التعايش معها ». والصحافة الهندية تتحيز لاسرائيل أكثر من الإسرائيليين أنفسهم. ومازالت الهند تتعامل تجاريا مع العرب وإسرائيل على حد سواء.

وهذه إشارة إلى مايعانيه المسلمون في **بنغلاديش** :

فبعد انفصالها عن باكستان زاد تعرضها **للغزو التبشيري (التنصيري)** الذي كانت تتعرض له منذ بداية احتلال الإنجليز للبنغال عام **١٧٥٧م** بعد هزيمة النواب الأخير (سراج الدولة) في معركة (بلاسي) ، حيث توافدت البعثات التبشيرية.

وبعد انفصالها عن باكستان عام **١٩٧١م** نشطت بعثات التنصير وهناك عوامل جعلتها مهيأة لتلقي نتائج نشاط هذه البعثات ، نوجزها في(١٣١):

١ـ الفقر الشديد الذي عانت منه بنغلاديش ولاتزال تعاني. فقد كانت أفقر أجزاء باكستان ، وهي الآن ثاني أفقر دولة في العالم. وهذا الفقر يهيء الجو للبعثات التبشيرية.

---

(١٣١) صحيفة الرائد الهندية ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ص٦.

٢- الحرب الأهلية التي عانتها بنغلاديش ، والتي جرت بين الباكستان وقوات التحرير البنغلاديشي (موكتي فوج) عام **١٩٧١م** ، خلفت دمارا في الصناعة والزراعة ، وأصبحت البلاد عرضة لأعمال النهب والقتل والإختطاف ، فأدى ذلك إلى تدمير شامل في الحياة الإقتصادية.

٣- العلمانية : التي أقرها دستور البلاد زمن الشيخ مجيب الرحمن ، مكنت للبعثات التبشيرية في ظل حماية الدستور.

٤- إعتقال العلماء والدعاة ، ومنع المنظمات الإسلامية من نشاطها ، والحظر على جميع المجلات والصحف الإسلامية في عهد مجيب الرحمن إلى أن اغتيل عام **١٩٧٥م**. ترك المجال مفتوحا أمام البعثات التنصيرية.

٥- عودة حوالي عشرة ملايين نسمة من البنغلاديشيين الذين هاجروا إلى الهند ، فعاد معهم كثير من الهندوس ، فزادت أعباء الدولة ، وساهم في زيادة فقرها.

٦- وجود عدة ملايين من المسلمين المهاجرين من مختلف أجزاء شبه القارة الهندية والذين كانوا هدفا لطعن بعض الأحزاب السياسية القومية ، أدى إلى مظالم وحشية عليهم بتهمة كونهم باكستانيين ، فهجر قسم منهم البلاد ، وعاش آخرون في مخيمات اللاجئين تحت إشراف منظمة الصليب الأحمر الدولية ، فأصبحوا هدفا سهلا للفقر والتنصير. وقد أعيد هؤلاء إلى باكستان أخيرا.

٧- لم تشهد البلاد استقرارا سياسيا منذ استقلالها ، فقد كانت مسرحا لأربعة إنقلابات عسكرية ناجحة ، وخمسة عشر انقلابا فاشلا.

وهذا أثر سلبيا على الحياة الإقتصادية ، وجعل المجال رحبا لدعاة التنصير.

٨- المجاعات والفيضانات التي تعرضت لها بنغلاديش : ففي عام ١٩٧٤م تعرضت لمجاعة رهيبة. وفي عام ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ تعرضت لفيضانات مدمرة ، شردت أكثر سكانها. وهذا أتاح مجالات واسعة لنشاط البعثات التبشيرية. ومن الجدير بالذكر أن معظم أزمات بنغلاديش هذه نتجت من إقامة الهند لسد على نهر (كنكا) (الغنج) في ولاية بنغال الغربية ، ومن عمليات الهند الماكرة في شق السدود في موسم المطر والفيضانات. وهذه تسبب معاناة رهيبة هائلة لبنغلاديش.

٩- المساعدات الأجنبية : تشكل المصدر الرئيسي للإقتصاد ، وتستخدم لاستيراد بضائع استهلاكية ، ولاتتجه إلى التنمية ، فتزيد الفقر فقرا.

وهذا الوضع أتاح الفرصة للأنشطة التنصيرية.

١٠- مساعدة المنظمات الخيرية الغربية العاملة في بنغلاديش في دعم حركة

التنصير. فهناك (٢٥٠) منظمة تمارس نشاطها التنصيري تحت ستار الفعاليات الصحية والتعليمية. مستفيدة من تساهل الحكومة. فزاد بناء الكنائس.

١١- سلوك البعثات التبشيرية الطرق الملتوية لبلوغ أهدافها مستغلة جهل المسلمين وفقرهم. فقامت بترجمة المؤلفات النصرانية إلى اللغة البنغالية بشكل يوحي : أن عيسى (عليه السلام) نبي من الأنبياء وهو تابع لمحمد ﷺ. وأن النصرانية ليست دينا مستقلا بل هو مذهب مثل المذاهب الأربعة. حالها حال الحنفية والشافعية وغيرها ، والنصارى مسلمون عيسائيون. لذلك فإن اعتناق المسلمين لهذا المذهب لايخرجهم عن دينهم! وهذه طريقة انخدع بها كثير من فقراء بنغلاديش وجهلتهم.

١٢- تشجيع الحكومة البنغلاديشية لحركة التنصير بسبب تعرضها لضغوط العالم النصراني. في حين أن المنظمات الإسلامية التي تجابه التنصير قليلة ، وضعيفة ، تعتمد على التبرعات الخيرية في مواردها. وقامت جماعة الدعوة الإسلامية التي تسمى (جماعة التبليغ) بنشاط كبير لمواجهة ذلك ، كما قامت معاهد التعليم الإسلامية ورجالها بهذا الدور.ولكن الجهد قليل لقلة الإمكانيات. فالأمر يحتاج إلى جهد إسلامي رسمي ، كبير ، ومشاريع واسعة لإنقاذ أكثر من ١١٠ مليون مسلم في هذه البلاد التعيسة.

وأما بالنسبة **لباكستان**

فقد جاهد المسلمون كثيرا لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، واقتربت البلاد من هذا الهدف عدة مرات ، إلا أن تآمر الدول الكبرى على هذا البلد المسلم الكبير جعل الأمور تتعقد. وخاصة لكثرة المشاكل الإقتصادية المعقدة ،'والقضايا القبلية ، وقضايا المهاجرين من الهند وباكستان وبنغلاديش وكشمير.

وقد تغلغل الاتحاد السوفييتي في باكستان عن طريق أفغانستان بالأسلوب نفسه الذي اتبعه من قبل مع أفغانستان ـ عن طريق الابتعاث ـ وتسلل العملاء الشيوعيين في مجالات الحياة المختلفة ـ في المصانع والمدارس والكليات والجامعات ، ومنظمات العمال حتى بين الفلاحين داخل القرى والمدن الصغيرة ، وقادوا الحركات الطلابية ، ودرسوا الشيوعية في المدارس والمعاهد ، بل وسلحوا العملاء الشيوعيين. وكثرت المنظمات الاشتراكية ، كما نشطت الأحزاب القومية ، مثل الحزب القومي في باكستان ، والحزب الديمقراطي القومي. وحزب باكستان الجمهوري ـ الشعب الذي له جمعية مسلحة باسم (أل . ذو الفقار) الذي يوجد مركزها في كابل

وموسكو وهو بزعامة بنازير بوتو/ابنة ذو الفقار علي بوتو.

واستغل الشيوعيون المبشرين ومنظماتهم ومدارسهم لوحدة الهدف ـ وهو الوقوف أمام التيار الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية ، ومع القاديانيين(١٣٢).

ورغم قوة الحركة الإسلامية في باكستان إلا أن تعدد الأحزاب الإسلامية ، وتخاصمها، وعدم وعي الأمة الكامل على الإسلام وجهلها بحقائقه. مكن لحزب الشعب بزعامة بنازير بوتو من الفوز في الانتخابات يوم **١٧/١١/١٩٨٨م /٨ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** بعد اغتيال ضياء الحق وهي معروفة بأنها باطنية معادية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وضد الجهاد الأفغاني.

والله سبحانه وتعالى غالب على أمره.

(١٣٢) انظر تدخل السيل الأحمر في بلوجستان إعداد نصر الله خان عاكر رئيس قوة الشباب الإسلامي/ كوتيه / بلوجستان ـ باكستان ص١-٢ وص١٤-١٥.

الفصل الرابع

أفغانستان والغزو الشيوعي

أفغانستان قطر إسلامي داخلي يقع في وسط آسيا جنوب غرب هضبة البامير ، له حدود طويلة تبلغ ٢٠٠٠ كم مع الجمهوريات الإسلامية في التركستان الغربية التابعة للإتحاد السوفييتي من الشمال ، وتحدها تركستان الشرقية التابعة للصين في أقصى الشمال الشرقي ، وإقليم جامو وكشمير والباكستان من الشرق. والباكستان من الجنوب ، وإيران من الغرب(١).

وهي بلاد جبلية تشمل القسم الشرقي من هضبة إيران ، وجبال هندوكوش في الوسط والشمال الشرقي التي تشمل ثلاثة أرباع البلاد ، وجبال سليمان. فهي شديدة الوعورة على الأغلب. ومن الأنهار التي تجري فيها : نهر جيحون الذي يفصلها عن التركستان الغربية ، ويمر بقاطعة قعطن ومزار شريف الواقعين في شمال أفغانستان ، ثم يتجه إلى الشمال حيث يصب في بحر آرال ، ونهر هري رود الذي يخترق مدينة هرات ، ونهر هلمند ومرغاب وكابل الذي يخترق مدينة كابل العاصمة(٢).

وموقعها هذا جعلها مركز دائرة قارة آسيا ، ولهذا كانت معبرا لجميع الأقوام التي عبرت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس. ولعبت دورا عظيما كهمزة وصل بين المدنيات الثلاث القديمة : الصينية ولهندية والإيرانية ، ثم بعد ذلك بين الحضارة الإسلامية والشرق الأقصى(٣).

وأرضها خصبة قابلة لكل أنواع الزراعة ، وأشهر زراعتها القمح والذرة والشعير والأرز ، وتكثر بها الفاكهة لا سيما العنب وقصب السكر وشجر التوت لتربية دودة القز ، وفيها أنواع من التوت اسمه شاه توت (أي ملك التوت) يبلغ طول حبته ١٠سم ، ويعني البدو بتربية الجمال ذات السنامين وبتربية الأغنام(٤).

ولم تعرف هذه البلاد بهذا الاسم الذي تشتهر به اليوم إلا عام

---

(١) تقويم العالم الإسلامي ص١٩٨.

(٢) نفسه ص١٩٩ ، البلدان الإسلامية ص٢٢١.

(٣) ناصر الدين شاه ـ أفغانستان ـ ص١٠.

(٤) نفسه ص١١.

١١٦٠هـ(٥) ، وإن ذكرت القبائل الأفغانية في التاريخ من قديم ، واشتهرت مواطنها التي تتألف منها هذه الدولة اليوم. فقد اشتهرت هرات بمكانتها المرموقة في ميادين الثقافة الرفيعة ، فضلا عما لأراضيها وأراضي بدخشان وسجستان من خصب عميم ، وعرفت قندهار بشهرتها التجارية وموقعها الاستراتيجي الهام. واشتهرت كابل وغزنة بدورها في التاريخ الإسلامي(٦) ونشر الدعوة إلى الهند وأقطار الشرق الأقصى.

وتتنوع عناصر السكان في أفغانستان وأشهرهم البوشتن او البوختن ويسمون في باكستان : الباتان ، ويكونون حوالي **٣٥**٪ من السكان ، والتاجيك **٢٥**٪ والبلوش والكافير(النوريين)(٧). والأوزبك والتركمان وبشه ئي ...

وأما **اللغات** فهي :

لغة البشتو والفارسية وهما اللغتان الرسميتان في البلاد ، تليهما اللغة العربية التي يعتز بها الأفغانيون وتدرس في جميع المدارس على أساس أنها جزء متمم للغة الوطنية(٨). بسبب :

١ـ اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي يحرص الأفغانيون على أن يقرأوه كما أنزل على محمد ﷺ.

٢ـ اللغة العربية هي إحدى أصول اللغتين البشتو والفارسية. فتكون أكثر من ٤٠٪ من مفرداتهما.

٣ـ اللغة العربية هي اللغة العلمية الأكاديمية التي يكتب بها العلماء في شتى فروع المعرفة ولذلك يحرصون على إتقانها(٩).

ومن الجدير بالذكر أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية الوحيدة حتى القرن الرابع الهجري في تلك البلاد. وفي الوقت الحاضر لايجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية مهما صغرت ونأت إلا وفيها مكتب أو اثنان لتدريس اللغة العربية والإسلام(١٠).

---

(٥) في عهد الملك أحمد شاه الدراني ، وكان ينتمي إلى بشتو أو الأفغان الذين يشكلون حوالي ثلث سكان البلاد.

(٦) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية.. ص٤٨١.

(٧) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠١-٢٠٢ ، اعلام المجاهدين في أفغانستان ص٥٦.

(٨) نفسه ص٢٠٢.

(٩) نفسه ص٢٠٣.

(١٠) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص٩٤ عن صلاح الدين السلجوقي.

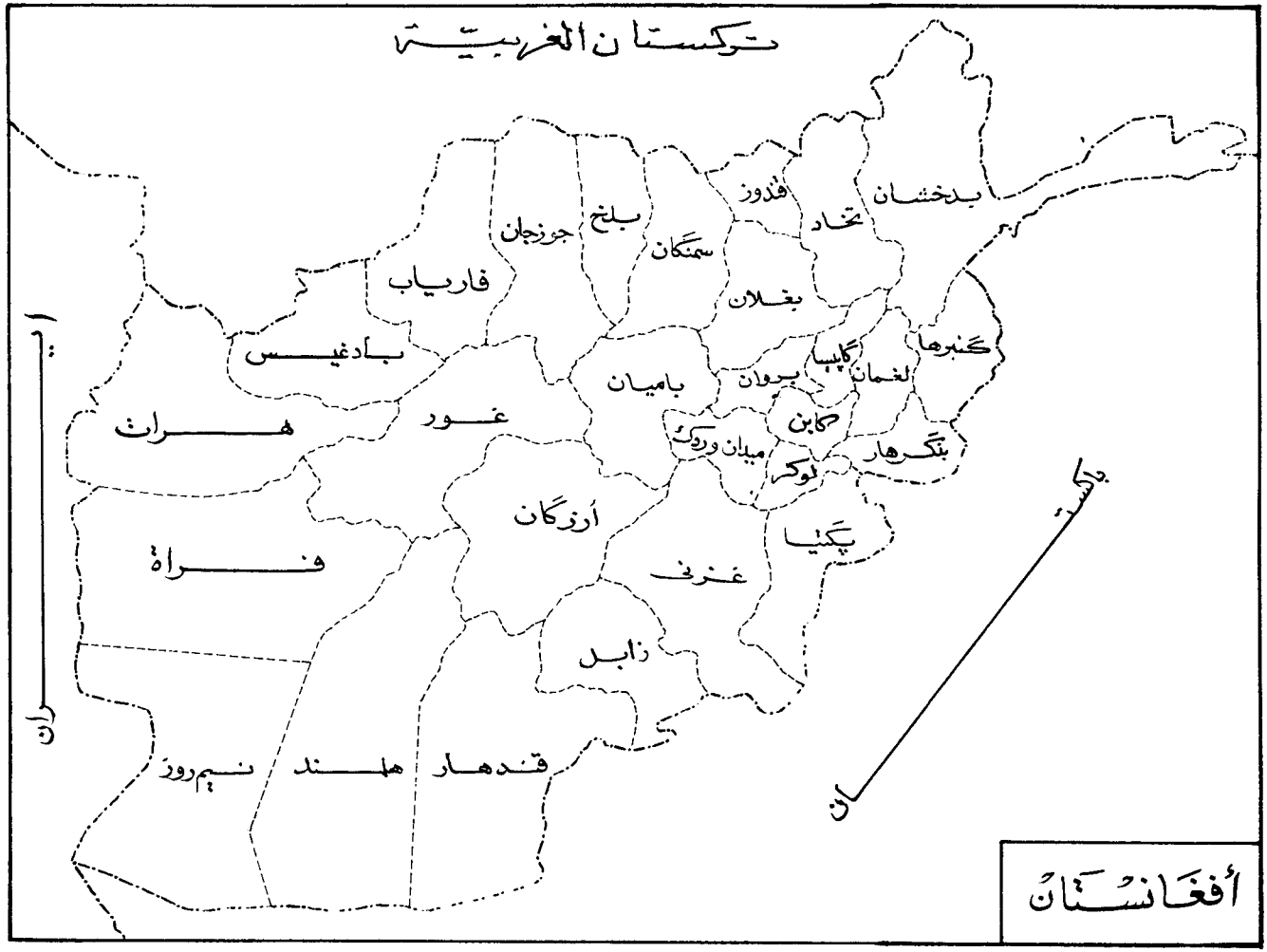
ترکستان الغربیة
بدخشان
قندوز
تخار
جوزجان
بلخ
سمنگان
فاریاب
بغلان
بادغیس
گنبرها
کاپیسا
لغمان
بامیان
پروان
کابن
غور
هرات
میدان وردک
بگرهار
لوگر
ارزگان
پکتیا
فراة
غزنی
زابل
نیم روز
هلمند
قندهار
ایران
پاکستان
أفغانستان

وقد عرفت هذه البلاد (مع غيرها من أرض التركستان) في التاريخ باسم إيريانا ومعناها الأسياد أو النبلاء ، كما عرفت في التاريخ الإسلامي باسم خراسان ومعناها (أرض الشمس) ، وترتبط بها طريق الحرير التي كانت تربط بين المشرق والمغرب(١١).

ويسكن أفغانستان أكثر من ٢٠ مليون نسمة كلهم مسلمون. وتعتبر قلعة شامخة للإسلام.

دخلها نور الإسلام منذ عهد عمر رضي الله عنه(١٢) عام ٢٢هـ يوم فتح المسلمون أول مدنها هراة ، التي كانت تسمى اسكندرية آريه ، بقيادة الأحنف ابن قيس ، ثم سيطر على بلخ التي هزم فيها يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس. ثم أخذت المدن تستسلم للمسلمين تباعا ، ففي عهد عثمان رضي الله عنه فتحوا كابل ونيسابور بقيادة عبد الله بن عامر سنة ٣٠هـ(١٣) ، ومنذ ذلك التاريخ رحب أهل البلاد بالإسلام وارتبطوا به وتمثلوه عقيدة وفكرا ونهجا وسلوكا، فأصبح لخراسان دور طليعي في تاريخ الإسلام ، فلعبت دورا هاما في نشر عقيدة الإسلام في الهند ، وخاصة بعد أن استقر عدد من أفراد القبائل العربية بينهم ، فظهر بعد ذلك بوقت قصير طبقة من أبناء البلاد تجيد العربية وتحمل الإسلام وتشتغل بعلوم اللغة والقرآن والحديث. وأصبحت معقلا من معاقل الإسلام الحصينة تمارس دورها في نشر رسالته، وتقف سدا منيعا في وجه الهجمات العاتية التي تعرض لها. فمنها انحدر الفاتح المسلم الشاب محمد بن القاسم ليفتح السند من أراضي الهند ، وكذلك انحدرت منها الجيوش الخراسانية التي أزالت الدولة الأموية وأقامت الدولة العباسية. وظلت البلاد تنتقل من أسرة مسلمة إلى يد أسرة مسلمة أخرى من عرب وإيرانيين وأتراك ، فظهر الطاهريون في العصر العباسي الثاني ، ثم الصفاريون الذين بسطوا سلطانهم على كابل وهرات وطبرستان ، وخلفهم السامانيون فضموا إلى ملكهم أراض كثيرة في بلاد ماوراء النهر ، وكان من عمال الدولة السامانية أمير يدعى سبكتكين ، كان يحكم ولاية غزنة الأفغانية في القرن الرابع الهجري ، وعلى يده قامت أول دولة أفغانية إسلامية هي الدولة الغزنوية التي اضطلعت بدور من أعظم أدوار التاريخ الإسلامي. وخلفه ابنه محمود

---

(١١) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠٤.

(١٢) الكامل لابن الأثير ج٣ ص١٦.

(١٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ص٣٩٧-٤٠١.

الغزنوي الذي كان من أعظم ملوك المسلمين فسيطر على كل أفغانستان الحالية ، وعلى جزء من إيران حتى الري وأصفهان وخوارزم والسند والجزء الشمالي من الهند وأصبحت مدينة غزنة عاصمته من أجمل عواصم العالم وأكثرها رفاهية وزخرفة. ومنها انحدر بغزواته الجهادية الكثيرة إلى الهند ليمد الإسلام فيها(١٤).

وهنا نعرض لحادثة مهمة عن أساليب الانجليز في الإيقاع بين الشعوب وتشويه التاريخ الإسلامي بصفة خاصة : ذلك أن المستعمرين الإنجليز حين دخلوا كابل (كما سيأتي) ، عمدوا إلى نقل بعض حجارة منها إلى الهند ، انطلقوا بها يزعمون للهنادكة بأنها من بقايا معابدهم التي خربها محمود الغزنوي قبل ألف عام ، ونقلها إلى بلاده ليدخلها في بناء مساجده ، وقد أرادوا بذلك أن يزيدوا من الوقيعة بين الهنادكة والمسلمين بالهند. لكن أمرهم ماغدا أن افتضح وظهر كذب ماادعوه(١٥).

وقد ضم بلاط محمود عددا من رجال العلوم والآداب والفنون منهم : أبو الريحان البيروني والعتبي المؤرخ ثم الفردوسي شاعر الفرس جميعا.

ولما غرق الغزنويون في المنازعات العائلية ، وضعفوا بسبب حروبهم مع السلاجقة ، ورثهم الغوريون الأفغان في القرن السادس الهجري. وكانوا خير جند الغزنويين أيام مجدهم ، وتابعوا نشر الإسلام وكونوا في الهند دولة عظيمة تحدثنا عنها في ممالك الهند الإسلامية. وكان محمد الغوري حريصا على نشر الإسلام وتقريب العلماء ، يحضر دروس التفسير التي يلقيها فخر الدين الرازي ، وكذلك ظهر في تاريخ أفغانستان السلطان علاء الدين المشهور باسم الاسكندر الثاني الذي أخضع هضبة الدكن.

وبرز آل تغلق ومنهم الأمير غياث الدين ، كما حمل لواء الإسلام من بعده ملوك الطوائف ، واللودهيون الأفغانيون ، وكان لهم أعظم الأثر في نشر الإسلام ، وجمع كلمة المسلمين في أفغانستان وبلاد ماوراء النهر وشبه القارة الهندية.

وكذلك نجد للدولة التيمورية آثارا حميدة في نشر الإسلام وفي النهضة العلمية ، ويقترن بهذه الدولة اسم بابر الذي اخترع خطا سمي باسمه وكتب به مصحفا أهداه إلى مكة المكرمة كما كان أديبا يقرض الشعر ، ومازال ضريحه في مدينة كابل

---

(١٤) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص١٩٧ / وانظر الدول الإسلامية في الهند في هذا الكتاب.

(١٥) الساداتي ـ تاريخ شبه القارة ـ ص٤٨٤.

عاصمة أفغانستان مثابة للسياح وعلماء الآثار(١٦). وخلفه ابنه همايون حيث بقيت أفغانستان في زمنه قلعة إسلامية كبيرة تمد الإسلام وتحميه.

وفي عهد الأمراء التيموريين عمرت هرات الأفغانية بالمنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ودور شفاء وغيرها، وصارت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية ،فقصدها مشاهير الفقهاء والحكماء والشعراء والكتاب والمؤرخون ، وكانت من أعظم مراكز التجارة والسياسة بآسيا الوسطى في هاتيك الأيام(١٧) ، ومعلوم أن الدعاة والتجار لايفترقان في الإسلام.

ولما ضعفت الدولة المغولية في الهند بعد وفاة أورنك زيب سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م ، وكذلك الدولة الصفوية الإيرانية ، قام الأفغانيون بقيادة (ميرويس) وطردوا الإيرانيين من كابل - وكانوا قد حكموا في أفغانستان (جوركين) أمير جورجيا النصراني التابع للشاه الفارسي - واكتسحوا إيران ، واستولوا على أصفهان بقيادة مير محمود عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م وقضوا على الأسرة الصفوية ، وأسسوا أسرة مالكة سنة ١١٦١هـ/١٧٤٧م على يد أحمد شاه دوراني الملقب بـ(دره دوريان) أي درة الدر(١٨) وملك هرات وقندهار وكابل وانتصر على جيوش الهند. وسماه الشعب الأفغاني بالأب (بابا).

ثم ظهرت اسرة محمد زائي بعد فترة من الإضطرابات ، بزعامة الأمير دوست محمد سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ، الذي أسس ملك أسرة زائي المالكة في وقت اشتدت فيه المنافسة بين الإنجليز المسيطرين في الهند والروس الذين أخذوا يزحفون على أراضي الإسلام في التركستان.

وهذا الموجز التاريخي الذي ذكرناه يؤكد رباط أفغانستان بتاريخ الأمة الإسلامية ، ودورها الإيجابي دائما في رفع الدعوة ونشرها. وقد قدمت أعلاما من علماء الفكر الإسلاميين مع بلاد ماوراء النهر ، منهم أبو حنيفة النعمان والإمام أحمد ابن حنبل والبخاري والترمذي وابن قتيبة والرازي والغزالي ، ومن الفلاسفة ابن سينا والفارابي والبيروني ، وجابر بن حيان ، والجرجاني ، ومن علماء الآداب واللغة الزمخشري والسكاكي والتفتازاني والجامي ، ومن علماء الكلام النسفي

---

(١٦) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠٨.

(١٧) الساداتي ص٤٨٦.

(١٨) ناصر الدين شاه - أفغانستان ص١٧ / مجلة الجهاد العدد ٣٥ صفر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

والقندهاري(١٩).

أطماع الإنجليز ومحاولتهم احتلال أفغانستان :

واستطاعت أفغانستان أن تؤكد طابعها الإسلامي العميق في جهادها ضد القوى الروسية والإنجليزية. فقد طمعت كل من روسيا والإنجليز في الإستيلاء على الصين عن طريق الممر الأفغاني المؤدي إلى التركستان الشرقية.

الحرب الأولى على أفغانستان ١٢٥٣-١٢٥٧هـ/ (١٨٣٨-١٨٤٢م) :

حاولت إنجلترا (كعادتها) التودد إلى الأمير محمد دوست لتفرض عليه معاهدة حماية ، فلم تجد لديه فائدة ، فقررت اقتحام أفغانستان سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ، بحجة مناصرة شجاع الملك في منافسته لأمير الأفغان دوست محمد. في الوقت الذي زاد فيه خطر الفرس ، بتحريض من الروس وأعوانهم(٢٠). وتمكنت القوات الإنجليزية بعد سلسلة من الهزائم أمام الأفغانيين من احتلال كابل ، وإجلاس ربيبهم شجاع الملك على عرشها ، بعد فرار دوست محمد. فقام الأفغانيون قومة رجل واحد ، ولم يكتفوا بإخراج الدخلاء وصنيعتهم من العاصمة فحسب ، بل تمكنوا من إبادة جيش بريطاني بأكمله عند خورد كابل ، وكان قوامه عشرين ألفا من الجند المجهز بأحدث الأسلحة ، فلم ينج من رجاله جميعا إلا طبيب شاب يدعى (بريدون) استطاع أن يصل إلى جلال آباد ، فأخبر بالكارثة التي نزلت بجيش الإمبراطورية التي لم تكن تغرب الشمس عن أملاكها(٢١).

وعاد البريطانيون إلى بلاد الأفغان من جديد طلبا للثأر فنزلت بهم عدة هزائم ، وقتل الأفغانيون ربيبهم شجاع الملك ، فلم ير الإنجليز بدا من مصالحة دوست محمد ، والإعتراف به أميرا على الأفغان سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م.

---

(١٩) العالم الإسلامي لأنور الجندي ص٩٤ ، وتجد تشابها بين هذه القائمة وقائمة علماء التركستان فهي بلاد واحدة تجمعها كلمة خراسان وبلاد ماوراء النهر. انظر قائمة أكبر من الأسماء في تقويم العالم الإسلامي ص٢١٠-٢١١.

(٢٠) الساداتي ص٤٨٩.

(٢١) الساداتي ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة ـ ص٤٩٠ ، وانظر حاضر العالم الإسلامي ج٤ ص١٩٩ ، ناصر الدين ص١٨.

الحرب الثانية ١٢٩٥-١٢٩٨هـ/١٨٧٨-١٨٨٠م :

لما مات دوست محمد عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م ، خلفه ابنه (تشير علي) الذي عمل جاهدا مثل سلفه للإفادة من منافسة الروس والإنجليز. وحدث أن حشدت روسيا سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨ م الجيوش المعسكرة في طشقند على حدود أفغانستان ، فأرسلت إنجلترا مذكرة احتجاج على ذلك إلى شير علي ، الذي لم يجب عليها بشيء ، فقرر الإنجليز مهاجمة أفغانستان ، فكانت الحرب الثانية بين الإنجليز وأفغانستان. وقد ضمت الحملة الإنجليزية كثيرا من أمراء الهند ومن المرتزقة من القبائل ، ومن السيك المشهورين بالبسالة. وتمكنت الحملة من دخول كابل بقيادة (دوبرتس) ، وفر (تشير علي) خان إلى مزار شريف حيث توفي سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م. ونصب الإنجليز يعقوب ابنه أميرا ، حيث فرضوا عليه معاهدة غاندامق ، وتخلى لهم عن بعض الأراضي ، وتعهد بقبول بعثة بريطانية تقيم بالعاصمة(٢٢).

لم يرض الأفغانيون وقاموا بثورة ذبح فيها الأهالي أعضاء البعثة الإنجليزية بأجمعهم ، فعاد اللورد (دوبرتس) بجيشه ، ودخل كابل مرة أخرى. ولكن الأفغانيين حصروه في كابل ، وحشد أيوب خان بن شير علي جيشا في هراة ، وزحف إلى قندهار ، وهزم الإنجليز ،فأجبر الإنجليز على الإتفاق على إخلاء أفغانستان بأسرها وجلوا عن البلاد سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م(٢٣). فقبض الأمير عبد الرحمن حفيد دوست محمد على أزمة الحكم في عزم وحزم ، فأقر الأمور وأقام العدل وأشاع الأمن في ربوع البلاد ، ووطد نفوذ الحكومة ، وأسس معملا للسلاح وأصلح بقدر إمكانه تدريب الجيش ،واستولى على مقاطعة كافرستان في الشرق التي هدى الله أهلها للإسلام ، فسماها (نورستان)(٢٤). وكان يوحي لنفسه ولغيره أن الإنجليز يعطونه خراجا عن الهند ، ويقيد في الحسابات المعونات المادية التي كان يتلقاها منهم (خراج الهند)(٢٥).

ولما وافاه الأجل عام **١٣١٩هـ/١٩٠١م** ، خلفه ابنه حبيب الله ، فسار سيرته ، وآثر أن يهادن بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ، رغم محاولة الألمان

---

(٢٢) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٠٨.

(٢٣) نفسه ج٢ ص٢٠٨.

(٢٤) نفسه ج٢ ص٢٠٩ ، الساداتي ص٤٩١.

(٢٥) ناصر الدين - أفغانستان ص١٩.

والأتراك اجتذابه. ولكن بريطانيا لم تقدر له صنيعه هذا ، فأصرت على الإحتفاظ ببعض مناطق الحدود الأفغانية ، بدعوى تأمين حدود الهند ،وقتل حبيب الله سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م (دون أن يعرف قاتله ولا أسباب قتله). وقد يكون للإنجليز دور في ذلك(٢٦) ، وتولى العرش بعده إبنه أمان الله خان. وأخذت أفغانستان في عهده تتصل بالعالم الخارجي بعد أن كان الإنجليز قد قطعوها عنه منذ سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م(٢٧).

الحرب الثالثة ١٣٤٠هـ/١٩١٩م :

أرسل أمان الله إلى الإنجليز مطالب بلاده ، ومنها إعادة الأراضي التي اغتصبوها من الحدود الجنوبية ، والتفرغ عن مرفأ بحري تكون الدولة الأفغانية فيه حرة ، وحق تأسيس العلاقات الخارجية رأسا مع سائر الدول ، فأبى الإنجليز التسليم بذلك ، فتقدم الجيش الأفغاني ومعه القبائل واخترقوا الهند ، فكانت الحرب الثالثة بين الإنجليز والأفغان انتهت بتوقيع هدنة (راولبانديي) في ١٩١٩/٨/٨م ، ثم وقع الطرفان عام ١٣٤١هـ/١٩٢١م معاهدة اعترفت بها بريطانيا باستقلال أفغانستان إستقلالا تاما ، وأصبح الأمير أمان الله ، الملك أمان الله. ونالت الأفغان الحق في إمرار السلاح عن طريق الهند ، وتحديد منطقة محايدة من قبائل بلاد البوتان لاتكون ملكا للإنجليز ولا للأفغان(٢٨).

كان أمان الله شابا متحمسا يريد أن يرى بلاده راقية ، غير أن تجاربه كانت قليلة ، فاهتم اهتماما بالغا بتنظيم حكومته وجيشه ونشر التعليم ، وعنى عناية شديدة بتعمير بلاده ، غير أنه نزع إلى تقليد مصطفى كمال أتاتورك في نبذ كثير من التقاليد الإسلامية ، وجهر بذلك في رحلته المشهورة التي خرج فيها عام ١٩٢٨م إلى بعض البلاد الشرقية والغربية ، فزار مصر ومعه زوجته الملكة ثريا ، التي خرجت متحجبة من أفغانستان فسفرت ، ولبس هو القبعة ، وزار الأزهر بها ، فانصرف عنه العلماء مشمئزين بعد أن كانوا قد اجتمعوا له ، ثم زار أوربا مع زوجته هذه وتركيا ، وكانت أخبار تفرنجه وسفور زوجته قد وصلت أفغانستان ، فهاج العلماء والشعب الأفغاني. حتى إذا ماعاد إلى بلاده ثار عليه فريق من قومه ومعهم طائفة من العلماء ثورة عارمة ، انتهت بخروجه من البلاد.

(٢٦) انظر حاضر العالم الإسلامي ص١٩.

(٢٧) ناصر الدين ص١٩.

(٢٨) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢١٥.

إستغل رجل من قطاع الطرق الفرصة وهو حبيب الله المعروف بلقب (بجه سقا) أي ابن السقاء ، فثار وانضم إليه فريق من الشعب ، ودخل كابل ، وأعلن نفسه ملكا ، فساءت الحالة وعمت الفوضى ، فاستفاق أهل البلاد ، وأخذوا يتطلعون إلى شخص **محمد نادر خان** ، الشخص الذي انتصر على الإنجليز سنة ١٩١٩م ، وكان سفيرا لبلاده في باريس ، فاستدعوه وقاد حركة المقاومة وتغلب على عصابة ابن السقاء ، وأعلن نفسه ملكا باسم محمد نادر شاه ، وساعده أهل الهند وكان لهم النصيب الأوفر في نجاحه ، واهتم نادر شاه بالعلم والتعليم ، وتنظيم الجيش ، وترقية وسائل العمران بدون أن يتعرض للمسائل الإجتماعية من الأزياء والعوائد والتقاليد(٢٩) ، بل سار في الحكم متمسكا بمكارم الأخلاق والتقاليد الإسلامية ، ورفض أن يكون ألعوبة في أيدي البريطانيين أو الروس.

ولكنه أغتيل عام **١٩٣٣م** بيد أنصار أمان الله خان(٣٠). فخلفه ابنه محمد ظاهر شاه وعمره **١٩** سنة وساس أعمامه البلاد سياسة حكيمة عاقلة من كل النواحي.

فاهتم بالجيش ونشر التعليم وقوى اقتصاديات البلاد وعمرها واستثمر ما بأرضها من خيرات ، ووثق العلاقات بالجيران عامة ، وبالبلاد الإسلامية خاصة.

وامتازت ملكية أفغانستان بالبساطة فلم يكن للملك مخصصات كبيرة ، وإنما يقدم له مرتبا مناسبا ، وليس هناك مخصصات مالية لأعضاء الأسرة المالكة ، ولا يستخدم الملك السيارات الفاخرة ولا يتعطل المرور أثناء مروره ، وكان يتم تعيينه بالإنتخاب والمبايعة ، كما أنه لم يكن هناك عطلة رسمية ليوم ميلاده أويوم تتويجه(٣١).

أطماع روسيا :

كانت روسيا القيصرية دولة إستعمارية منذ يومها الأول ، إستطاعت أن تلتهم البلاد الإسلامية الواسعة في تركستان ، ووقفت على حدود أفغانستان مستعدة لالتهامها ، وزاد طمعها في أفغانستان بعد قيام الشيوعية فيها ، وحاولت الإعتداء على أفغانستان عام ١٣٥٠هـ/١٩٢٩م بقيادة جريماكوف ، وبعد مقاومة شديدة

---

(٢٩) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢١٧.

(٣٠) ناصر الدين ص٢١.

(٣١) تقويم العالم الإسلامي ص٢١٣.

من قبل المسلمين واستشهاد حوالي سبعة آلاف مسلم في نهاية ذلك العام رجعت القوات الروسية خائبة(٣٢). فاتخذت الشيوعية أسلوب النفس الطويل ، فأخذت بعض الشبان ودربتهم وغسلت أدمغتهم وأعدتهم للساعة الحاسمة ، وأخذت تتربص بالبلاد شرا ، كما قدمت المساعدات والقروض لمحمد ظاهر شاه ،وظهرت بمظهر الصديق والمعين على مطامع الإنجليز الأعداء التقليديين لأفغانستان. كما شاركت في إقامة بعض منشآت الري ، وبدأ الخبراء الفنيون يدخلون أفغانستان حتى صاروا يعدون بالألوف ، ثم بدأت المساعدات العسكرية ب **٢٥٠** دبابة وعدد من الطائرات الميج **٢١** التي استعملت بعد ذلك في الإنقلاب العسكري(٣٣).

وتسربت الأفكار الهدامة مع هذه المساعدات والخبراء والشباب والضباط الذين أتموا دراستهم في موسكو إلى أفغانستان. ووصل محمد داود خان ابن عم الملك المتأثر بالأفكار الجديدة إلى رئاسة الوزراء عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٣م.

وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٦م وقع محمد داود معاهدة التعاون الإقتصادي والعسكري والعلمي والإصلاح الزراعي مع رئيس وزراء الإتحاد السوفييتي ، (خروتشوف) ، وتم إرسال مائتين من الشباب الأفغاني سنويا للدراسات العسكرية والعلمية وغيرها إلى روسيا ، وتمكنت روسيا في ظل هذه المعاهدة وهذه العلاقات من بث الأفكار الشيوعية عن طريق توزيع الكتب الإلحادية ، وخبرائهم الذين انتشروا في أفغانستان.

وتنبه الملك إلى خطر محمد داود ، فأعفاه من منصبه سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٣م بعد أن استفحل الخطب وفات الأوان.

وتيسر للعناصر الماركسية العمل السري لتأسيس الحزب الشيوعي الأفغاني ، في عهد بريجنيف عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٥م ، باسم الحزب الشعبي الديمقراطي ، ونشر جريدة يسارية باسم صحيفة الخلق ـ أي الشعب ـ عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م. وحظي بتأييد محمد داود ، وكان نور تراقي ، وحفيظ الله ،وبابراك كارمال ، من العناصر الماركسية التي برزت أسماؤها في ذلك العهد(٣٤).

وانتظر الشيوعيون إلى أن غادر الملك محمد ظاهر شاه البلاد سنة

---

(٣٢) خليل الله خليلي ـ تحشين تجاوز روسية در أفغانستان (الاعتداء الأول على أفغانستان) رجب ١٤٠٤هـ/ اسلام آباد ـ باكستان. دون ذكر اسم الناشر / ترجمه لي أحد طلابي الأفغان.

(٣٣) محيي الدين القضماني ـ صفحات في حاضر العالم الإسلامي ـ ص١١٠.

(٣٤) مجلة البلاغ الكويتية العدد ٥٨٨ ص١٦.

١٣٩٣هـ/١٩٧٣م إلى إيطاليا للإستشفاء ، فأوعزوا إلى محمد داود بالقيام بأول انقلاب عسكري ، وكان انقلابا أبيضا قضى فيه على الملكية وأعلن الجمهورية الأفغانية. وأسفر الحزب الديمقراطي الشعبي نواياه الخبيثة بتبنيه الماركسية ، وإعلان ولائه لدولة الإتحاد السوفييتي (الصديقة) ، وساقت روسيا جيوشها السرية إلى أفغانستان ، واستلمت مقاليد الحكم من وراء حجاب ، وأخذت تصرف سياسة الدولة على هواها ، بل أخذ أعوانها ينصبون مكبرات الصوت في الساحات العامة ويذيعون باللغات الثلاث الفارسية والبختوية والأردية ، وتدعو أهل باكستان عامة وأهل بلوجستان خاصة للثورة على حكومتهم ، والإنضمام إلى الشيوعية. ولم يستطع الأفغانيون عمل شيء لأن الجيش الروسي كان يسيطر على كل شيء في البلاد ، وسيق الكثير من المخلصين إلى المعتقلات والسجون(٣٦).

كانت فترة حكم محمد داود فترة إنتقالية في سبيل تحويل أفغانستان إلى بلد يدور في فلك موسكو ويأتمر بأوامرها ، ومن هذا المنطلق استخدم الروس هذا الرجل لضرب الحركة الإسلامية ، وإعدام وسجن قادتها ، فمهد الطريق أمام الروس ، وأفرط في الإعتماد عليهم ، حتى إذا أدرك الواقع الأليم الذي يعيش فيه ، وحاول التفلت من القبضة الروسية الحديدية ، وزار سنة **١٩٧٨م** عددا من الأقطار الإسلامية منها المملكة العربية السعودية وباكستان والكويت ومصر وغيرها ، وكان كأنما يستنجد بالعالم الإسلامي ، وقد وعدته بعض تلك الدول بالمساعدات المالية والعلمية والفنية ، فيما لو ابتعد عن الإتحاد السوفييتي ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد اتحد الحزبان الشيوعيان خلق وبرشام ، بزعامة نور محمد تراقي ، وهيأت روسيا الجو لتقلب الوضع سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م ، وقام بمجزرة تمثل الأخلاق الشيوعية أفظع تمثيل ، إذ قتل داود خان وجميع أفراد أسرته من كبار وصغار ، وجميع أعوانه ، كما قتل مئات من الأهالي ، وزج بالآلاف منهم في السجون(٣٧).

وأراد تراقي أن يقنع موسكو بإخلاصه لها فسار أشواطا في تنفيذ مآربها ، فعمد إلى إجبار الأفغانيين - وهم مسلمون مخلصون لإسلامهم - على نبذ الإسلام واعتناق الشيوعية ، فكانت النتيجة أن لاقى المقاومة الشديدة ، وأخذ المخلصون

---

(٣٦) مجلة الأمة القطرية - استطلاع في أفغانستان العدد ٣٥ السنة ٣/ ذو القعدة ١٤٠٣هـ.

(٣٧) ناصر الدين ص٢٣ وص٧٠ ، مجلة البلاغ العدد ٥٨٢ ص١٤.

العاجزون عن المقاومة والقادرون على الفرار بدينهم وأخلاقهم وإخلاصهم لبلدهم يفرون ، ملتجئين إلى باكستان وإلى إيران وغيرهما. أما المجاهدون فقد انحازوا إلى الجبال يعملون على إسقاط حكومة تراقي الشيوعية ، مما أضعف الضباط الشيوعيين ، وألجأهم إلى تصعيد المعركة مع الشعب الأفغاني المجاهد. واضطرب الأمر فعملت الشيوعية على الإطاحة بتراقي على يد عميل آخر ، قاد انقلابا عسكريا ، هو حفيظ الله أمين سنة **١٩٧٩م** ، وقد أراد أمين أن يكمل مابدأه أسلافه من أعمال إجرامية بالحديد والنار ، ولكنه لم ينجح أمام إصرار الشعب المسلم المجاهد. فأزاحته موسكو على يد عميل آخر وبطريق آخر ، وهذا العميل هو بابراك كارمال(٣٨). الذي وصل البلاد من الإتحاد السوفييتي ، مع الدبابات والطائرات الروسية الغازية ، واستلم الحكم وقدم معه **١٠٠** ألف جندي روسي مدججين بالسلاح ، فعمدوا إلى تدمير القرى والمدن ، وقتل الناس وإحراق منازلهم وقتل مواشيهم ، وحدثت هجرة جماعية فوصل عدد اللاجئين إلى باكستان في الفترة الأولى أكثر من مليون أفغاني(٣٩). وقتل عشرات الألوف(٤٠). فاكتسى الإنقلاب الأخير صفة حرب ضد الشعب الأفغاني لإبادته مدعية موسكو أنها تدخلت بناء على طلب الحكومة الأفغانية !!

هذا ويتعمد الروس إجبار الأفغانيين على الهجرة لكي يُحِلّوا محلّهم أناسا من روسيا ، فمن وسائلهم تخيير الناس بين تغيير دينهم وقبول الشيوعية ، ومنها الإعتداء على النساء ، ومنها حرق المنازل حتى لايبقى لهم مأوى فتستوي عندهم الهجرة والبقاء(٤١) ، بل يفضلون الهجرة ليحفظوا كرامتهم ، بعد أن فقدوا مالهم ومتاعهم. وحيث أن المهاجرين يهاجرون أفواجا وجماعات فإن الطائرات الروسية تلاحقهم وتقصفهم بقنابلها لتفني من تقدر عليه مع مواشيه أيضا وماخف حمله من متاع.

---

(٣٨) مجلة البلاغ العدد ٥٥٨ ص١٧ ، وكان يعمل كعميل لجهاز المخابرات السوفيتية كي .جي بي لفترة طويلة من الوقت ، المجتمع الكويتية العدد ٦٠١ ص٣٥.

(٣٩) وبلغ عددهم مليون وسبعمائة ألف عام ١٤٠١هـ في باكستان على حد قول بول هارتلينج المفوض السامي الدولي للأمم المتحدة (الجزيرة ٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ) في حين بلغ عددهم عام ١٤٠٦هـ ثلاثة ملايين أو أكثر في باكستان وحدها (أخبار العالم الإسلامي ٦١محرم ١٤٠٦هـ ١٩٨٥/٩/٣٠م العدد رقم ٩٤١.

(٤٠) ناصر الدين ص٢٦.

(٤١) ناصر الدين ص٣٠.

الحركة الإسلامية في أفغانستان :

كان من أوائل المجاهدين في الحركة الإسلامية في أفغانستان الأستاذ **غلام محمد نيازي** ، الذي تعلم في مصر في الأزهر ، ولما رجع إلى بلاده عين أستاذا بكلية الشريعة بجامعة كابل ، وبدأ بتوجيه وتربية شباب هذه الكلية ، ولما انتخب عميدا لها ، عمل على إيجاد الإصلاحات في وزارتي العدل والتربية والتعليم ، وعمل على تدريس مادة الدين في جميع الكليات ، وأحرزت كلية الشريعة في عهده تقدما ، جعلت منها محور الحركات والمساعي الدينية والإجتماعية في الجامعة. واقترح تشكيل مركز للبحوث الإسلامية في إطار الجامعة. وبعد ذلك أسس الجمعية الإسلامية ، واختار أعضاؤها سنة **١٩٧٣م** الأستاذ برهان الدين رباني أحد أساتذة الكلية أميرا. وبقي الأستاذ نيازي كمؤسس وموحد صفوف الجمعية والمرشد الفكري لها. وهذه الجمعية هي أولى المنظمات الإسلامية وأقواها في أفغانستان. وقد قبض على الأستاذ غلام محمد نيازي وعلى عدد من زملائه سنة ١٩٧٣م بعد انقلاب محمد داود مباشرة(٤٢) ، أما الأستاذ **برهان الدين رباني** فقد ذهب إلى باكستان في أواخر العام نفسه ، بعد محاولات لاعتقاله ، وقام بجولة في العالم العربي شارحا القضية الأفغانية ومعرفا بها ، وليعود ثانية إلى باكستان مستأنفا قيادة الجماعة في جهادها(٤٣).

وظهرت إلى جانب الجمعية الإسلامية الأفغانية منظمات إسلامية أخرى منها:

١ـ حزب أفغانستان الإسلامي بزعامة عبد الرحيم نيازي ، وتوفي بمرض مزمن ، وتعاقب على زعامته عدد من الشباب ، الذين اغتيلوا جميعا إما بيد السلطة أو بأيدي عناصر ماركسية متطرفة ، إلى أن تزعمه مولوي حبيب الرحمن الذي استشهد في إحدى المعارك داخل أفغانستان فخلفه قلب الدين حكمتيار(٤٤).

٢ـ حركة الإنقلاب الإسلامي وأسسها بعد انقلاب محمد داود سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م مولانا محمد نبي محمدي ، والذي كان رئيسا لجميعة خدام الفرقان معلنا بذلك جهاده المسلح ضد الحكومة القائمة.

---

(٤٢) مجلة صوت الجهاد ـ مجلة اسلامية شهرية تصدرها جمعية أفغانستان الإسلامية. العدد الأول صفر ١٤٠١هـ. ص٤ و١٨ بتصرف.

(٤٣) مجلة المختار الإسلامي العدد ٩ السنة الأولى ١٥ ربيع ثان ١٤٠٠هـ. ص٣٣.

(٤٤) المصدر السابق ص٢٤. وانظر مجلة الموقف ـ يصدرها الحزب الإسلامي الأفغاني ص٨ـ١٣ العدد٢٣ رمضان ١٤٠١هـ/ أغسطس ١٩٨١م.

٣ـ الحزب الإسلامي الأفغاني ـ إنشق عن الحزب الإسلامي الذي يقوده حكمتيار ، إثر اختلاف قائده محمد يونس خالص ، وهو عالم كبير في السن ، مع حكمتيار على قيادة الأخير لحزبه من باكستان. وترتب على ذلك خروج محمد يونس مع جماعته ، ليواصلوا جهادهم من داخل الأراضي الأفغانية محتفظين لأنفسهم بالإسم نفسه.

٤ـ الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان : وزعيمها صبغة الله مجددي ، الذي ينتمي إلى عائلة مجددي ذات الإقطاعات والنفوذ الواسع في أفغانستان ، والتي أمعن فيها محمد داود تقتيلا حتى كاد أن يبيدها مع مصادرة جميع أملاكها ، فعاد إليها بعد انقلاب تراقي ، وأسس جبهته التي ترفع شعارات إسلامية ولكنها تؤمن في الوقت نفسه بضرورة التلاحم بين مختلف القوى الوطنية في سبيل التحرير مهما كان اتجاهها.

٥ـ الجبهة الشعبية الإسلامية الأفغانية (المعاز الوطني الإسلامي) : ومؤسس هذه الجبهة هو سيد أحمد جيلاني وينتمي إلى عائلة كبيرة ذات نفوذ كبير مرت بنفس ظروف عائلة مجددي ، هرب إلى باكستان وأسس جبهته التي تشبه إلى حد كبير جبهة مجددي في منطلقاتها وأهدافها(٤٥).

التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان :

واجه الشعب الأفغاني المسلم الحكم الشيوعي والغزو الروسي لبلادهم بإيمان صادق وقوة عظيمة برجاله ونسائه ، بكباره وصغاره ، بمنظماته وقياداته ، ومن ورائه الشعوب الإسلامية ، وكان الناس ينتظرون من المنظمات أن تقف صفا واحدا لمواجهة العدو وخاصة بعد التدخل الروسي السافر ، فأصبح توحيد صفوف المجاهدين عملية ضرورية لمواجهة العدو ولاتخاذ تخطيط واحد من قبل المنظمات.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠١هـ وقعت المنظمات الإسلامية الستة على صيغة مؤقتة للإتحاد ورئيسا مؤقتا إلى أن يتم وضع التدابير الأخيرة والدائمة. وكان الرئيس المؤقت الذي اختاروه الأستاذ برهان الدين رباني رئيس الجمعية الإسلامية الأفغانية ، وأصبح اسم هذا الاتحاد : «التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان» ولكن بعد أربعين يوما انسحبت إحدى المنظمات وهي الحزب الإسلامي الذي يقوده المهندس : قلب الدين حكمتيار. وأعلنت المنظمات الخمس الباقية الصيغة

(٤٥) أعلام المجاهدين في أفغانستان ص٤٦.

النهائية للإتحاد ،وتم انتخاب مجلس شورى ثوري مركزي مكون من ٣٥ عضوا. انتخب بدوره الأستاذ / سياف كرئيس أعلى للتحالف نظرا لتاريخه المشرف في الدعوة الإسلامية وعلمه وصلاحه وجهاده.

ورغم جهود الأستاذ سياف المخلصة في محاولة لم شمل المجاهدين وتوحيد قواهم إلا أنه ظهرت بعض الخلافات الشخصية وبدأت بعض الأحزاب تنسحب من التحالف وتفكك التحالف وأصبحت كل منظمة مستقلة بذاتها.

وهنا تحرك علماء الأفغان من أجل توحيد هذه المنظمات فتكون مجلس من العلماء عرف باسم : « مجلس علمائي داعيون إتحاد إسلامي » أي مجلس العلماء الداعين للإتحاد الإسلامي.

وفي جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ اجتمع ٣٠٠ عالم من هؤلاء العلماء (نيابة عن الشعب الأفغاني المجاهد) وكتبوا منشورا من ١٠٣ مواد طالبوا فيه بالإتحاد الكامل بين المنظمات الستة تحت قيادة واحدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وبناءا على هذا المنشور بدأت اتصالات بين زعماء المنظمات وبين مجلس العلماء الداعية للإتحاد الإسلامي حصلوا فيها على موافقة زعماء الأحزاب على الإتحاد.

وفي رمضان سنة ١٤٠١هـ عقد اجتماع كبير في الجامعة الأشرفية ببشاور حضره العلماء والداعون للإتحاد الإسلامي ، ووفد يمثل علماء المدينة المنورة والجامعة الإسلامية بها ، ورؤساء المنظمات الستة أو من ينوب عنهم ، وبعض أعضاء مجلس الشورى من كل حزب وعدد من المجاهدين والمهاجرين. وفي نهاية الإجتماع إتفق الأطراف على تكوين :

« الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان ». وعلى تكوين مجلس أعلى للإتحاد يمثله عشرة أعضاء من كل منظمة من بينهم رئيس المنظمة ، وأن تكون رئاسة المجلس الأعلى بالتناوب ، وبناءا عليه تكون المجلس الأعلى من خمسين عضوا عن خمس منظمات ، حيث خرج من الإتحاد المعاز الوطني الإسلامي بقيادة أحمد كيلاني. وفتح أمامه باب الإتحاد. وانعقدت أولى جلسات المجلس بعد ذلك بشهر ، وفي هذه الجلسة سلمت جميع الاختصاصات للمجلس الأعلى للإتحاد الإسلامي كقائد لحركة تحرير أفغانستان.

واتخذ الاتحاد علما واحدا لونه أبيض مكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ». وتحتها عبارة « اتحاد إسلامي مجاهدين أفغانستان ». وقد أرسل هذا الاتحاد

وفدا من أعضائه إلى داخل أفغانستان لتوحيد صفوف المقاومة(٤٦).

واستطاع القادة تنسيق أمورهم الجهادية في الساحة العسكرية إلى حد كبير ، وهناك تعاون مستمر بين قادة الجهاد العسكري رغم وجود التشتت في قياداتهم السياسية خارج أفغانستان. وأمير الجهاد هو عبد رب الرسول سياف.

ردود الفعل العالمية للغزو السوفييتي :

تجاوبت كثير من البلدان الإسلامية مع أفغانستان قولا وعملا حسب طاقاتها ، في حين اعترف بعضها بحكومة كابول ، واعتبرتها حكومة ثورية وتقدمية واشتراكية ، وبارك بعضها الغزو السوفييتي ورحبت به ، ووصفته بأنه تعاون بين نظامين ثوريين(٤٧).

وقد عقد المؤتمر الطارىء لوزراء خارجية الدول الإسلامية في إسلام آباد عاصمة باكستان (رجب ١٤٠٠هـ/فبراير ١٩٨٠م) لبحث قضية أفغانستان واشترك في هذا المؤتمر الشيخ برهان الدين رباني أمير الجمعية الإسلامية الأفغانية كناطق رسمي لجميع المنظمات الإسلامية الجهادية ، والقى خطابا بين فيه الجرائم التي ارتكبتها القوات الروسية ، وطلب من أعضاء المؤتمر أن يقطعوا علاقاتهم الدبلوماسية والإقتصادية مع الإتحاد السوفييتي ، وأن يعترفوا بالمجاهدين كممثلين شرعيين للشعب الأفغاني ، وأن يساعدوهم بالدعم المادي والمعنوي من أجل استمرار جهادهم.

واستنكر المؤتمر العدوان الروسي ، وشكلوا وفدا من إيران وباكستان ورئيس منظمة المؤتمر الإسلامي للتفاوض مع كابل وموسكو ، ولكن الإتحاد السوفييتي رفض استقبال الوفد و لم يعترف به.

وفي المؤتمر الحادي عشر في العام نفسه (شعبان ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م) نشط المتعاونون مع النظام الشيوعي الروسي فاتخذت الدول الإسلامية المعارضة للعدوان الروسي أسلوبا دبلوماسيا بتخفيف الإستنكار والإكتفاء بتشكيل لجنة ثلاثية مكونة من وزراء خارجية باكستان وإيران وأمين منظمة المؤتمر الإسلامي لحل قضية أفغانستان.

واشترك الأستاذ عبد رب الرسول سياف كناطق من قبل المجاهدين وألقى

(٤٦) أحمد قنديل ـ مذكرة في حاضر العالم الإسلامي ص٥١-٥٣.

(٤٧) مجلة الدعوة العدد ٤٨ ص٩.

خطابا باسمهم في مؤتمر رؤساء الدول الإسلامية الثالث في مكة (ربيع الثاني ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م).

وكذلك اشترك الشيخ برهان الدين رباني كناطق رسمي باسم المجاهدين في مؤتمر القمة الإسلامية في الدار البيضاء بالمغرب عام ١٤٠٤هـ.

وقامت وسائل الإعلام السعودية بما يجب عليها من شرح القضية ، ومؤازرتها.

أما المحافل السياسية الغربية وصحفها فقد كانت كثيرة الاهتمام بهذه القضية ، واستنكرت مافعله الروس في أفغانستان وحذرت العالم من نياتهم التوسعية الإستعمارية.

وعرضت المسألة على هيئة الأمم المتحدة لأول مرة (ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وأتخذت عدة قرارات لصالح أفغانستان ، وظهر فيها تفهم أحداث أفغانستان لدى القسم الأعظم من الدول. فقد أدانوا التدخل السوفييتي بصراحة ، وطالبوا بانسحاب الجيوش الروسية من أفغانستان ، وأعربوا عن احترامهم التام لسيادة هذه البلاد واستقلالها ، وأكدوا على حق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره بنفسه.

أما الإتحاد السوفييتي فقد برر تدخله بالأسباب الرئيسية التالية :

١- إن دخول جيوش أجنبية أفغانستان ، اقتضته الهجمات المسلحة التي حرضت عليها الامبريالية والرجعية ضد حكومة الجمهورية الديمقراطية الأفغانية ، وأن وجود الجيش الروسي كان أمرا حيويا لضمان سيادة واستقلال الشعب الأفغاني.

٢- إن هذا التدخل جاء استجابة لطلب تقدمت به الزعامة الأفغانية مرة بعد مرة وفقا لنصوص معاهدة الصداقة المعقودة بين الإتحاد السوفييتي وبين أفغانستان في ديسمبر. كما أن تصرف الإتحاد السوفييتي جاء وفقا للمادة **٥١** من ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالدفاع عن الحقوق الفردية والجماعية لكي لا يسمح لأفغانستان بأن تغدو رأس جسر لإعداد اعتداء إمبريالي على الإتحاد السوفييتي.

٣- إن الجيوش الروسية لم تشترك بالإنقلاب الحكومي الأفغاني الأخير وأن وجودها في أفغانستان أمر يخص الإتحاد السوفييتي وأفغانستان وحدهما.

ولم تقنع هذه التبريرات أحدا ، فقد أثبتت المناقشات زيفها وافتراءها وتناقضها(٤٨).

---

(٤٨) ناصر الدين شاه ص٥٨.

وأما باكستان فرأت أن من واجب الهيئة العامة أن تصدر نداء جماعيا يتضمن مايلي :

١- إنسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان فورا وبلا شرط.

٢- إيجاد ظروف مناسبة يستطيع معها الشعب الأفغاني أن يقرر مصيره بنفسه من غير تدخل خارجي أو إملاء إرادة عليه.

٣- إحترام سيادة أفغانستان وسلامة أرضها واستقلالها.

٤- إيجاد ظروف مستقرة وهادئة في أفغانستان تسمح للاجئين بالعودة إلى بلادهم مختارين في ظروف أمن على حياتهم وكرامتهم ، وعلى هيئة الأمم أن تستمر في مساعدتهم ، لتمكنهم من التغلب على الحياة القاسية التي يحيونها إلى أن يعودوا إلى وطنهم(٤٩).

وعلى كل فإن قرارات الهيئات والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة قد خبرها العالم كله ، ولم تعد تحظى بتنفيذ الدولة التي صدر القرار ضدها ، والأمثلة كثيرة في فلسطين وأرتيريا وكشمير وغيرها. ولذا فواجب المجاهدين الأفغان الا يركنوا إلى الأمم المتحدة لحل قضاياهم. وواجب المسلمين أن يقفوا مع المجاهدين المسلمين الأفغان يشدون أزرهم ليتجاوزوا المحنة.

كما ويجب أن ندرك أن أمريكا راضية كل الرضا عن الإجراء السوفييتي تجاه الشعب الأفغاني ، لأن ذلك يحقق لها القضاء على المجاهدين أو اضعافهم على الأقل ،وهم الذين يمثلون جزءا هاما من الصحوة الإسلامية العالمية المعاصرة ، والتي تعتبرها أمريكا أخطر مايهدد الحضارة الغربية الآفلة ، دون أن تغمس يديها في دماء المجاهدين ، حتى لاتزداد كراهية المسلمين لها ، وفي الوقت نفسه فإن هذا الغزو الهمجي يشيع الذعر في قلوب الحكومات الضعيفة ، فتكون النتيجة إرتماء تلك الحكومات في أحضان أمريكا لحمايتها(٥٠).

السياسة الشيوعية في أفغانستان :

بلغ عدد الجيش السوفييتي الذي غزا أفغانستان أكثر من ١٢٠ ألفا ، وتم تدمير حوالي ٦٠٪ من القرى حول المدن تدميرا كاملا ، لإجبار سكانها على الهجرة ، وازداد عدد اللاجئين من الأطفال اليتامى ، والنساء الأرامل ، والشيوخ

(٤٩) نفسه ص٦٢.

(٥٠) مجلة الدعوة العدد ٤٨ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ/ وانظر مجلة البلاغ العدد ٨٢ ص٥٠.

الكبار(٥١). ولما كان المجاهدون يعانون قلة الأطباء ، فقد وصلهم بعض الأطباء والفنيين الغربيين الذين يعملون في مؤسسات صليبية منظمة ، أهدافهم تنصيرية واضحة(٥٢). فتتجمع بذلك على الساحة الأفغانية المسلمة المخططات الشيوعية والرأسمالية الصليبية والصهيونية.

وتبنى السوفييت أساليب جديدة في الإرهاب ، فاستخدموا طائرات الهليكوبتر والمظليين للقيام بغارات سريعة ، على غرار تلك التي كانت تقوم بها القوات الأمريكية في حرب فيتنام. ومن الأمور المزعجة للمجاهدين النشاطات التي تقوم بها المخابرات الحكومية للكشف على مواقعهم بسرعة ثم مهاجمتها. وأخذ السوفييت مئات الأطفال الأفغانيين إلى داخل روسيا لتلقينهم سياسيا(٥٣). وكلما اكتظت السجون الأفغانية بالأسرى من المجاهدين ، نفذ الشيوعيون أحكام الإعدام في أعداد هائلة منهم ، وتم تنفيذ الإعدام بصورة بشعة أمام زملائهم بالفؤوس التي يستخدمها الجلادون المأجورون كعشماوي الجلاد الذي استقدم من موسكو لهذا الغرض(٥٤).

وأما **السياسة الشيوعية في داخل أفغانستان** فنلخصها فيما يلي :

عملت الشيوعية السوفيتية (كعادتها في البلاد الإسلامية التي استولت عليها بالقهر) على تمييع الشخصية الإسلامية من الناحية الفكرية والإجتماعية فقامت بمايلي :

١- إلغاء مناهج العلوم الدينية في المدارس في مراحلها المختلفة ، وذلك لأن المدرسة تعتبر أحد عوامل تكامل الشخصية. وقد نجح الشيوعيون في أخذ زمام أمور التدريس والتربية. وعملوا على أن يضلوا الآلاف من أبناء المسلمين ويصرفوهم عن دينهم وتراثهم.

٢- إنشاء المدارس لتعليم الكبار : لتضليل الفلاحين والعمال والحرفيين فقد خدعوهم بأنهم يريدون أن يعلموهم القراءة والكتابة ، ووصلوا إلى حد أن أجبروا النساء والفتيات على الخروج من بيوتهن لحضور هذه الفصول الدراسية التي غايتها

---

(٥١) المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ ، الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ /١٢ مارس ١٩٨٥م ص٥.

(٥٢) المسلمون العدد ٣٦ ، النفير العام العددان ١٥،١٦ السنة ٣ربيع الثاني - جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

(٥٣) الشرق الأوسط (عن النيوزويك) ص٨ الأحد ١٩٨٤/١٢/٢م.

(٥٤) المسلمون العدد٣٦ ١٩٨٥/١٠/١٢م ، وانظر العدد ٣٥ ص٦-٧ والعدد ٣٧ ص١٢-١٣.

تلقين الشيوعية والإلحاد.

٣- إستغلت الشيوعية وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة لبث أفكار الشيوعية ، فنشرت الشائعات والدعايات الكاذبة ضد المباديء الإسلامية والمجاهدين لتخلق هوة بين المجاهدين ومواطنيهم.

وفرضت الحكومة على جميع القطاعات الحكومية أن تخصص نصف ساعة يوميا لتدريس العلوم السياسية ، وخاصة النظرية الماركسية اللينينية.

٤- جعلت تعليم اللغة الروسية إجباريا في جميع المراحل المدرسية والقطاعات العسكرية والمدنية ، وخصصت المكافآت لمن يجيد هذه اللغة لتوظيفهم في المناصب العالية وزيادة رواتبهم.

٥- قامت بإرسال آلاف من أطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ٧و١٠سنوات للقيام بعمل غسيل مخ لهم ، وتربيتهم تربية إلحادية لمدة لاتقل عن ستة أشهر ،وقد تصل إلى عشر سنوات. وهناك أكثر من ٢٠ ألف طالب أفغاني في الإتحاد السوفييتي لهذا الغرض(٥٥).

٦- حاولت بذر الخلافات القومية والقبلية في المجتمع الأفغاني المسلم. فأرسل الجواسيس للتفريق بين القبائل (الباشتو والتاجيك وغيرهما) وإغراء بعض ضعفاء الإيمان ليثيروا العداوات والفرقة. وقد أثرت هذه الدسائس على بعض العامة الجهلة(٥٦).

لقد انقضى مايقرب من تسعة أعوام على الغزو الشيوعي لأفغانستان ولا زال الجهاد الأفغاني مضرب المثل ، وكلما ازدادت الشيوعية ضراوة وتخريبا لمدن وقرى أفغانستان ازداد الجهاد صبرا وجلدا ، فقدم الأفغانيون أكثر من مليون ونصف شهيد(٥٧) ، فأحيوا بذلك معنى الجهاد في نفوس المسلمين ، وقد تحركت الروح الإسلامية في مئات من شباب المسلمين في البلاد الإسلامية الخاضعة للروس وسقطوا شهداء بعد أن رفضوا مقاتلة إخوانهم في أفغانستان. وأخذت القوات الروسية بالانسحاب داعمة حكم عميلها نجيب حيث بقي الجهاد مستمرا وقد تجاوز عدد المهاجرين الخمسة ملايين نسمة ، ثلاثة ملايين في باكستان ، ومليونان

---

(٥٥) صحيفة الأخبار المصرية - محمد حسن صابر - الاصرار على سباق الماراثون الأفغاني. العدد ١٠٢٨١ (١٠شعبان ١٤٠٥هـ/ ٣ابريل ١٩٨٥م) القاهرة.

(٥٦) وقد حذر المجاهدون الشعب الأفغاني مغبة ذلك.

(٥٧) انظر السيل الأحمر في بلوجستان - اعداد نصر الله خان ص٣.

في إيران. وأغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال. وانضم ٩٠ ألفا من الجنود والضباط المسلحين إلى المجاهدين. وتحكم المجاهدون في نحو ٨٥٪ من أراضي أفغانستان. وفي هذا العام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م تتوارد الأنباء عن قرب سقوط كابل بيد المجاهدين.

هذا وقد تم عقد مؤتمر جنيف لبحث القضية الأفغانية باتفاق روسيا والولايات المتحدة ، وحضره مندوبون عن الحكومة الأفغانية الشيوعية ، وعن باكستان في ١٩٨٨/٣/١٤م ، ورفض المجاهدون حضوره ، وقد نصت الاتفاقية على إنشاء حكومة ائتلافية من المجاهدين والشيوعيين ، وإغلاق الحدود مع باكستان ، وعودة المهاجرين.

واقترح مبعوث الأمم المتحدة على إثر ذلك وقف إطلاق النار في أفغانستان ، وتشكيل حكومة ذات قاعدة موسعة تختار مجلسا شعبيا (لوى جركا) يقرر شكل الحكومة الدائمة ، ويختار أعضاءها.

وقد رفض المجاهدون ذلك لأنها تؤدي إلى فرض عناصر ليس لها علاقة بالجهاد. وقرروا تشكيل حكومة مؤقتة اختاروا لرئاستها: (مهندس أحمد شاه) من أبناء الحركة الإسلامية الأوائل ، وذلك يوم ١٩٨٨/٣/١٧م بإجماع الأحزاب الإسلامية السبعة التي تكون منها إتحاد المجاهدين(٥٨). واستمرت حركة الجهاد والتصميم على إقامة الحكومة الإسلامية ، وقد يكون الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق قد ذهب ضحية ذلك في انفجار طائرته مع ثلاثين من قادة باكستان يوم ١٩٨٨/٨/١٧م.

وقد أخذت القوات السوفيتية تتلكأ في الانسحاب من أفغانستان نتيجة للضربات الموجعة التي كالها المجاهدون للقوات الشيوعية الحاكمة. وبدأ الخطر يلوح من جهة باكستان بنجاح حزب الشعب الباكستاني بزعامة بنازير بوتو في

---

(٥٨) أخبار الجهاد في أفغانستان العدد ١٩٨٨/٢/١٨م - ١٩٨٨/٣/١٧م ، ١٤٠٨/٧/١هـ - ١٤٠٨/٧/٣٠هـ.

وقد نشرت مجلة أفغانستان النص الكامل بالعربية لاتفاقيات جنيف بين باكستان وحكومة أفغانستان الشيوعية بإشراف الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يوم ١٤ إبريل ١٩٨٨م العدد ١١أغسطس ١٩٨٨م / ذو الحجة ١٤٠٨هـ ص٣١-٣٩.

الانتخابات يوم ٨ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨/١١/١٧م. والحزب ذو اتجاه اشتراكي كما أن بنازير من الباطنية وهي من أعداء الجهاد الأفغاني(٥٩). وهذا ينذر بالأخطار على عمليات الجهاد المستمرة. كما أخذ المجاهدون يجتمعون بالإتحاد السوفييتي في باكستان والطائف بالمملكة العربية السعودية في محاولات للتوصل إلى حل تنسحب فيه قوات الإتحاد السوفييتي.

وقد انسحبت القوات الروسية بالفعل قبل الوقت المحدد وهو ١٤٠٩/٧/٩هـ ١٩٨٩/٢/١٥م .وبقي علي المجاهدين أن يقابلوا الواقع الجديد ويحافظوا على توازنهم وإنجازاتهم . وعلى العالم الإسلامي مساعدتهم في إقامة دولتهم الإسلامية لتعود أفغانستان قلعة من قلاع الإسلام الحصينة.

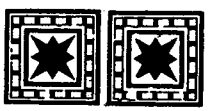

(٥٩) انظر تدخل السيل الأحمر في بلوجستان ص١٤-١٥.

الفصل الخامس
المسلمون في أندونيسيا

تعني أندونيسيا جزر الهند الشرقية ، وعرفت عند العرب والمسلمين باسم بلاد المهراج أو الجاوى(١). وهي عبارة عن أرخبيل عظيم في جنوب شرق آسيا يبعد طرفها الشرقي عن طرفها الغربي بقدر ماتبعد لندن عن الخليج العربي(٢) فهي أكبر أرخبيل (مجموعة جزر في العالم). وتضم ١٣٦٧٧ جزيرة صغيرة منها ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة. وتنقسم إلى مجموعات هي :

أ- مجموعة جزر صندا الكبرى وهي تشمل :

١- جزيرة جاوة ومادورة ومساحتها ١٣١ ٥٠٠ كم٢ ، ويبلغ طول جاوة ألف كم من الغرب إلى الشرق ، ويتراوح عرضها بين ١٠٠ إلى ١٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب(٣). وبجانبها جزيرة مادورة ولا يزيد عرض المضيق الذي يفصل بين جاوة عن مادورة على ٢ كم فقط.

٢- جزيرة سومطرة وهي من أعظم الجزر العالمية ، يفصلها عن الملايو مضيق ملقا وعن جاوة بوغاز الصوند ، ويصل طولها إلى ١٧٦٥ كم وأما عرضها فيتراوح بين ١٦٠ كم و٤٠٠ كم. وتبلغ مساحتها ٤٣٠ ٠٠٠ كم٢(٤).

٣- جزيرة كاليمنتان (بورنيو) : وهي أكبر جزر الأرخبيل ، من بلاد خط الإستواء ، وتبلغ المنطقة الأندونيسية منها ٥٣٢ ٤٣٠ كم٢ في حين تبلغ مساحتها كلها ٧٤٦ ٠٠٠ كم٢(٥).

٤- جزيرة سولاويزي - وكانت تسمى سيلبس ، وتبلغ مساحتها ١٨٥ ٠٠٠ كم٢(٦). وهي من أغرب جزر العالم في شكلها.

ب- مجموعة جزر صندا الصغرى وأشهرها بالي الجميلة ولومبوك وسومبارا وسومبا وفلورسي وتيمور.

---

(١) اطلق عليها المسعودي هذا الإسم (حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٣٤٦). وكذلك ابن خرداذبة وأبو الفدا (حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٧). أندونيسيا اليوم العدد الثالث ١٩٧٩م ص٢.

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ص١٥.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٢.

(٤) نفسه ج١ص٣٥٢.

(٥) نفسه ج١ص٣٥٧. ، تقويم العالم الإسلامي ص٢٣٤.

(٦) نفسه ج١ص٣٥٥.

ج- مجموعة جزر مولوكي وتمتد حتى الفلبين وكانت تعرف باسم جزر التوابل. وأكبر جزرها جزيرة هالماهيرا وهي غريبة الشكل كسولاويزي.

د- القسم الغربي من جزيرة غينية الجديدة المعروفة باسم إيريانا الغربية ومساحة هذا الجزء ٣٩٧ ٠٠٠ كم٢(٧). والجزء الآخر الواقع تحت الإنتداب الإنجليزي الأسترالي مساحته ٣٧٢ ألف كم٢.

وتبلغ مساحة هذه الجزر جميعا أكثر من ٢ مليون كم٢. بينما تبلغ مساحة مياهها أربعة أضعاف اليابسة منها.

ويحدها من الشمال بحر الصين الجنوبي ، ومن الشمال والشرق المحيط الهادي ، كما يحدها المحيط الهندي من الجنوب والغرب ولذلك كان يطلق عليها **نوسنتارا** (أي الجزر بين المحيطين). فهي في موقع متوسط بين آسيا وأوقيانوسيا (استراليا). وتتميز بغزارة الأمطار والرطوبة العالية والحرارة المرتفعة يلطفها وضعها الجزري ، لامتدادها على جانبي خط الأستواء ، وتقل أمطارها عموما كلما اتجهنا جنوبا حيث يظهر أثر الصحراء الأسترالية(٨) ، وتقع في أوساط الجزر الكبيرة سلاسل من الجبال مكسوة بغابات كثيفة تغطي - مساحة الأرض الأندونيسية ، ويستفاد منها الأخشاب(٩) ومعظمها من النوع الثمين ، كما تتميز بكثير من البراكين النشطة والخامدة التي تسبب وجود التربة البركانية الخصبة التي تنقلها الأنهار من المناطق الجبلية إلى السهول والمنخفضات الزراعية الغنية. فحملت اسم الجزر الخضراء(١٠).

والبلاد غنية بالمطاط الطبيعي فهي ثانية دول العالم إنتاجا له بعد الملايو ، كما أنها ثانية دول العالم في إنتاج القصدير ، وتشتهر بالبترول ، وبقصب السكر والأرز والشاي والبن والذرة وزيت النخيل والفول السوداني والبطاطا ، وفول الصويا والتوابل والأفاويه والقرنفل والقرفة والفانيليا والكينا والكنين وجوز الهند والكاكاو(١١).

---

(٧) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٧.

(٨) تقويم العالم الإسلامي ص٢٣٥.

(٩) نفسه ص٢٥١. ، أندونيسيا اليوم العدد ١٩٧٩/٣ ص٢.

(١٠) أندونيسيا اليوم - وزارة الإعلام - جمهورية أندونيسيا.

(١١) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٦.

وتشتهر بصيد السمك ، ومن المشاكل التي تعترض اقتصادها وتجعلها فقيرة رغم إمكانياتها الهائلة (كشأن البلاد الإسلامية والعالم الثالث) اعتمادها على إنتاج الأصناف التجارية اللازمة للأسواق العالمية(١٢). بمعنى أن مواردها موجهة لخدمة السوق الصناعي في البلاد الإستعمارية فهي مخزن هام للمواد الأولية الزراعية والغذائية والتوابل.

سكان أندونيسيا ولغتهم :

يصل عدد سكانها حاليا حوالي **١٥٠**مليون نسمة ، يعيش أكثرهم (حوالي ٦٥٪) في جزيرة جاوة وجزيرة مادورة في مساحة تقل عن ٧٪ من جملة المساحة الكلية لأندونيسيا ، ولذلك فهناك مشكلة توزيع السكان. ويزيد عدد السكان بنسبة ٢,٧٪ سنويا(١٣).

ويؤلف المسلمون حوالي **٩٥**٪ من السكان ، كما يمثل النصارى **٣**٪ والباقي من البوذية والهندوكية والوثنية البدائية التي لاتزال بين القبائل المنعزلة(١٤) في وسط بعض الجزر النائية. فهي بذلك أكبر دولة مسلمة بالنسبة لعدد السكان.

ويعود السكان إلى الجنس الملاوي الذي ينتشر في الجزر المجاورة أيضا كالفلبين والملايو وحتى مدغشقر في أفريقيا. وهناك أقليات صينية وهندية وعربية (خاصة من حضرموت) وأوروبية(١٥). وهناك عنصر آخر : الزنوج أول من سكن البلاد وبشرتهم سوداء وقامتهم قصيرة ولايزالون يحيون حياة بدائية يعيشون في الغابات ويمتهنون صيد الحيوانات والتقاط الثمار ، وبيوتهم من غصون الأشجار ويسترون عوراتهم بأوراقها. ومن المدن الكثيفة السكان في جاوة : جاكارته ، وسورأبابا ، وباندونج ، وسيمارانغ ومالانغ وجوجكارتا. ومدن : ميدان وبالمبانغ وبادانغ في سومطرة. وبنجرماسين في بورنيو ،وماكاسار في سليبس (سولاويزي).

وتتعدد اللغات واللهجات في أندونيسيا فهي تتراوح بين **١٥٠و٢٥٠** لغة ولهجة ، واللغة الرسمية الحالية هي : **باهاسا أندونيسيا** ، التي ترجع إلى اللغة المالاوية ، وتشمل كثيرا من اللهجات الأندونيسية ، وكلمات هولندية وعربية

---

(١٢) نفسه ص٢٤٧.

(١٣) اللواء علي مورتوفو - بعض الأفكار الأساسية ص٣٨.

(١٤) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٠.

(١٥) نفسه ص٢٤٠. ، أندونيسيا اليوم ص٣ العدد ١٩٧٩/٣م.

وسنسكريتية ، وتعتبر اللغة الإنجليزية الثانية في البلاد وتدرس في المدارس الثانوية(١٦).

وكانت الأندونيسية تكتب بحروف عربية ، ولكن الإستعمار الهولندي أحل محلها الحروف اللاتينية. وبقيت العربية عند كثير من المثقفين وطلبة العلم.

دخول الإسلام إلى جزر الهند الشرقية :

لا يُعرف وقت بدء دخول الإسلام إلى هذه الديار بالدقة ، ولكن الأرجح أن الإسلام وصلها في القرون الهجرية الأربعة الأولى عندما ملك المسلمون ناصية تجارة المحيط الهندي(١٧). فكان الدعاة والتجار جنبا إلى جنب. والتجار أنفسهم كانوا دعاة إلى الدين الحنيف. فدخل سومطرة من شبه جزيرة العرب ، والهند ، وشواطيء المالابار، والدكن. فقد تنازل السلطان محمد ، سلطان ولاية مالابار في الهند عن العرش لابنه وأبحر إلى سومطرة وهناك عرض على أميرها الإسلام فأسلم وسمي بالملك الصالح وأخذ ينشر الإسلام في سومطرة وكانت أول مملكة إسلامية في تلك الجزر. وكانت علاقة سلاطين هذه المملكة حسنة مع سلطنة دهلي الإسلامية ، ومع فارس ، فابن بطوطة الذي زارها عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م ذكر أنّ من العلماء المقربين إليه إثنين من بلاد فارس ، أحدهما من شيراز والآخر من أصفهان(١٨).

أما العرب الذين وصلوا دعاة وتجارا إلى سومطرة وجاوة فقد حصلوا على احترام عظيم من الأهالي ، ونفوذ كبير ، لا سيما السادة والأشراف. فقد تباهى

(١٦) أندونيسيا اليوم العدد (٣٠) ص٣ عام ١٩٧٩م.

(١٧) انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٦. ، أندونيسيا اليوم ص٣ العدد٣٠/١٩٧٩. وهناك شواهد تدلنا على أن الدعوة الإسلامية قد ظهرت وابتدأت في الجزر الأندونيسية والأرخبيل الماليزية سنة ٦٠٣م/٩هـ ، توجد في صحيفة من صفحات الكتاب الصيني تقول : إن مملكة تسمى توشي في أرخبيل أندونيسيا قد أبرمت معاهدة مع البلد الصيني ابتداء من سنة ٦٠٣-٦٥٥م فكلمة توشي هي كلمة يطلقها الصينيون على جماعة المسلمين. صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي - تاريخ مجيء الإسلام إلى أندونيسيا وماتبع ذلك من مراحل. بقلم د.حسين عزمي ، ترجمة هارون علي، أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦محرم ١٤٠٦هـ. وقد تبين أن المسلمين أرسلوا الوفود إلى مملكة ماجاباهيت زمن معاوية رضي الله عنه ، وزمن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)، وزمن سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) ، كما ازدادت الصلات زمن هارون الرشيد فوصل الدعاة إلى البلاد مع التجار. انظر (Sejarah Ummat Islam IV ,pp54-55)

(١٨) أمير سيد الشيرازي وتاج الدين الاصبهاني - تحفة النظار ج٢ص٧٠٦ انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٧.

أمراء الأهالي وملوكهم المسلمون بالتقرب إليهم بالمصاهرة ، وكثير من أبنائهم أصبحوا سلاطين وأمراء(١٩). وكانت مملكة ديماك أول سلطنة عربية في جاوة(٢٠). ومن سومطرة وجاوة امتد الإسلام إلى بقية الجزر الأندونيسية. وأخذ الأمراء المسلمون ينشرونه بالفتح والجهاد ، وإرسال الدعاة ، بالإضافة إلى التجار. ففي بلدة غريزيك من بلاد سورأبايا في جاوة قبر مولانا الملك إبراهيم أحد كبار المجاهدين (ت سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م). وفي بلدة بازة قبر الأمير محمد بن عبد القادر من ذرية المستنصر العباسي **(ت سنة ٨٢٢هـ أيضا)**(٢١).

واشتهر تسعة من الدعاة ، أطلق عليهم اسم : « الأولياء التسعة » ، أو «سونن» عند الجاويين ولأهميتهم في نشر الدعوة ، وفي حركة الجهاد ، حيكت حولهم الأساطير. وهم : مولانا ملك إبراهيم : الذي أسس المعهد الإسلامي لتعليم الدين ، وإعداد الدعاة ، وتوفي عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م. ورادين رحمت : وهو الذي خطط لإنشاء مملكة ديماك الإسلامية الأولى في جاوة ، بعد أن أقنع «رادين الفتاح» إبن ملك ماجاباهيت بضرورة إنشاء سلطنة إسلامية. ومولانا مخدوم إبراهيم، والمسيح معونة ،ومولانا عين اليقين ، ورادين محمد شهيد ، والشيخ جعفر صادق ، ورادين إبن عمر سعيد ، وفتح الله الذي قاد الجهاد ضد البرتغاليين إلى وفاته عام ١٥٧٠م(٢٢).

وانتشرت الإمارات والسلطنات الإسلامية في تلك البلاد التي أصبحت ديارا إسلامية. بعد أن قضي على سلطنة ماجاباهيت البوذية (١٢٩٣-١٤٠٧م) عندما اعتنق أمراؤها الإسلام. حيث انتهت تماما عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م. وحلت محلها السلطنات الإسلامية واشتهر من الدعاة في هذه السلطنة : حسين الدين حليف سلطان ديماك العربي. ومن أشهر هذه السلطنات الإسلامية : سلطنة **ديماك**. وديماك تقع في الساحل الشمالي في جزيرة جاوة الوسطى على بعد ٤٥٠ كم من جاكارتا

---

(١٩) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٨.

(٢٠) نفسه ج١ص٣٤٥.

(٢١) نفسه ج١ص٣٦٢. ويقال أن مولانا إبراهيم مغربي الأصل ، أنور الجندي ، العالم الإسلامي ص١٢٨.

(٢٢) أنيس طه ص٣٣-٣٥. عن : **Sejarah Ummat Islam P136**

شرقا (العاصمة الحالية) ، وسميت ديماك بهذا الاسم من الكلمة العربية (ذي ماء) بمعنى المكان الذي يكثر فيه الماء ، وهي بالفعل تتكون من سهول ،ومستنقعات وحياض ،تكثر فيها الماء لا سيما في موسم المطر.

أوأنها مأخوذة من الكلمة العربية (الدموع) أو (الدمع) وذلك لما لحق بالدعاة المسلمين من الصعوبات أثناء دعوتهم لنشر الإسلام بين القوم. أو أنها أخذت من الكلمة الجاوية القديمة (داماك) بمعنى العطاء ، أو الهدية ، لأن (براوبجايا) الخامس ملك ماجاباهيت أهداها لابنه رادين الفتاح. حيث توجه إليها مع الداعية رادين رحمت الذي أسس معهدا إسلاميا هناك.

وقد مثلت ديماك مرحلة انتقالية من سيادة ماجاباهيت البوذية إلى سيادة سلطنة **ماتارام** الإسلامية. وقد استمرت هذه السلطنة من عام ١٤٧٥-١٥٤٦م. وتحملت عبء الجهاد وقادته ضد البرتغاليين ووقفت في وجههم صخرة عاتية بعد أن سقطت السلطنة الإسلامية المشهورة ملقا.

واشتهرت سلطنة ماتارام الإسلامية في أواسط جاوة ، وقد أسسها (سوتوويجايا) وحملت عبء الدعوة ، ولواء الإسلام بجاوة ، وخلفت سلطنة ماجاباهيت. وبقيت إلى القرن الثامن عشر حين سقطت تحت هجمات الهولنديين(٢٣). **وسلطنة بانتام** الجاوية الشهيرة ، **وسلطنة بونتياناك** في بورنيو وكان عليها رجل عربي اسمه الشريف عبد الرحمن ابن الشريف حسين بن أحمد القادري وقبره هناك ، وقضت على سلطنته شركة الهند الهولندية وأبقت لذريته الإسم من الملك(٢٤). **وسلطنة سانباس** وأشهر سلاطينها السلطان محمد صفي الدين وبقيت إلى القرن العشرين. **وإمارة سارفاك** في بورنيو أيضا ودخلت تحت الحماية البريطانية في القرن التاسع عشر. وسلطنة **كوتاي** في بورنيو ، قضت هولندة على استقلالها في القرن التاسع عشر أيضا(٢٥).

كما كانت إمارات مسلمة عديدة في جزيرة سولاويزي ، واشتهر من السلاطين هناك علاء الدين (ت عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م)(٢٦).

---

(٢٣) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٠

(٢٤) نفسه ج١ص٣٥٢.

(٢٥) نفسه ج١ص٣٥٣.

(٢٦) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٥.

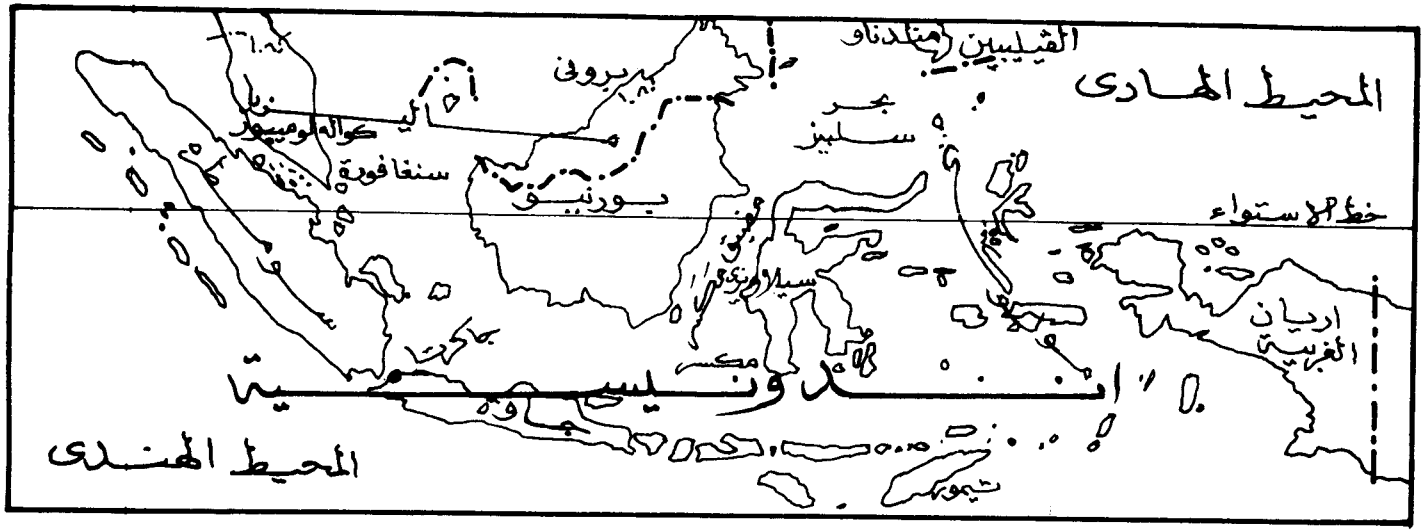

جزر الهند الشرقية (اندونيسية)

وأما أشهر السلطنات الإسلامية فهي آتشيه في شمال سومطرة التي حملت الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين ، واستمرت سندا للدعاة ترسلهم إلى جميع الجزر إلى أن سقطت عام ١٣٤٥هـ/١٩٠٧م بيد الهولنديين(٢٧). وكانت قد ازدهرت بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين ، وحاولت توحيد المسلمين في سومطرة ، وقادت حركة الجهاد ضد البرتغاليين ، وهاجمتهم ١٤ مرة ، واستولت على إمارة جهور الإسلامية في الملايو ، في سبيل توحيد الجهود المسلمة ، أمام الصليبيين ، وقد أسرت ملكها ثم أعادته إلى حكم بلاده. كما اتصلت بالدولة العثمانية من أجل توحيد الجهود الإسلامية ففي عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م اتصل سلطان آتشيه بالسلطان العثماني وطلب مساعدات حربية ، وأسلحة ، فأرسل سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) جميع أنواع الأسلحة من السيوف والحراب ، والبنادق ، والمدافع ، وأرسل إليهم عددا من صناع البنادق والمدافع. وقد استمرت العلاقات بالدولة العثمانية - دولة الخلافة - واستمر تبادل البعثات ، واستمر تدفق المتطوعين من المسلمين من آسيا الصغرى ، وبلاد الشام ، والحجاز ، ومصر إلى الجزر الإندونيسية. واشتهر عدد من العلماء في هذه السلطنة المجاهدة ، وكانت لهم مكانتهم العالية بين المجتمع(٢٨).

وقد أعجب ابن بطوطة بسلطان سومطرة المسلم الذي كان يجاهد لنشر الإسلام فقال(٢٩) : « وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك ، شافعي المذهب ، محب للفقهاء ، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الغزو والجهاد ، متواضع ، يأتي إلى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه ، وأهل بلاده شافعية محبون للجهاد ، يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على مايليهم من الكفار ، والكفار يعطونهم الجزية على الصلح ». وكانت علاقات السلطنة قوية مع البلدان الإسلامية في بقية أندونيسيا والهند ومع الدولة العثمانية.

وقد عقدت ندوة خاصة ببحث دخول الإسلام إلى الجزر الأندونيسية ، بمدينة (ميدان) بسومطرة الشمالية. واستمرت جلساتها من ١٧ إلى ٢٠ مارس ١٩٦٣م

---

(٢٧) انظر دخول الإسلام إلى الفلبين. وكان آخر سلاطينها توانغ كو محمد دافوت الذي دخل حماية هولندة سنة ١٩٠٣م. حاضر ج١ص٣٣٩.

(٢٨) انظر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ص٩٥ ، ص٣٩٠-٣٩٢.

(٢٩) تحفة النظار ج٢ص٧٠٦.

(٢١ - ٢٤شوال ١٣٨٢هـ) وانتهت إلى مايلي(٣٠) :

١- فهمنا من المصادر التي اطلعنا عليها أن الإسلام دخل إندونيسيا في القرن الأول الهجري. ومن بلاد العرب مباشرة.

٢- إن أول منطقة دخلها الإسلام هي سواحل «سومطرة» ، وأنه بعد تكوين المجتمع الإسلامي كان الملك المسلم الأول في آتشيه.

٣- إن الاندونيسيين ساهموا فعلا في الدعوة إلى الإسلام.

٤- وأن دعاة المسلمين الأوائل كان بعضهم من التجار.

٥- وأن الدعوة الإسلامية كانت سلمية.

٦- وأن الإسلام أتى بثقافة وحضارة راقية إلى إندونيسيا ، هي من عناصر تكوين الشخصية الإندونيسية الحالية.

٧- من الضروري وجود هيئة أمم تقوم بأعمال تحقيق وتصنيف تاريخ الإسلام ، بأندونيسيا بصورة أوسع ، وبصفة دائمة.

ورأينا أن تكون هذه الهيئة بميدان ، مع إنشاء فروع لها في الأماكن المهمة لاسيما في جاكارتا.

الغزو البرتغالي الصليبي :

وصل البرتغاليون ملقا عام **٩١٧هـ/١٥١١م** تحدوهم الروح الصليبية والطمع في ثروات الشرق ، وقضوا على سلطنة ملقا الإسلامية ، وخضع مسلمو الملايو للسيطرة الأوروبية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامي ، ومثل البرتغاليون الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين ، فقد بنوا حصنا في ملقا بحجارة انتزعوها من القبور الإسلامية ، ثم أقدموا على إعدام دفعات متتالية من الأهالي.

وازداد انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا كرد فعل للحقد الصليبي ، بهجرة عدد كبير من الدعاة المسلمين من الصين والهند وبلاد العرب ، واتصل المسلمون بالعالم الإسلامي وخاصة مصر والحجاز ، بالحج ، وطلب العلم فقد وفد عدد كبير من طلاب العلم للدراسة في مدن الحجاز وفي الأزهر ، فبرز الترابط العميق بين المسلمين في أندونيسيا والمسلمين في الحجاز ومصر ، وازداد بذلك رد الفعل لحركات البرتغاليين ومحاولاتهم التبشير بالكاثوليكية بالقهر والإكراه. وقامت

---

(٣٠) المدخل إلى تاريخ الإسلام ص٢٠٤.

حركات ضد النصارى وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدرا عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م وهو هرون سلطان ترنات (ترنيت) التي كانت تمتد سلطته حتى الفلبين.

ولما احتلت أسبانيا البرتغال عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠ ، إزداد ضعف البرتغال ،ولم تستطع أسبانيا أن تحل محلها ، بعد أن تحطم أسطولها على يد (فرنسيس دريك) القرصان الانجليزي عام ٩٩٧هـ/١٥٨٨م في معركة الإرمادا الشهيرة ففسحت المجال أمام القوى الأوروبية الصليبية الأخرى.

الغزو الهولندي الصليبي :

إستغلت هولندة هزيمة الاسبان على يد بريطانيا عام ٩٩٧هـ/١٥٨٨م ، فأسس تجار أمستردام بهولندة شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م ، واستطاعت السفن الهولندية أن تصل بانتام بجاوة سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ، ثم أرسلوا إرسالية أخرى تحت قيادة «فان نك» ، وأخرى بعدها ، وكسروا البرتغاليين بمساعدة الأهالي ، وأخرجوهم من جزائر الهند الشرقية.

واعترفت الحكومة الهولندية بالشركة سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢م ،ومنحتها حق احتكار التجارة في هذه المنطقة ، وأعطتها الحق في عمل تحالف وعقود مع حكام الشرق ، فأخذت الشركة تمارس سلطات سياسية وإقليمية واسعة ، كما أخذت تبسط سيادتها بالتدريج على الإمارات والسلطنات الإسلامية هناك ، وبمعاونة بعضها أحيانا(٣١).

وفي عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م ، عين «جان بيترس كون» حاكما عاما هولنديا ، وفي عام ١٠٢٩هـ/١٦١٩م سُمّيمت أول قلعة إحتلتها بجاوة - بتافيا - التي بقيت عاصمة لأندونيسيا زمن الحكم الهولندي(٣٢). وهي مدينة جاكارتا. على أن سوء الإدارة والفساد أضعفا الشركة ، فأخذت الحكومة بزمام الأمور بنفسها ، فألغت الشركة عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ، وساد الحكم الهولندي حتى عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م. وقد احتلتها بريطانيا فترة من ١٢٢٦-١٢٣٢هـ/١٨١١-١٨١٦م أثناء الحرب النابوليونية ، كما احتلتها اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية(٣٣).

(٣١) انظر مثلا : سيطرة الشركة على سلطنة سوكادانه سنة ١٧٨٦م ، بالاشتراك مع سلطان بونتياناك الذي انتشت عليه هولندة ، ولم تبق له غير الإسم. حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٢.

(٣٢) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٧٠.

(٣٣) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٢.

السياسة الصليبية الهولندية في أندونيسيا :

إتبعت الحكومة الهولندية سياسة خاصة في استغلال البلاد ، وطبقت على جاوة نظاما زراعيا عرف باسم (نظام الزراعة الإجبارية) ، وتبعا لهذا النظام كان على الجاويين أن يخصصوا جزءا معينا من أراضيهم للحكومة ،ويزرعوه بمحاصيل للتصدير (مثل البن والشاي والقرفة وقصب السكر) بتوجيه الحكومة.

وكانت مثل هذه المحاصيل تباع قسرا للحكومة بأثمان بخسة. وهذه بدورها تبيعها بأثمان عظيمة في أسواق العالم وتربح فرق سعر الشراء والبيع.

وهذا جر إلى إرهاق الناس ، بالتوسع في مساحات هذه المحاصيل المربحة ، والنقص في انتاج الحبوب ، فانتشرت المجاعات. فطالب حزب الأحرار في هولندا بإلغاء هذا النظام الزراعي ، فحل القطاع الخاص محل استغلال الحكومة. وانتقل رأس المال الهولندي بكميات متزايدة إلى جزر الهند الشرقية لاستغلال البلاد.

وأما أوضح مايمثل سياسة هولندة تجاه الإسلام والمسلمين فهو مابينه المستشرق (هورغرونيه) الهولندي ،الذي أقام في جاوة سبعة عشر عاما ، درسها تماما وتجول في بلاد الإسلام ودخل مكة والمدينة في موسم الحج متنكرا(٣٤). ونلخص آراءه فيما يلي :

---

(٣٤) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٣٩. ولد كريستيان سنوك هورجرونيه عام ١٨٥٧م لأب قسيس ، ودرس اللاهوت على أستاذ التوراة (كونن) ثم درس العربية على (دي خويه).

حضر مؤتمر المستشرقين في ليدن عام ١٨٨٣م ، وتعرف على أمين المدني الحلواني ، ثم سافر إلى جدة ، وأظهر إسلامه (إحتيالا) على رؤوس الملأ ، فدخل مكة ، ومكث فيها ستة أشهر ونصف ، واتخذ له (عبد الغفار) اسما. واختلف إلى مجالس العلماء وشيوخ التعليم ، ووطد علاقاته بكثير من علماء مكة وجاوة ، وسومطرة ، وآتشيه. وخاصة بشيخ العلماء في مكة : أحمد إبن زيني دحلان. كما وطد علاقاته بحبيب عبد الرحمن الظاهر الذي كان يطمع أن يسلطنه الهولنديون على آتشيه.

طرد من مكة لأسباب مجهولة ، وقد تكون : لبحثه وجمعه النقوش الأثرية (السامرائي ص١١٦).

وكان بارعا في تمثيل دور المسلم براعته في تمثيله دوره على إخفاء إسلامه الإحتيالي على الأوروبيين. وخدع أحد أمراء جاوة بإسلامه ، وتزوج بابنته ، وله منها أولاد أكبرهم شغل منصبا كبيرا في شرطة أندونيسيا. بل ومثل دوره على زوجته وأولاده ، فتمكن أن ينزّع الحب ، فمنحه المسلمون حبهم ، فخانهم (السامرائي ص١٢٤). فقد دخل إقليم آتشيه المجاهد ، وجمع المعلومات التي يمكن جمعها لخطط الإستعمار ، ثم أقام في بتافيا في رحلة تجسسية عجيبة تتصف بالخسة والعقوق والخيانة ، فكان تقريره الذي يفيض بغضا وحقدا ، وتحريفا وكذبا على العلماء =

١- العمل على الحد من انتشار الإسلام - فاقترح هورغرونيه وضع حد لتعيين المأمورين المسلمين في البلدان التي أهلها وثنيون ، حتى لاتساعد الدولة على نشر الإسلام بينهم بدون قصد منها. وهو ماوقع فيه الألمان بشرق إفريقيا في مستعمراتهم(٣٥).

٢- نصح بإعطاء الحرية الدينية وعدم التعرض للمسلمين في عقائدهم جهارا خوفا من الإنتقاض والإضطراب. ولكن التعرض يكون بحذر وحيطة وخفية لا مجاهرة(٣٦). وذلك أنه كان في هولندة حزبا ممالئا لجمعيات التبشير يحث الحكومة أن تحمل المسلمين على النصرانية قسرا ، فبين هورغرونيه مافي ذلك من المخاطر.

٣- كما نصح الحكومة أن لاتقيم العقبات في طريق **الحج** ، لا سيما أن مسلمي جاوة وسومطرة هم أشد محافظة على هذا الركن ، وذلك ردا على بعض النواب الهولنديين الذين يدفعون الحكومة على منع الحج أو تصعيب سبيله. فيقول :

« على الحكومة أن تسلك سبيلا وسطا ، فلا تحث على فريضة إسلامية ولا تنهى عنها. كما فعلت في الزكاة ، فقد أعلنت أنها تعتبرها من قبيل الصدقة الإختيارية فلا تحمل عليها أحدا ولا تمنعها »(٣٧).

= الذين حملوا راية الجهاد في وجه الهولنديين. فسماهم هذا الأفاق :«عصابة» وأوصى الحكومة باتباع سياسة العنف والإفناء لهم. وبين لها الطريقة لإخضاع آتشيه عام ١٨٩٢م (السامرائي ص١٢٧).

وحاول أن يلقن المسلمين كيف يكون المسلم (الخانع القابل للإستعمار) في سلسلة مقالات أبدى فيها الوجه الإستعماري التمثيلي سافرا - فقد تقمص شخصية كاتب مسلم جاوي فيقول في إحدى مقالاته : « لم ألق إلا في النادر أناسا من أهل بلدنا من كان يرى أننا جديرون بأن نتخلص من وصاية الأوروبيين التي فرضها الله علينا » (السامرائي ص١٠٩).

وانصبت خطته حول ربط المستعمرات في إندونيسيا بروابط ثقافية أوروبية بهولندا ، حتى تسلب هذه الوحدة « كل خلاف ديني من أهميته السياسية والاجتماعية » هذه الوحدة في نظره تنبثق في فكرة **الترابط الثقافي** التي تخضع العالم الإسلامي. وقصده إبدال الإسلام بثقافة أوروبية وعندها تسهل التبعية السياسية والدينية. (السامرائي ص١٠٩). فهو يمثل بالفعل سياسة الاستشراق ، وحلقة من حلقاته الخبيثة في ربط المسلمين بعجلة الثقافة الغربية إلى الخلف !!.

(٣٥) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٠

(٣٦) نفسه ج١ص٣٤١

(٣٧) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٢.

٤ـ من ناحية القضاء : ذهب إلى عدم سن قوانين مأخوذة من الشريعة الإسلامية ، بل ينبغي حمل المسلمين على القوانين الهولندية إلا مايتعلق بالأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والميراث(٣٨).

٥ـ من ناحية السياسة الدولية : ينبه جهارا وبدون محاباة إلى قطع كل علاقة سياسية بين الجاويين وسائر الحكومات الإسلامية ، وخاصة دولة الخلافة العثمانية التي يقول عنها : الخلافة ليست كالبابوية لاشأن لها في السياسة ، بل هي رئاسة سياسية ، من أراد الإعتصام بها من المسلمين لا تمكنه طاعة حكومة مسيحية(٣٩). بل يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول : على هولندة منع قناصل تركيا وكلاء دولة الخلافة من أية مداخلة كانت مع الأهالي. بل والأغرب أنه ينصح : « بمنع الإشتراك في الإعانات لسكة حديد الحجاز وعدم إباحة أية إعانة كانت لجرحى العساكر العثمانية أو لأرامل جنود الأتراك وأيتامهم ». ويحث حكومته على منع ذكر السلطان العثماني في خطبة الجمعة ، وعلى مراقبة التعليم الديني حتى لايقع فيه شيء من الدعوة إلى الإتحاد الإسلامي ، ويطلب حذف باب الجهاد من الشريعة(٤٠).

٦ـ يوصي الدولة الهولندية بالحد من هجرة الحضارمة إلى أندونيسيا ، خوفا أن ينشروا الدعوة الإسلامية وينبهوا الأهالي إلى أمور لاينتبهون إليها. ويوصي بوضع الحواجز أمام من في أندونيسيا منهم ، ومراقبة حركاتهم وسكناتهم ، وتنغيص حياتهم لحملهم على ترك تلك الديار(٤١).

٧ـ دعا إلى أن تكون أندونيسية هولندية ، وتحقيق ذلك عن طريق الترابط الثقافي أي العلم والتربية ، وإلى قيام عاطفة قومية تناهض نزعة الصلة بالعرب وبالإسلام ، فهو يأسف من مطالعة المسلمين في أندونيسيا للكتب التي تحرر في البلاد العربية والإسلامية(٤٢) ، ويرى صبغ البلاد بالصبغة الهولندية.

فعمدت هولندة إلى **اللغة** ، فأخذت تحول دون قيام لغة موحدة ، وتحول دون ارتباط هذه باللغة العربية ، عن طريق نشر اللغة الهولندية ، وجعلها أساس

---

(٣٨) نفسه ج١ص٣٤٢.

(٣٩) نفسه ج١ص٣٤٢.

(٤٠) نفسه ج١ص٣٤٣.

(٤١) نفسه ج١ص٣٤٣.

(٤٢) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٢.

التعليم في المدارس منذ المراحل الأولى ، وعملت على إبقاء تعدد اللهجات ، ولما استطاعت اللغة الأندونيسية (باهاسا هندونيسيا) أن تفرض نفسها ـ كلغة موحدة بدلا من **٢٥** لغة كان يتخاطب بها السكان وتتشعب إلى **٢٥٠** لهجة محلية ـ بواسطة الحركة الإسلامية ، وكانت تكتب بالحروف العربية ، عملت هولندة إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية في أوائل القرن العشرين(٤٣).

فقد كانت الحروف العربية هي الشائعة ، وللغة العربية مكانتها وقداستها ، فلا تؤلف الكتب إلا بها على الغالب ، وبالحروف العربية دائما ،وقد تلحق بترجماتها بلغة الملايو التي كانت تكتب بحروف عربية أيضا. وكل مسلم كان لابد له أن يتعلم قراءة القرآن ..واستمر الأمر في عهد الاستعمار الهولندي ، بل كانت العملة المتداولة (في الهند الهولندية) عليها حروف عربية بخط جميل. وكانت هولندة تصدر بلاغاتها بلغتها أولا ثم ترجمتها بالملايو مكتوبة بحروف عربية ، وكانت مطبعتها الرسمية تطبع كتب الملايوية بالحروف العربية بجانب ماتنشره بالحروف اللاتينية. كما كانت المدارس في القرى تدرس فيها الحروف العربية.

وبعد توصيات هورجورنيه ـ عمدت هولندة إلى تشجيع الإرساليات الأجنبية وفتحت المدارس الهولندية ، وشجعت حركة الإبتعاث إلى أوربا. فباعدت بذلك بين المتخرجين والإسلام والعربية. وأغرت هؤلاء بالوظائف الحكومية والمراتب والرواتب ..كما رعت هولندا الحروف الجاوية النامية من مخلفات العهد الهندوكي في جاوا الوسطى إلى جانب اللاتينية(٤٤).

كما قامت السياسة الهولندية على الإتجاه للدعوة إلى **إحياء تاريخ إمبراطورية ماجاباهيت** الوثنية القديمة ، والمغالاة في تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلاً أعلى في البطولة ، بواسطة علماء الآثار وعلماء اللغات القديمة.

٨ـ عملت هولندة على صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الإسلامي وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة(٤٥). وهذا مافعلته القوى الإستعمارية في جميع بلاد الإسلام. فقد رأى هورغرونيه أن الشعور القومي يمكن أن يكون عامل إضعاف للحركة الإسلامية ، وصمام أمن ضد قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا، وبين بقية أقطار العالم الإسلامي.

---

(٤٣) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٤٠ وص٣٠٠.

(٤٤) المدخل ص١٤٤-١٤٥.

(٤٥) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٠٠.

فقد عملت هولندا على فصل الماضي الإسلامي عن حاضر المسلمين في أندونيسيا بأن عمدت إلى **جمع المخطوطات** ، فشرعت قانونا عام ١٣٤١هـ يلزم من عنده تاريخ مخطوط ، فعليه أن يسلمه إلى لجنة خاصة أقامتها هولندا لاستلام التواريخ الإسلامية. ومن وجد عنده تاريخ لم يسلمه بعد سنتين من صدور هذا القانون يحكم عليه بالسجن أو القتل(٤٦).

ومنعت نشر التاريخ الإسلامي في إندونيسيا ، وعندما نشر محمد بن هاشم مقالات تاريخية في جريدة كانت تصدر في (سورأبايا) غضب المستر (قوني) اليهودي الهولندي الجنسية وسافر من جاكارتا إل سورأبايا ونهاه نهيا صريحا بغضب واستياء. فامتثل للأمر خوفا من قوات هولندا(٤٧).

وقام الهولنديون بحرق كثير من الكتب والمخطوطات الإسلامية كما فعل الاسبانيون والبرتغاليون الذين حرقوا كل ماعثروا عليه. وفي الوقت نفسه عملت هولندة على **إحياء قوميات قديمة** لصرف الإندونيسيين عن دينهم ، فتم العثور على مخلفات الحضارة الهندوكية بجاوة - حضارة ماجاباهيت الوثنية - يقول ك.ك.برج في هذه الكشوف :

« إن تكوين تاريخ امبراطورية ماجاباهيت أحيا لهم (للاندونوس) مجدا قديما ، يفخرون به ، وإن غلوا أحيانا في تقدير ذلك المجد ، والضرر الذي عاد على مسلمي إندونيسيا أنهم كانوا يأخذون مثلهم العليا من المسلمين ، ولذلك كانوا يقتدون بالمسلم ، سواء كان صحابيا أم غيره في كل مايتعلق بالإسلام. وهذا يربطهم دائما بدينهم دائما ، أما بعد هذه الإكتشافات فقد تغير الأمر ، واتخذ الشبان الجاويون مُثُلاً عليا في البطولة من شخصيات التاريخ الغابر العظيمة كالملك (ارلانجا) والملك (إيام وروك) و(جاجامادا) الوزير ، الذين بعثهم علماء اللغات من ثرى التاريخ بعد أن كادوا يصبحون نسيا منسيا »(٤٨).

٩- شجعت هولندة الحركات الإلحادية والهدامة ، فشجعت **التيار الشيوعي الماركسي** ، باعتباره كفيل ببث الإلحاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم ، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومته بضراوة ، والإتجاه إلى محاربته

---

(٤٦) المدخل ص٣٧٣.

(٤٧) نفسه ص٣٦١.

(٤٨) وجهـة الإسلام ص١٩٢-١٩٤.

، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ، ومؤسساته المختلفة(٤٩). وأن هذا التيار سيتلقى مساعدات واسعة من كل الشيوعيين في العالم فيمكنه أن يثبت أمام ضربات المسلمين ، وبذلك يبقى نزيف الأمة الإسلامية وحاجتها إلى غيرها.

وفتحت هولندة الباب **للأحمدية والقاديانية** المنحرفتين عن الإسلام وألد خصومه ، وهما تعملان باسم الإسلام للمستعمرين. وهيأت لهما أفضل الظروف التي يمكن أن تؤمنها سلطة حاكمة ، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد فاندفع المسلمون يقاومون هذا التيار ، وانشغلوا في مجادلات أشغلتهم عن مقاومة الإحتلال الهولندي(٥٠).

١٠- شجعت هولندة حركة **التبشير** الذي اشتد خطره بعد الإستقلال.

ففي مؤتمر المستشرقين في ليدن عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م قال ناظر المعارف الهولندية : « إن تبسط الأمة الهولندية في المشرق لم يكن المقصود منه مجرد المكاسب المادية بل أكثر ماقصدته هولندة بذلك ، هو نشر فضائل النصرانية »

ولما ذكر الأمير شكيب أرسلان هذا القول لسنوك هورغرونيه (وكان كلاهما ضمن أعضاء المؤتمر) وقال له : كيف تدعون المسلمين إلى ترك الإهتمام بأمر دينهم ورجالكم الرسميون يعلنون مثل هذا الكلام في محفل كهذا المحفل؟..) وجم هورغرونيه ، ولحظ الأمير في وجهه الألم من هذا التظاهر الرسمي بالدعاية النصرانية - فإن الحكمة عندهم هي العمل بدون إعلان - على حد تعبير الأمير شكيب(٥١).

فقد اعتمدت هولندة (كما في سائر الاستعمار) في تثبيت أقدامها في أندونيسيا عن طريق **الإرساليات التبشيرية** ، فنشرت المدارس في مختلف أنحاء البلاد ، وغلبت الثقافة الهولندية ، وظهر جيل يجهل بعضه لغة قومه ودينه ، وشيدت الكنائس والملاجيء ودور الأيتام والمستشفيات في المراكز الآهلة بالمسلمين.

---

(٤٩) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٨.

(٥٠) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٨.

(٥١) حاضر العالم الإسلامي ج٣ص٣٧٣.

ردود الفعل الإسلامية الأندونيسية للسياسة الهولندية :

قاوم المسلمون نفوذ الشركة الهولندية حتى أجبروها على الإنتقال إلى جاكرتا ، بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها ، ولما تحولت هولندة من تاجر إلى مستعمر علنا قامت عدة ثورات إسلامية لمقاومة هذا النفوذ والتسلط الهولندي وفي مقدمتها ثورة الأمير **ديبونجارا** في جاوة التي استمرت خمس سنوات (١٢٤١-١٢٤٦هـ/١٨٢٥-١٨٣٠م) ، ولم تتمكن هولندة من إنهاء الثورة إلا بالخدعة عندما قبضت على الأمير وهو على مائدة المفاوضات(٥٢).

ومن الحركات - حرب **قوم بدري** - وبدري جمعية دينية إسلامية نسبة إلى بدر - يوم الفرقان - تأسست قبل وصول الهولنديين ومعناها البيضاء. رمزا لطهارة القلوب والملابس البيضاء التي لبسوها ، وبدأوا بالدعوة للإسلام ، وحينما نزل الهولنديون البلاد أعلنوا الجهاد ، وانتصروا أولا وأقاموا حكما يرأسه ثمانية علماء ، ومن أشهر أبطالهم : الشيخ مصطفى سحاب. ولكن هولندة كعادة المستعمرين لجأت للخديعة فأشعلت حربا أهلية ، وهاجمت في الوقت نفسه قوم بدري وبقيت الحرب مدة خمسة عشر عاما ١٨٢١-١٨٣٧م. وأسرت إمام بونجول ونفته إلى أن توفي عام ١٨٦٤م(٥٣).

أما في شمال سومطرة فقد بقيت سلطنة **آتشيه** تقود جهادا مستمرا مع الهولنديين ، وظهر من قادة الجهاد علي الدين محمود شاه إلى أن توفي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، ثم تنكو عمر وقاد الجهاد إلى أن استشهد سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، فتولت زوجته القيادة إلى أن استطاع الهولنديون القضاء على المقاومة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م وبسطوا حمايتهم عليها كما سبق ، بخطط اقترحها هورجرونيه، واستمرت الإضطرابات حتى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

إتجه المسلمون إلى توحيد صفوفهم وتأسيس الجمعيات والمنظمات لتنظيم أعمال المقاومة - وبدأوا بحركات إصلاحية فظهر في سومطرة المجاهد **إمام بونجول** (١١٨٦-١٢٨١هـ/١٧٧٢-١٨٦٤م) وكان شعار حركته : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ». وواجهت حركته البدع والخرافات(٥٤). وهي من قوم بدري السابقة الذكر.

---

(٥٢) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص١٢٨.

(٥٣) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٣. وانظر المدخل ص١٤٨-١٥١.

(٥٤) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص١٣٥.

كما ظهر في أواخر القرن التاسع عشر الشيخ **أحمد الخطيب** الأندونيسي الذي جدد حركة الإصلاح ، متأثرا بالحركات التي قامت في الحجاز ومصر ، فكان قد جاور في مكة وتلقى العلم. كذلك عبد الكريم امر الله الخطيب الجريء ، وزين الدين يونس الذي أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح ، وكانت أكبر المجلات الإسلامية في أندونيسيا ، وقد أنشأت هذه الحركة الإصلاحية العديد من المدارس وألف لها عبد الكريم كتبا للدراسة(٥٥).

ومن **الجمعيات** التي أسسها مسلمو أندونيسيا :

١- شركة إسلام - وهي أقدم هيئة احتضنت الحركة الإصلاحية والمقاومة ضد هولندة. أنشئت عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م بقيادة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو ، وضمت عددا كبيرا من العلماء المسلمين وقادتهم.

٢- الجمعية الخيرية في جاكارتا وأنشئت سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م.

٣- جمعية مكارم الأخلاق الفاضلة (بودي أوتومو) وأنشئت في سور أبايا شرق جاوة. سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. برئاسة الدكتور وحيد الدين.

٤- جمعية الإرشاد في سور أبايا أنشئت سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م واتجهت نحو التعليم باللغة العربية فقط ، وأسسها أحمد السكراتي وهو من السودان.

٥- الجمعية المحمدية - أنشأها الحاج أحمد الدحلان عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م ، وقد ركزت اهتمامها على التعليم ونشر مباديء الإسلام ، فافتتحت المدارس وأقامت جامعة ، كما أسست المساجد والمستشفيات ، وهي أكبر جمعية تعليمية في العالم إذ تشرف على **١٥٠** مدرسة ثانوية و**١٠٠** مستشفى و**٣٠٠** دار للأيتام(٥٦).

٦- جمعية نهضة العلماء ، وأسسها الحاج هاشم أشعري سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية ، ولها قسم نسوي يسمى مسلمات النهضة ، (وأقام هذا الحزب عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م جامعة المسلمات الأندونيسية)(٥٧).

٧- الجمعية العائشية : التي تأسست عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م وهي خاصة بالسيدات ومركزها مدينة ميدان في سومطرة.

---

(٥٥) نفسه ص١٣٦.

(٥٦) محمود شاكر - أندونيسيا ص١٤٥.

(٥٧) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٥. (انظر علي الطنطاوي - في أندونيسيا).

وقد بلغ عدد الجمعيات **٥٧** جمعية.

وقد أنتجت هذه الجمعيات وعيا ألهب الحماس ، فقامت ثورة مسلحة ضد هولندة (١٣٤٥-١٣٤٦هـ/١٩٢٦-١٩٢٧م) لم تستطع هولندة إخمادها إلا بعد أن استعانت بإنجلترا التي استعملت أشد الأساليب الوحشية ، وذهب فيها عدد كبير من العلماء المسلمين وقادتهم(٥٨).

ومن خلال الجمعيات والهيئات انبثقت الأحزاب المختلفة الإتجاهات فتكون : **حزب إتحاد الشعب الأندونيسي** ، الذي أسسه الدكتور سوتومو عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ، واتخذ فيما بعد إسم حزب أندونيسيا العظيم.

وحزب الأمراء الذي كان يرى التعاون مع الحكومة الهولندية لإمكان الحصول على الإستقلال.

وحزب جاوة الفتاة ـ الشباب الجاويين. أسوة بالترك الفتاة والعرب الفتاة.

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أسس أحمد سوكارنو **الحزب الوطني** ، وانفصل الحزب الإسلامي الأندونيسي عن شركة إسلام عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م بزعامة سوكيمان ، وتأسست جمعية الشبان المسلمين وحزب التنوير الإسلامي.

وقد بدأت بعض الجمعيات والأحزاب الإسلامية تتقارب فكونت الجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء ، مع جمعيات أخرى ، شبه اتحاد باسم : **المجلس الإسلامي الأعلى الأندونيسي** ــ بين الحربين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩م) وانشغل هذا الاتحاد بعقد مؤتمرات إسلامية عامة ، واشتغل بمسألة الخلافة ، وأسس **جمعية** الخلافة في الهند الشرقية وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند .

وفي عام **١٩٣١م** بدأت حملة من الحوادث السياسية والاضطرابات ضد الوجود الهولندي. فقامت هولندة بأساليب قاسية عاملت بها المسلمين. فنفت كثيرا منهم إلى أعماق الأدغال ، واعتقلت الكثير في معسكرات جماعية ، واشترك الإنجليز في هذه الحملات القاسية في غينيا الجديدة(إيريانا الغربية)(٥٩).

وبعد الحرب الثانية عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م إلتقت جميع الجمعيات والهيئات الإسلامية في أندونيسيا وأعلنت تأليف : « **مجلس الشورى لمسلمي أندونيسيا** » وكلمة **ماشومي** هي اختصار هذا الاسم. وقد وضع تعاليم الإسلام في صلب

---

(٥٨) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص١٦.

(٥٩) انظر عالم الكتب ـ مجلد (٥) عدد (١) ص٢٠٦ من فان در مولولن بحث للدكتور قاسم السامرائي.

مبادئه ، وحمل لواء التقدم ومقاومة الإلحاد والدعوات المختلفة المعادية للإسلام(٦٠). وحمل الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام.

وعلى الإجمال فقد تصدت هذه الجمعيات الإسلامية للبعثات التبشيرية ، وعملت على إصلاح عقيدة المسلمين ، وأنشأت المدارس المختلفة ، وقاومت الدعوات الهدامة ، والسياسة الهولندية ، التي تمكنت من تأسيس بعض الجمعيات والأحزاب على أسس قومية وإقليمية وإلحادية ، وتتسلل أحيانا في هذه الجمعيات باسم الكفاح المشترك والمصير الواحد.

وأبرز المجالات التي ظهر فيها أثر الجمعيات الإسلامية ـ المدارس الكثيرة المتأثرة بالحجاز ومصر ، فتصدت لها هولندة وأصدرت **قانون رقابة المدارس الأهلية** الذي أطلقت عليه قانون المدارس المتوحشة سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م للحد من انطلاقة الحركة الإسلامية ، وكان من نتائج القانون أن أقفل الإحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة وشرد تلاميذها وزج مدرسيها في السجون.

فعمد المسلمون إلى تعديل أساليب التعليم الديني وإدخال العلوم الحديثة ، فقامت مدارس جمعية نهضة العلماء ، وكان أحمد دحلان أول من نادى بذلك وحققه في مدارس الجمعية المحمدية في جاكارتا (٦١). وانتشر الوعي السياسي وبدأت البلاد تتطلع للاستقلال.

حركة الاستقلال الأندونيسية :

تمكنت **اليابان** من احتلال أندونيسيا في الحرب العالمية الثانية بهجوم خاطف سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م واستمر حكمها حتى استسلامها سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.

فرضت اليابان تعليم اللغة اليابانية وحروفها ، وأبقت الحروف اللاتينية ولغة الملايو ، ومنعت استخدام الحروف العربية ، فضعف شأنها أكثر(٦٢).

واتبعت اليابان سياسة الإكتفاء الذاتي في كل الأقطار التي سيطرت عليها ، ومعنى هذا أن كل منطقة ستضطر إلى إنتاج ماتحتاج إليه من الحبوب والمواد الأولية والغذائية اللازمة. فتعطل بذلك كثير من الرجال عن العمل وظفتهم السلطة في

(٦٠) انظر ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٣٦-١٣٧.

(٦١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٣٨.

(٦٢) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ص١٤٥.

الأعمال الحربية ، ودربت الناس تدريبا عسكريا ، وألفت فرقا للدفاع الوطني بقيادة الجنرال **سوديرمان** ، وهو من العلماء وأكثر ضباطه كانوا من الجمعية المحمدية. ولم يرض المسلمون عن هذه الفرق ، فأسسوا فرقا باسم حزب الله بقيادة **زين العارفين** من جمعية نهضة العلماء ، وتدربوا على يد اليابان أيضا ، وهكذا ظهرت فرق إسلامية مسلحة. وكانت اليابان قد أطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، فنشطت حركة المطالبة بالإستقلال ، واستطاعت الحركات القومية أن تطفو على السطح ، ووصل رئيس الحزب الوطني **أحمد سوكارنو** من طائفة البنجان (المسلم الأحمر) درجة القيادة لحركة الاستقلال ، وجعلت منه وسائل الإعلام العالمية كذلك. وقد كان والده من هذه الطائفة ، وأما أمه فهندوكية من جزيرة بالي.

وبعد استسلام اليابان بإلقاء القنبلة الذرية على أراضيها عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م ، أعلن قيام جمهورية إتحادية مستقلة في أندونيسيا ، وكون سوكارنو مع رفاقه حكومة ثورية ، فتحركت هولندة وأرسلت جنودها مع القوات الإنجليزية بقيادة (هاوتورن)(٦٣). فرفضت القوات المسلحة الهندية الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال المسلمين وأعلنوا العصيان ، واشتدت مقاومة المسلمين لهولندة فعقدت هدنة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة فانتهى القتال سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م بعد أن انتقصت أرض الجمهورية واقتصرت على قسم من جاوة وقطعة صغيرة من سومطرة ، واتخذت جوجكارتا عاصمة لها. وبقي الهولنديون في بتافيا.

أما حزب الله فقد أسس حكومة داخلية عرفت باسم **دار الإسلام** في بقعة جبلية وسط جاوة طبقوا فيها حكم الله ، وأطلقوا على عاصمتها اسم المدينة المنورة وجعلوا لغتها العربية(٦٤).

وحاولت هولندة مرة أخرى استغلال الفتنة الشيوعية سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ، فقد حركت قواتها الجوية بعد القضاء على الفتنة الشيوعية إلى جوجكارتا ، واعتقلت الزعماء سوكارنو ومحمد حتا والحاج عجوز سالم وسوتان شاهرير ، واحتلتها. فتألفت حكومة مؤقتة في سومطرة برئاسة **سجافردين** أحد زعماء حزب ماشومي ، واستمر القتال في جاوة بقيادة سوديرمان ، وكان

---

(٦٣) أندونيسيا العدد١٩/٧٤ ، ٧ رمضان ١٣٨٩هـ/ ١٦تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩م. ص١٠.

(٦٤) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص٥١.

مريضا وفي أواخر حياته. وانتشرت عصابات ، قادها المجاهدون في كل مكان ، فتدخلت هيئة الأمم المتحدة وعقد مؤتمر المائدة المستديرة في لاهاي في خريف عام **١٩٤٩م**(٦٥). وقد مثل الدكتور محمد حتا أندونيسيا في المؤتمر ، وفي **٢٧** ديسمبر سنة **١٩٤٩م** ، أصبحت أندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة. وتنازلت هولندة عن كل الجزر عدا غينية الجديدة ، وانتقلت العاصمة إلى جاكارته.

وهكذا غادر المستعمر البلاد ، بجهاد المسلمين ، غادرها بعد أن ترك أشواكا في حلوق المسلمين ، من الخدم الأوفياء والأفكار الهدامة مايكفل بقاء الدولة المستقلة عاجزة عن المضي في طريق البقاء والتقدم ، ضائعة في متاهات الشرق والغرب ، تعيش لونا من ألوان الإستعمار الجديد.

مشكلات أندونيسيا بعد الإستقلال :

تعرضت أندونيسيا المسلمة إلى عدة مشكلات بعد الاستقلال ومنها :

١ـ مشكلة الشيوعية :

ذكرنا أن هولندة شجعت الأحزاب القومية والشيوعية لإشغال المسلمين واستنزاف قواهم. فأنشيء الحزب الإشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا عام ١٩١٧م ، وهو فرع من الحزب الإشتراكي الهولندي بهولندة. وعندما انكشف أمر هذا الحزب اعتبر نفسه مستقلا عام ١٩١٩م. وبعد عام واحد أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي ،والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومنترن) وكان هذا الحزب يلقى كل تأييد من السلطات الهولندية(٦٦).

وبعد هزيمة اليابان تجمعت جهود المسلمين في حزب سياسي عرف باسم مجلس الشورى الإسلامي واختصارا : (**ماشومي**) ضم سنة ١٩٤٥م معظم الأحزاب والشخصيات الإسلامية(٦٧) وانتخب لرئاسته سوكيمان ، وسكرتيره الأول أبو الحسن أمينوتو ، وسكرتيره الثاني كارتو سويرنو. فقاد حركة الجهاد ، فظهرت الأحزاب الشيوعية والوطنية مقابل ذلك. واستطاعت روسيا بدعايتها أن تنسب فضل الحصول على الإستقلال إلى الحزب الشيوعي. وهذا قوّى شوكة الحزب ، وخاصة عندما دعمه الرئيس سوكارنو ، وأعطى الشيوعيين المناصب الرئيسية في

---

(٦٥) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٣. ، ج.ب دروزيل ـ التاريخ الدبلوماسي ص٢٩٣.

(٦٦) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٤٨.

(٦٧) انظر ص٤٧٣.

الدولة ، ليحدّ من النفوذ الإسلامي باسم الوطنية. فقد أوكل عام ١٩٤٧م إلى عامر شريف الدين الشيوعي رئاسة مجلس الوزراء ، واحتفظ لنفسه إلى جانب ذلك بمنصب وزير الدفاع ، ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة. ولقي ذلك معارضة شديدة من المسلمين ، فأقال الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية وزارة عامر شريف الدين ، وتولى بنفسه مهمة تشكيل وزارة جديدة. فثارت ثائرة الشيوعيين وتقدم قادتهم بمذكرة إلى الحكومة طالبوا فيها بالتبادل الدبلوماسي مع الدول الشيوعية ، وبالتأميم ومصادرة الأملاك ، وإقالة حكومة الدكتور حتا.

وفي عام ١٩٤٨م دعت صحيفة العمال الشيوعية إلى الإنضمام للمعسكر الشيوعي تحت لواء الكرملين. وقام الشيوعيون باختطاف ضباط الجيش ، وبأعمال إرهابية في كل مكان. واختطف القادة المسلمون ومنهم الدكتور **ماوردي** وثلاثة من زملائه ، قتلوا مباشرة ومُثّل بهم. وهوجمت مراكز البوليس. وقتلوا من العلماء وأساتذة المدارس الإسلامية **١٥٠٠** رجل ، وأُحرقت جثثهم بعد إعدامهم ، وكُويت عيون عدد كبير من الأطفال المسلمين بين الثامنة والثالثة عشر بالحديد المحمى. وأعلنت إذاعة ماديون قيام جمهورية أندونيسيا السوفييتية برئاسة عامر شريف الدين.

فأعلن المسلمون الجهاد ودوت كلمة «**الله أكبر**» في كل مكان ، وقاد الجيش **عبد الحارث ناسوتيون** ، وقضي على الشيوعيين ، وسيق زعماؤهم إلى المعتقلات والسجون ، وحكم على عدد منهم بالإعدام ، وفي مقدمتهم عامر شريف الدين مع تسعة من رفاقه بأوامر الدكتور محمد حتا ، في حين بقي الدكتور أحمد سوكارنو صامتا في هذه المدة. وبذلك قضي على الفتنة الشيوعية الأولى.

عاد الحزب الشيوعي للتسلل إلى المراكز بمساعدة طائفة البنجان الدينية بزعامة سوكارنو رئيس الحزب الوطني ورئيس الجمهورية ، واغتنموا فرصة الخلاف مع ماليزيا حول الأجزاء الشمالية من بورنيو التابعة لماليزيا ، وتشكيل سوكارنو فرقا لسحق ماليزيا ، فتدربوا على السلاح وتسلحوا. وأخذ ينظم الحزب نفسه بمساعدة سوكارنو ، وسوبندريو ، الذي قبل عضوا في الحزب الشيوعي على أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الشيوعية. فأزاح عن طريقه الدكتور محمد حتا باستقالته ، ودار الإسلام بإزالتها ، والأحزاب الإسلامية الكبرى حلها الدكتور سوكارنو ، فأعلن الحزب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م نفسه الحزب

الوحيد ، وابتدأ أعماله الإرهابية قبل ذلك منذ سنة ١٩٦٤م بهجومه على المدارس والشخصيات الإسلامية في عدة مدن.

قام الكولونيل أونتونغ قائد الحرس الجمهوري باختطاف الجنرالات المسلمين ، وقتل أكثرهم ومُثّل بجثثهم ، وشاء الله أن ينجو وزير الدفاع عبد الحارث ناسوتيون(٦٨).

واستولى الشيوعيون على محطات الإذاعة. فأمر عبد الحارث ناسوتيون قائد القوات البرية الجنرال **سوهارتو** نائب الجنرال أحمد ياني بالقضاء على الثورة الشيوعية ، وهب المسلمون مع القوات المسلحة يلاحقون الشيوعيين ، فسيطر الجيش على الوضع خلال ساعات. وفشل الشيوعيون مرة أخرى. وبدأ الصراع بين سوكارنو وقادة الجيش. فحاول سوكارنو عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م إعادة وضع الشيوعية بإدخال بعضهم في الوزارة ، وإبعاد عبد الحارث ناسوتيون فعمت المظاهرات البلاد وحول سوكارنو صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد الجنرال سوهارتو. واختفى الخطر الشيوعي عمليا ليتسلل فكريا في قطاعات متعددة ، وخاصة في حزب **جولكار** الذي هو عبارة عن سكرتارية مشتركة لمنظمات عاملة ، أصبحت في الواقع حزبا حكوميا يدير الجيش ، ويطلق على نفسه اسم (الفئة العاملة)(٦٩). وقد حظر على الحزب الشيوعي الإدلاء بأصواتهم في الإنتخابات العامة عام ١٩٦٧م والمنظمات التابعة له ، وأي أندونيسي أتهم بالإشتراك أو بمساعدة محاولة الإنقلاب الشيوعية التي أسفرت عن مصرع مابين **٥٠٠** ألف ومليون شخص. وقد رفع هذا الحظر عام ١٩٧٨م لإعاقة انطلاقة الحزب الإسلامي الذي حقق نتائج طيبة في الإنتخابات(٧٠). كما تسلل الشيوعيون في صفوف المبشرين والتبشير ليكيدوا الحركات الإسلامية.

٢ـ المشكلة القومية ـ والبنجان ـ البانجاسيلا ـ البانتاتشيلا :

تكون الحزب الوطني عام **١٩٢٨** بزعامة الدكتور أحمد سوكارنو من جاوة ، وكان زعيما خطيبا مفوها ، ومن طائفة البنجان الدينية التي تسمي نفسها

---

(٦٨) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٦٤.

(٦٩) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٧٠.

(٧٠) الشرق الأوسط ص٥ ، الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٩/١٢م العدد ٢٤٨٠.

بالإسلام ، ولكنها في عقائدها أميل إلى الهندوكية والبوذية ، وتقوم على أسس علمانية خطيرة تهدف إلى مسخ التعاليم الإسلامية ، وإبعادها عن مجال التأثير السياسي والإجتماعي والإقتصادي باعتبارها ـ كما يدعي العلمانيون الحكوميون ـ حواجز تقف دون تقدم أندونيسيا وتطورها(٧١).

وصل سوكارنو سدة الرئاسة ، وأمضى عشرين سنة يحارب التيار الإسلامي بنشر الفكر القومي والبانجاسيلا ، والشيوعي ، ويعتقل الزعماء المسلمين أو يقيلهم من أمثال الدكتور محمد حتا نائبه الأول ، ومحمد ناصر رئيس وزرائه وشاهرير وزير الخارجية.

ولمع اسم سوكارنو في **مؤتمر باندونغ** عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م للتضامن الآسيوي الإفريقي ، وزار عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م الإتحاد السوفييتي والصين ، وأعلن بعد عودته سياسة الديمقراطية الموجهة ـ بأن يعين الرئيس نصف أعضاء المجلس النيابي ـ فأدى ذلك إلى استقالة الدكتور محمد حتا ، ورفض حزب ماشومي الاشتراك في الحكومة ، وقام انقلاب عام ١٩٥٨م في سومطرة كردة فعل لتسلط سوكارنو ، تزعمه الكولونيل **أحمد حسين** المعروف باسم نمر سومطرة لجهاده الكبير ضد الهولنديين في حركة الإستقلال ، واستطاع سوكارنو القضاء على الثورة ، وأعلن حالة الطوارىء ، وطبق الأحكام العرفية في سائر أنحاء البلاد ، وحل المجلس النيابي عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ، وحزب ماشومي ، وألقى زعماءه في السجون ، وقضى على حكومة دار الإسلام في المدينة المنورة ، وقتل زعماءها. وأعلن انتخابه عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م رئيسا مدى الحياة ، فظهر كأتاتورك في تركيا وانهالت عليه ألقاب الشرف العلمية وغير العلمية ، من كل حدب وصوب حتى أصبح يفتخر بتعديد شهادات الدكتوراه الفخرية التي أهديت له(٧٢) ، واستثار الروح القومية ، وأخذ يشكل فرقا لسحق ماليزيا ، استغلها الشيوعيون (والناساكوم)(٧٣) القوميون في إضعاف التيار الإسلامي في أندونيسيا.

---

(٧١) المسلمون العدد ٣٥ ص٩.

(٧٢) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص١١٨.

(٧٣) وهي كلمة منحوتة من ثلاث كلمات : ناس من ناسيونال أي (قومية) ، و(آ) من (أقاما) أي (الدين) ، و(كوم) من (كومينيس) أي (الشيوعية). وهو الانجيل الذي بشر به سوكارنو. (غارة تبشيرية ص٢٩ وص١١٧).

ولما فضح المسلمون الشيوعية وأساليبها الإجرامية ، وأقصي سوكارنو سنة ١٩٦٧م بعد أن ثبت تواطؤه معهم ، وصل إلى الرئاسة الجنرال **سوهارتو** الذي ينتمي لنفس الطائفة ـ البنجان ـ ، وسارع الذين أيدوا نظام الناساكوم سابقا إلى الإنفضاض عنه والتنكر له، وكيفوا أنفسهم مع العهد الجديد. وأخرج زعماء وقادة حزب ماشومي من معتقلاتهم ، ليواجهوا الخراب والدمار وموجات الإلحاد والإباحية ، وبعد انتخابات عام ١٩٧١م حصرت الحكومة النشاط السياسي في ثلاثة أحزاب هي : حزب العمال ، وحزب التنمية (الجولكار) ، وحزب الإتحاد ، وهو الوحيد الذي له أساس إسلامي ، وأجبرته الحكومة على أن يتخذ مبدأ البانتشاسيلا بجانب المبدأ الإسلامي.

فتمكنت طائفة البنجان بتسلمها الحكم من ترسيخ مباديء بانجاشيلا التي تهدف إلى إحداث تغيير شامل للمجتمع الأندونيسي وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه خطوة خطوة ، بطريق طويلة ـ كما يقولون ـ تبدأ بالإنسان الأندونيسي فتنشئه إنشاءا جديدا ، وتجعل منه إنسان البناء ، الذي يحمل أخلاق البانتاشيلا ، وليس من شك أن المستهدف من وراء هذا المشروع هو الإسلام وقيمه ومبادئه وشريعته بحيث يتحول إلى جانب طقسي عبادي لا دخل له في الحياة الإجتماعية والسياسية(٧٤).

وقد قاومت الحكومة الوطنية كل خطوة نحو الإسلام ، فقد كشف علي مسروم في أندونيسيا عن مذابح تعرض لها المسلمون في منطقة تانجونغ بريوك في سبتمبر عام **١٩٨٤م** فحكم عليه بالسجن **١٢** عاما(٧٥). حتى تبقى أخبار المسلمين في تعتيم. كما أصدرت محكمة جاكارتا حكم الإعدام على زعيم قيادة الجهاد في جاوا بتهمة ممارسة أنشطة تستهدف الإطاحة بالحكومة وإقامة دولة إسلامية وإحلال المباديء الإسلامية محل مباديء بانتاتشيلا(٧٦) ، التي لاتزال الحكومة الأندونيسية تتمسك بها حتى حين كتابة هذه السطور تحت شعار الحفاظ على الوحدة الوطنية.

---

(٧٤) ManopolUsdek in question and Answer, Department of information Republic Indonesia 1962 P33,P99.

(٧٥) المسلمون ص٤ العدد ٣٨.

(٧٦) المسلمون ص٥ العدد ٤/٤١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٦نوفمبر ١٩٨٥م. وانظر بعض الأفكار الأساسية للسير بخطة التنمية خلال ٢٥ عاما بقلم اللواء علي مورتوفو ط١/١٩٧٢م.

بل وشجعت الحكومة الحركات التي ظهرت باسم التصوف والحركات الباطنية وباسم المعتقدات الجاوية القديمة التي تعتبر الإسلام دينا أجنبيا ومنها جماعة (سادار مابان) المنحوتة من ماجاباهيت وبانتاتشيلا(٧٧).

٣ـ المشكلة التبشيرية ـ التنصيرية :

وصل المبشرون **الكاثوليك** في ركاب البرتغاليين إلى جنوب شرق آسيا بما فيه أندونيسيا. واستمرت المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية تعمل في ظل هولندة البروتستنتية. ولكنها نشطت بشكل أوسع في عهد الإستقلال. وتمكن عدد من الكاثوليك التسلل إلى أهم المناصب الحكومية وعضوية البرلمان وعمليات الشئون الإنمائية ، بتشجيع من سوكارنو.

ولما قضي على الإنقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م لجأ كثير من الشيوعيين إلى الكنيسة الكاثوليكية ، وتعمد بعض القسس إلى الايحاء لهؤلاء الإنقلابيين بأنهم مهددون من قبل المسلمين فلا أمان لهم إلا تحت ظل الكنيسة.

وفي عهد التنمية ـ الخطة الخمسية الأولى والثانية (١٩٦٩-١٩٧٩م) حصل النصارى إجمالا على فرص ذهبية ، فتسلموا المناصب الحساسة للحكومة ، وبنوا أعدادا ضخمة من الكنائس في القرى وفي المدن ، وحتى التي يمثل المسلمون أغلبية السكان فيها ، وانتشرت المدارس الكاثوليكية إبتداء من رياض الأطفال إلى الجامعات ، وأصبح لهم ثمانية معاهد للاهوت وعشرات المعاهد الثانوية اللاهوتية.

وفي عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م زار البابا بولس السادس جاكارتا لحضور الإحتفال بعيد المبشر اكسافيريوس ١٩٧٠/١٢/٤م واستقبله الرئيس سوهارتو.

وأقام الكاثوليك مجلسا سموه مجلس رعاة الكنائس بأندونيسيا له رئاسة وأمانة عامة ، وتضم هذه الأمانة أقساما للموظفين ولشئون التعليم والشئون المالية والخدمات العامة وشئون المستندات والإعلام ، كما يضم المجلس معهدين أحدهما معهد البحوث والتنمية ، والآخر المعهد الإنجيلي الأندونيسي ، وثماني لجان : لجنة الشئون الاجتماعية والاقتصادية ولجنة الشئون التربوية ، ولجنة الإتصالات الشعبية ،

---

(٧٧) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص٨٥. ويعرف المذهب الباطني بالأندونيسية : كيجاوين ويعتبر نوعا من الديانة الوثنية المقتبسة من معتقدات اتيميسما لدى أجداد قبيلة جاوا وقدمائهم ومن معتقدات هندوسية وبوذية مع استخدام تعبيرات إسلامية في بعض شعائرها الدينية /البلاغ ٧٨١ ص٢٨.

ولجنة الايكومينى (أي إعادة وحدة الكنائس النصرانية) ، ولجنة معاهد اللاهوت ، ولجنة الطقوس والعبادات ولجنة معلمي الدين(٧٨).

أما البروتستنتية :

فقد قام المبشرون بها في ركاب شركة الهند الشرقية الهولندية ، ووجدت الرعاية من جانب الحكومة الهولندية التي كانت تبدي القسوة وعدم التسامح في سبيل نشر عقيدتها(٧٩). ولكنها كانت تلجأ إلى التستر والخفية خوفا من نقمة المسلمين تجاه أعمال التنصير(٨٠). وأنشيء بجاكارتا عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م معهد لاهوتي بمساعدة الحاكم العام الهولندي (فان ايمهوف) من أجل تخريج رجال إكليروس من الأندونيسيين تمهيدا لإقامة كنيسة بروتستنتية أندونيسية ، وشدت الحكومة أزر المبشرين وساعدتهم في مدارسهم وإرسالياتهم الطبية واعتبرت ذلك من عوامل المدنية(٨١). وقد رضي المبشرون عن مساعدات هولندة وامتدحوها في مؤتمراتهم(٨٢).

ونشط التبشير بشكل أشد في فترة الإستقلال فتأسس مجلس الكنائس الأندونيسي عام ١٩٥٠م ، وكان يضم في أول أمره **٢٩** كنيسة فقط ، ثم ازداد عدد الكنائس المنضمة إليه فأصبح **٣٨** كنيسة عام **١٩٦٩م** ، و**٤٤** كنيسة عام **١٩٧٤م**. وكانت هناك **٢١٧** كنيسة أخرى لم تنضم إليه.

وقد حاول مجلس الكنائس الأندونيسي هذا أن يستضيف الجمعية العمومية الخامسة لمجلس الكنائس العالمي المقرر انعقادها سنة ١٩٧٥م لتعقد دورتها في جاكارتا تحقيقا لمحاولة توحيد الكنائس ، واحتج المسلمون على ذلك وطالبوا الحكومة بعدم السماح بذلك ، ولما لم تستجب عمد المسلمون إلى راعي كنيسة الإنجيليكان الواقعة في أحد الشوارع الرئيسية في جاكارتا واغتالوه، وهددوا بأكثر من ذلك ، فعقد المهرجان في نيروبي بكينيا.

ويعود استفحال النشاط التبشيري إلى الفترة التي انفرد فيها سوكارنو بالسلطة ، وفي غيبة حزب ماشومي ، الذي حله سوكارنو والذي كان له أضخم الإسهام

---

(٧٨) نفسه ص٢٠.

(٧٩) شاتليه ـ الغارة على العالم الإسلامي ص١٨.

(٨٠) حاضر العالم الإسلامي ج٣ ص٣٧٣.

(٨١) الغارة على العالم الإسلامي ص٣٨.

(٨٢) نفسه ص٣. ، حاضر العالم الإسلامي ج٣ ص٣٧٣.

في دعم الإستقلال ومقاومة الإستعمار. فاحتضن سوكارنو النصارى واصطفاهم ، ومكنهم من مراكز السلطة في أجهزة الحكم والإدارة والدفاع والشئون المالية والتربوية والخدمات الصحية ، وفتحت الأبواب لدخول آلاف المبشرين ، وتوزيعهم على مختلف الأماكن والجزر ، بما في ذلك طائفة **شهوديهوه** اليهودية. فشيدت آلاف الكنائس الفخمة والأديرة والبيع والمستشفيات ومعاهد الكهنوت والصروح البطريركية ، وتلقت المعونات الضخمة الخارجية نقدية وعينية ، فقد كانت هناك بواخر ترسو في موانيء أندونيسيا حاملة الأسمنت والخرسانة ومختلف مواد البناء الأخرى ومعدات رياض الأطفال والمدارس التبشيرية وكلها معونات من مختلف الهيئات الكنسية العالمية ومعفاة من الضرائب والجمارك والمكوس. فأصبحت البنايات الفخمة لهذه المؤسسات ومواقعها توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني صميم.

ولما زال سوكارنو على يد المسلمين، وحّد النصارى جهودهم كاثوليك وبروتستنت ، وقامت صحفهم تستعدي الحكومة على المسلمين وتصفهم بالتطرف واليمين ، وبأنهم يجب أن يعاملوا معاملة المتطرفين اليساريين سواء بسواء ، واشتدت عمليات التنصير فنشرت مجلة تايم أن **٢٥٠ ٠٠٠** نسمة قد تنصروا خلال العشرين شهرا التي أعقبت ثورة أندونيسيا على الشيوعية ، منهم **٦٥ ٠٠٠** في جاوة وحدها. وان نسخ الإنجيل قد نفدت ، وقرر مجلس الكنائس الوطني في الولايات المتحدة القيام بحملة تبرعات تهدف إلى جمع **٣٠٠** ألف دولار لصالح الطائفة الأندونيسية(٨٣). وأمام هذا السعار التبشيري ظهر تحدي المسلمين ، فخافت الدولة من استفحال الأمر ، فدعى الجنرال سوهارتو لعقد **مؤتمر الأديان** في أندونيسيا ، وعقد بالفعل في **٣٠** نوفمبر سنة **١٩٦٧م** بمدينة جاكارتا ، وحضره الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية ، والسيد أنور تشوكرو أمينوتو من حزب الشركة الإسلامية ، والسيد أدهام خالد من جماعة نهضة العلماء ، والجنرال سوديرمان من وجهاء المسلمين وغيرهم ، وترأس المؤتمر السيد محمد دحلان وزير الشئون الدينية آنذاك. وقد ظهر تسامح المسلمين في المؤتمر ، وقدموا أسلوبا للتراضي صيغ في مشروع ميثاق بين الأديان قابله الجانب النصراني بالرفض التام.

---

(٨٣) غارة تبشيرية ص٦٥. ، مجلة العربي عدد جمادى الثانية سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ولم ينجح المؤتمر إلا في الوصول إلى توصية واحدة خاصة بإنشاء هيئة إستشارية تتكون من ممثلي الطوائف الدينية بأندونيسيا تستشيرها الحكومة في معالجة القضايا المتعلقة بعلاقات مابين الأديان الموجودة بأندونيسيا(٨٤).

وفي شهر اكتوبر سنة **١٩٦٨م** انعقد بمدينة طوكيو ندوة بإشراف مؤسسة فريدريك إيبرث ستيختونغ الألمانية. اشترك فيها الدكتور محمد رشيدي فقدم ورقة عمل بعنوان : (متطلبات الإسلام الأخلاقية والإجتماعية للمجتمع الحديث مع الإهتمام الخاص بمسلمي أندونيسيا) نقتطف منها النقاط التالية :(٨٥).

- يقوم المسئولون في هيئات التبشير بشراء الأراضي ذات الموقع الإستراتيجي بأسعار مرتفعة جدا ، وذلك لإنشاء الكنائس والمدارس عليها. وإذا امتنع صاحب الأرض من البيع مباشرة إلى التبشير عمدوا إلى الإستعانة بأشخاص آخرين لا تبدو عليهم مخايل التبشير أو سماته يشترون الأرض ويبيعونها للتبشير بعد ذلك.

- تقوم الكنيسة بإقراض الفلاحين قروضا نقدية أو عينية بشرط أن يستعدوا لإدخال أولادهم إلى مدارس التبشير.

- يقوم الكثير من المبشرين بالإتصال بأعضاء الحزب الشيوعي المحظور ، والمعتقلين أو المسجونين بعد محاكمتهم ، يعرضون عليهم مساعدة ذويهم بالأرز والنقود بصفة دائمة ، شرط أن يوقعوا على اعترافات بالإنضمام إلى حظيرة الكاثوليكية.

- أنشئت الكثير من النوادي والمكتبات وقاعات المطالعة وحمامات السباحة والساحات الرياضية ومراكز الشباب مخصصة للشباب غير المسيحي - بقصد التبشير -.

- تقوم الفتيات النصرانيات بإغراء الشبان المسلمين وإيقاعهم في حبائلهن لإدخالهم إلى النصرانية.

- معلمو الدين الإسلامي إذا شرحوا آية قرآنية تتعلق بالمسيح يعرضون للإعتقال ،وقد يعتقلهم فورا تلامذتهم النصارى ، ليسلموهم إلى ولاة الأمر النصارى - موظفي الحكومة -.

- تتعرض بيوت المسلمين لزيارات المبشرين ، وقد تتم الزيارة في غيبة الرجال ، ويجبر السكان للإستماع إلى المبشرين إجبارا.

---

(٨٤) نفسه ص٦١.

(٨٥) انظر نفسه ص١٠٠-١٠١.

هذا ويأتي المبشرون ومعهم أحدث وسائل الدعاية التبشيرية الاعلامية من أفلام ومسجلات ووسائل طباعة وغيرها ، واستخدموا بواخر ترتاد السواحل والجزر النائية عن مراكز التجمعات الإسلامية وربابنتها كلهم من القسس والمبشرين(٨٦). كما امتلك التبشير أحدث وسائل النقل والمواصلات مثل طائرات الهيليكوبتر وطائرات التشيستا والأجهزة اللاسلكية وغيرها. وتملك الترخيصات اللازمة لإنشاء مطارات خاصة بها هناك(٨٧). ويحظى موظفو الحكومة في هذه المناطق بخدمات مرافق النقل هذه حيث لاتوجد خدمات نقل حكومية ، كما تستعين إدارة البريد لنقل بريدها على الخطوط الجوية التبشيرية كالتي تصل بين مدينة تيمور كوبانغ ومدينة وانيفابو التي تنظم رحلتين أسبوعيا(٨٨).

وقرر مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى الإسهام في أعمال التنمية ، ومشاريعها في الأقطار النامية تحت شعار : « **من الكنيسة إلى المجتمعات** » فأسس مجلس الكنائس العالمي هيئة سماها : «هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية» ، تعمل في حقول التنمية المختلفة مثل إقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية والفنية وتقديم القروض المباشرة إلى الفلاحين عن طريق مؤسسات وحدات الإقراض ومشروعات التهجير الداخلي للسكان ونحو ذلك منذ عام ١٩٧٣م(٨٩).

واستغلت هيئات التنصير **مشروع التهجير الداخلي** فانتدبت مأموريها ورجالاتها وسط المهجرين بوصفهم مرشدين إجتماعيين يقدمون الإرشادات الفنية والمساعدات المادية والأدبية ، فتقدم مؤسسة إقراض (الكويديت يونيون) التابعة للإرساليات القروض والتسهيلات التي تخفف عن هؤلاء البائسين ظروفهم القاسية وتجعلهم أسارى لهذا الجميل المدسوس(٩٠).

كما أخذت معاهد المعلمين النصرانية تتسابق في تخريج المعلمين الذي يدرسون في **مدارس الأوامر الجمهورية**(٩١).

---

(٨٦) غارة تبشيرية ص٨٧.

(٨٧) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٧٤-٧٥.

(٨٨) غارة تبشيرية ص٨٨.

(٨٩) غارة تبشيرية ص٨٩.

(٩٠) نفسه ص٩٣.

(٩١) نفسه ص٩٤.

ولجأ التبشير إلى أسلوب **تبني الأطفال** البائسين ، ثم غيروا ذلك إلى أسلوب يحمل شعار (أنقذوا الأطفال)(٩٢). وبذلك يعدون جيلا يخدم أغراضهم في بلاد أندونيسية الإسلامية ، مستغلين ظروف الفقر والمرض والجهل(٩٣).

وعقد اجتماع المجلس العالمي للكنائس في صيف عام ١٩٧٨م لرسم سياسة منظمة لنشر المسيحية في أندونيسيا ، فوقف أحد الجنرالات وهو (سيماتو يانغ) (قطب مجلس الكنائس الإندونيسية ومجلس الكنائس العالمية) يقول :

١- يجب الإنتفاع من وجود ضباط نصارى في الجيش والحكومة لتعيين قادة نصارى في القوات المسلحة لكي يمكن توجيهها في الدفاع عن النصرانية.

٢- يجب تسخير وسائل الإعلام لإشعار العالم بقوة النفوذ النصراني في أندونيسيا.

٣- كل المؤسسات التجارية والصناعية والإجتماعية المتعصبة للإسلام يجب محاربتها وإضعافها.

٤- يجب كسب وتأييد الحزب الشيوعي الأندونيسي كي ينحاز إلى الجانب النصراني.

٥- يجب زيادة المساعدات التي يقدمها مجلس الكنائس العالمي للمستشفيات والمدارس الأندونيسية.

٦- يجب أن تمارس العبادات المسيحية بمصاحبة الأنغام الموسيقية وباللهجات المحلية.

٧- يجب إظهار الإسلام والعبادات الإسلامية بمظهر التخلف والعبث والحاق الأذى والضرر ، فيقال مثلا : إن الصوم يضعف الأبدان ، وان مياه الوضوء في الصباح تسبب مرض الروماتيزم وهكذا(٩٤).

والنجاح التبشيري والتشجيع الذي يجده من المسئولين في أندونيسيا جعل النصرانية تحلم بتحويل أندونيسيا إلى دولة نصرانية مع بداية عام **٢٠٠٠م** ،وقد

---

(٩٢) نفسه ص٩٦.

(٩٣) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ الكويت ص١٠/ الأحد ١١رجب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/٤/٢٤م.

(٩٤) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٥٠،٥١ ص٣٤٧ السنة ١٣ ربيع الآخر ورمضان ١٤٠١هـ. (عن مجلة الأمة القطرية) وقد تحققت فكرته وخاصة في منطقة ساندور في محافظة سولاويزي الشمالية حيث تولى النصارى الوظائف العالية من الدرجة الأولى والثانية (المسلمون العدد٨٩ص١١).

نشرت مجلة (تايم) الأمريكية في عددها ١٩٨٢/٥/٣م أن ٥,٦ مليون مسلم في أندونيسيا قد تحولوا إلى النصرانية(٩٥). كما قرر المبشرون في مؤتمرهم الذي عقدوه في مالانغ في جاوة الشرقية أنه يجب أن ينتهوا من تنصير سكان جزيرة جاوة خلال العشرين سنة المقبلة ، وان ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين عاما القادمة(٩٦).

رد الفعل الإسلامي الأندونيسي على أعمال التبشير :

لقد كتب على مسلمي أندونيسياأن يتحملوا الظلم والعدوان من أعدائهم في الخارج ، وأن يتحملوا الحيف والمؤامرة من بني جلدتهم الذين انسلخوا عن الإسلام في الداخل. فقد قاومت أندونيسيا الإستعمار مدة ثلاثة قرون ونصف ، لم يهدأ المسلمون خلالها من تحَدٍّ إلا ليقوموا بآخر ، غير مبالين بالضحايا التي غمرت القيعان والوهاد ، حتى إذا نالت استقلالها بتضحية أبنائها المسلمين جاء من يقطف الثمرة وينكّل بهم ، فكانت القوميات والطائفيات والتنصير. ولذلك لجأ القادة المتنورون إلى علاج خواء المفاهيم من القيم الإسلامية الصحيحة ، بترسيخ جذور الإيمان في أعماق النفوس ، وتوطيد أسس العقيدة. فاتفقوا على إنشاء هيئة تتفرغ لهذا العمل سموها : **«المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية»** سنة **١٩٦٧م**. ومقرها جاكارتا وحدد العلماء الهدف من هذه المؤسسة :

تنشيط عمل الدعوة الإسلامية وتصعيد مستواه في كافة أنحاء أندونيسيا بالوسائل التالية :(٩٧)

أ- تكملة إعداد المبلغين والدعاة ، وذلك بتوفير مايحتاجون إليه من أداء مهماتهم من حيث المستوى العلمي والتخطيط المنظم والمعدات ليتم إعداد جيل من حملة الدعوة والتبليغ.

ب- إقامة التعاون الوثيق مع هيئات الدعوة الموجودة حاليا.

ج- تأمين سبل الدعوة وميادينها عن طريق الإبتعاد عن كل موجبات الإختلاف وتباين وجهات النظر والآراء فيما بين الدعاة أنفسهم أو التقليل منها وحصرها في أضيق الحدود على الأقل.

---

(٩٥) المسلمون ص١٠ العدد٣٤.

(٩٦) القضماني - صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص١٣٤.

(٩٧) غارة تبشيرية ص١١٠.

د- العمل من أجل تأمين صندوق خاص بالدعوة يكفل لها كل احتياجها ويكفل الرعاية والعناية لمتفرغي الدعوة.

ومن المؤسسين لهذه المؤسسة : الدكتور محمد ناصر ، والدكتور الحاج محمد رشيدي وغيرهما(٩٨).

فأقيمت حلقات التدريب الدورية لجماعات الدعاة والمبلغين وأعدت طائفة خاصة لمواجهة القسس والمطارنة إعدادا خاصا(٩٩) ، وعمل المجلس أن يكون كل مسجد مركز ارتباط ، ورباط لجماعته يتولون رعايته وينظمون شئونه ويدفعون اشتراكات كهربائه ، ونظمت الدروس الدينية ، وعمل على إسداء الرعاية الصحية مجانا للمبلغين وعائلاتهم ، وعمل على إنشاء عيادات صحية في المساجد والمصليات تطوع للعمل فيها الأطباء المسلمون. وأعدّ المجلس حلقات أسبوعية خاصة بالمثقفين يحاضر فيها الدعاة أصحاب المؤهلات الجامعية ، وأقام علاقة مع المنظمة الطلابية الإسلامية يمدها بالكتب والمطبوعات الدينية باللغة الأندونيسية والإنجليزية.

ومما يذكر أنه يوجد في كل الجامعات الحكومية والأهلية بأندونيسيا مساجد مقامة في الحرم الجامعي تؤدى فيها الفرائض الدينية ، كما تلقى بها الدروس والمحاضرات الدينية العامة ، وهذه المساجد يقيمها الطلبة أنفسهم ويتولون إدارتها ورعايتها ، كما أن المدارس تستخدم بعض قاعاتها لأداء فريضة الجمعة(١٠٠).

وأقام المجلس في مجال نشاط خدماته الصحية مستشفى ابن سينا الإسلامي وقد تلقّى معونات إسلامية من داخل أندونيسيا وخارجها.

وفي مجال الخدمات التربوية والتعليمية عمل المجلس على تصعيد مستوى التعليم الإسلامي في المدارس ونشر اللغة العربية في أندونيسيا وذلك:

بإصلاح المناهج التعليمية في المعاهد الإسلامية الحرة ، وابتعاث الطلاب إلى البلاد العربية لإتمام الدراسة الجامعية. وقد تلقى المجلس عددا من المنح الدراسية من جامعة المدينة المنورة وعدداً من وزارة المعارف السعودية وجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة الكويت وجامعة الأزهر وغيرها (١٠١) .

---

(٩٨) نفسه ص١٠٩.

(٩٩) نفسه ص١٣٧.

(١٠٠) غارة تبشيرية ص١٤٦.

(١٠١) أخبار العالم الإسلامي ص٣/ ٦جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

واستمرت المؤسسات الإسلامية الأخرى تتصدى لعملية التبشير وتعمل جاهدة لتنشئة الجيل المسلم الأندونيسي كالجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء ، وجمعية الإرشاد ، وقد أخذت جميعها على عاتقها إنقاذ المسلمين من واقعهم الأليم ، بتأسيس المدارس وبناء المستشفيات وبناء المساجد وتقديم المال والدواء للمحتاجين ، كما تحملت عبء الجهاد في وجه المستعمرين والشيوعيين من قبل.

وأقتطف في مايلي شيئا مما ذكره الدكتور فؤاد فخر الدين رئيس الأكاديمية العربية للدعوة الإسلامية في أندونيسيا ، مُحذِّرا من موجات الإلحاد والتيارات الهدامة التي تجتاح أكبر دولة إسلامية في العالم وهي أندونيسيا.

(فالأكاديمية تأسست سنة **١٩٨١م**. ويدرس بها **٢٠٠** طالبا يتعلمون اللغة العربية).

قال الدكتور : « العلمانية أصبح لها باع طويل داخل المجتمع الأندونيسي وقد ساعد على وجود مفاهيمها انتشار المدنية بالطابع الغربي وعدم الاهتمام بنشر الفكرة الإسلامية وإرسال الغرب المستشرقين ليبثّوا فينا أفكارهم الزائفة ... وقد ساعد هذا على المستوى الرسمي أن البلاد في الوقت الحاضر تعيش على مايسمى بالمباديء الخمسة التي تقوم على الإيمان بالألوهية الواحدة ، والوحدة الوطنية ، والعدالة الاجتماعية والديمقراطية ، والتعاون. وقد تكون هذه المباديء حسنة من الناحية الشكلية ولكن التطبيق العملي يؤكد أن الدولة تعيش طبقا للمفهوم العلماني الخالص. رغم أن الدستور لا ينص على أن البلاد علمانية أو إسلامية أو وثنية ».

« خطر آخر يواجه التواجد الإسلامي وهو تفكك الجماعات الدينية ، بل ومحاربة كل جماعة الأخرى ... كما أنهم يعيشون داخل التفسير المذهبي الضيق الذي تحاول فيه كل جماعة أن تخطيء الأخرى في الوقت الذي يكون فيه الجميع على صواب ». (هكذا).

إن مفاهيم العلمانية والتفكك والتناحر بين الهيئات والمذاهب أوجدت المناخ المناسب لنشر أفكار غريبة عن الإسلام ورسول الإسلام ، لقد أصبح الهجوم على رسول الله وسنته ﷺ واضحا في كثير من الوسائل التعليمية والإعلامية ورأينا نشرات سرية تعيب على رسول الله ﷺ تعدد زوجاته ودعوته للزهد في الدنيا وحب الآخرة ، وتهوين الثقة فيه ، بل ظهر افتراء منذ خمس سنوات يقول إن الرسول جاء للعرب وبالتالي فأنتم أيها الأندونيسيين لستم مدعوين لاتباع الإسلام الذي جاء به محمد ، بدليل أنه جاء بلسان عربي .. وأذكر أنه قد تعرض لأمر

الفتوى في هذه المسألة بعض من ليسوا أهلا لها فكانت النتيجة أنه ضل وأضل وأساء أكثر مما نفع.

كما أننا لازلنا نعاني من بعض المتصوفة المتواكلين الذين يلبسون اللباس الممزق ولا يهتمون بنظافتهم ولابعملهم بحجة أنهم صوفيون. والبعض يتسول في الطرقات ، ولايدفع الباطل إن رآه ولا يصوب الخطأ حيث وجده ».

« وثمة خطر آخر يستشعر الوجود الإسلامي في أندونيسيا وهو خطر التبشير ... له جمعياته الظاهرة وقساوسته المعتمدون ، وفي إحدى الإحصائيات السرية لمجلس الكنائس العالمي تبين أن عدد المبشرين المتفرغين لذلك يبلغ **١٤** ألفا في عام ١٩٨١م وأن عدد الكنائس يصل إلى **١٦** ألف كنيسة. وأن ما أنفق على التبشير عام ١٩٨١م بلغ **٣٠٠** مليون دولار. وذكرت مجلة إرساليات التبشير البروتستانتي في سويسرا أن ما ينفق على التبشير البروتسنتي في أندونيسيا وحدها يعادل **١٣٥** مليون دولار سنويا.

وقد عقد في أندونيسيا مؤتمر نصراني تقرر فيه ادخال جزيرة جاوة إلى النصرانية في ربع قرن ، وجميع البلاد في نصف قرن. وهذا المخطط ينفذ بأسلوب سياسي وبطرق مدروسة ومتعددة(١٠٢) ».

هذا وقد قدمت المملكة العربية السعودية مساعدات قيمة وكذلك الكويت. وعلى سبيل المثال قدمت المملكة **٥٠٠ ٣١٢** دولار تبرعا لست مؤسسات إسلامية في أندونيسيا مرة واحدة(١٠٣).

ولكن هذه المساعدات والجهود الذاتية لاتوازي الإمكانيات الهائلة التي تنهال على مؤسسات التبشير في أندونيسيا ، والنشاط الإسلامي (وهذا هو الأهم) لا

---

(١٠٢) الشرق الأوسط ص١٣ الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥/١٢/١١م السنة ٨ العدد ٢٥٧٠- صفحة دين وتراث.

(١٠٣) أخبار العالم الإسلامي ص٣/ ٦جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

يحظى بعطف الحكومة هناك بل تقف ضده(١٠٤). ورغم ذلك فإلاسلام ينتشر بين الوثنيين ، فعلى سبيل المثال أعلن ٢٠٣٠ شخصا من سكان منطقة كارو الوثنية الإسلام خلال ثلاث سنوات فقط (١٤٠٢-١٤٠٥هـ)(١٠٥).

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾(١٠٦).

﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾.

(١٠٤) تشير بعض الإحصائيات إلى تناقص نسبة المسلمين من ٩٦٪ قبل الاستقلال إلى ٨٦٪ ، في حين ارتفعت نسبة النصارى البروتسنت والكاثوليك من ٢٪ إلى ٨ ، ٨٪ في عهد الاستقلال ، وهذا يشير بشكل واضح إلى أن عملية التبشير (التخريب) موجهة إلى المسلمين بشكل خاص. انظر المسلمون - العدد٨٩ص١١.

(١٠٥) أخبار العالم الإسلامي ص٦/٣جمادى الثانية ١٤٠٥هـ كما تشير إحصائية أصدرها مجلس الإدارة المركزية للجمعية المحمدية في أندونيسيا إلى أن عدد المسلمين تناقص خلال العشر سنوات ١٩٧٠-١٩٨٠م بنسبة ٤٪ بسبب الاغراءات المادية وليس عن اقتناع. (أخبار العالم الإسلامي) ص٦ ، الاثنين ١١ محرم ١٤٠٧هـ.

(١٠٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩.